

محمود سبلي

حياة سليمان



دار الحديث
بيروت - لبنان

حياة سليمان

محمود سبلي

حياة سليمان

دار الحديث
البيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الاهـداء

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَلَّمَة

يا رب ... لك الحمد ... ملء السماوات ... وملء الأرض ... وملء
ما شئت من شيء بعد ... أهل الثناء والمجد ... أحق ما قال العبد ... وكلنا
لك عبد ...

والصلاة والسلام على إمام النبيين ... وعلى آله وصحبه أجمعين ...
وسلام على المرسلين ... والحمد لله رب العالمين ...
وبعد ...

سليمان ... بن داوود ١٩

لئن كان داوود نبياً عظيماً كريماً ... « ولقد آتينا داوود منا فضلاً » ...
فإن سليمان ... ورث كل أولئك عن أبيه ... « وورث سليمان داوود » ...
ثم زاده الله ... فوق ذلك كله ... « ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده » ...
« وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ...

فكيف يكون سليمان ... ذلك الذي تُجمع له مجد أبيه داوود ... ثم زاده
الله فضلاً على فضل ... وملكاً فوق ملك ... وعلماً بعد علم ١٩.

ذلك سليمان ...

وذلك موضوع هذا الكتاب ١٩.

١٤٠٠ هـ

محمود شلبي

١٩٨٠ م

ووھبنا ... لدا وود ...

سليمان ۱۴...

كما وقع ...

الاختيار ... على يوسف ... من دون إخوته جميعاً ...
وقع الاختيار ... على سليمان ... من دون إخوته جميعاً ...
وكما كان يوسف أصغر إخوته ...
كان سليمان من أصغر إخوته كذلك ! ..
هنالك في يوسف :
« يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ،
ففهمها يعقوب ... وأدرك لفرره ... أن هذا الطفل ... قد وقع عليه
الاختيار ... من بين إخوته الكبار ...
فنظر إلى الطفل الجميل ... ولطفه في حنان وامتنان :
« يا بُنَيَّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان
للإنسان عدو مبين » .
ونظر الطفل الرائع إلى أبيه ... كأنه لا يدري ! ؟
فقال الأب :
« وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث .
« ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على آبائك من قبل
إبراهيم وإسحاق ... »

لقد وقع الاختيار على يوسف « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ...
وها هنا ... في سليمان ...
نفس الناموس ... وإن تجدد لسنة الله تبديلاً ...
« ووهبنا لداوود سليمان » ...
كان سليمان طفلاً ... وكان له إخوة يكبرونه سنّاً ...
ولكن النبوة ... لا تكون للأكبر سنّاً ... ولا للأكثر مالاً وولداً ... ولا
لأكثر حظوة عند الناس ... وإنما هي شيء عظيم ... يهبه الله لمن يشاء من
عباده « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ...
فكان سليمان ... هو الهبة التي وهبها الله لداوود ...
هو المنة التي امتن الله بها على داوود ...
كما كان يوسف ... هو المنة التي امتن الله على يعقوب ...
إن لداوود كثيراً من الأولاد الذكور ... قيل أنه مات عن تسعة عشر
من الذكور ...
ولكن أحداً منهم ... لم يسجله الله في سجل الشرف بقوله
« ووهبنا لداوود » ...
وإنما « سليمان » هو النعمة ... وهو المنة ... وهو الهبة ... وهو الهدية ...
فسجل الله ذلك .. إشارة إلى عظيم ما وهب لداوود ... فقال : « ووهبنا
لداوود سليمان » ...
أما سائر أولاد داوود ... فليسوا من مرتبة سليمان ...
إن تمام الحقيقة الداوودية ... في تمام الحقيقة السليمانية ...
وكال شخصية الداوودية ... في ظهور الشخصية السليمانية .

كما كان تمام الحقيقة اليعقوبية ... في ظهور الحقيقة اليوسفية ...

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله عزّ من قائل :

« ويتم نعمته عليك .

وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق » .

ثم ماذا ؟ !

انظر « ووهبنا لداوود سليمان .

« نعم العبد إنّه أوّاب » ..!

نعم العبد ... داوود ... انه أوّاب ...

ونعم العبد ... سليمان ... انه أوّاب ..!

ووقع الثناء ... على الوالد والولد ...

إشارة إلى أن تمام داوود ... في ظهور سليمان ...

كما أن تمام سليمان ... كان في ظهور داوود ..!

وحين يقول سبحانه ... عن عبد « نعم العبد » ..!

فقد اجتمع له النعم والإنعام كله ...

« وأوتينا من كل شيء » ..!

وهكذا كما رأيت ...

حين أراد أن يتم نعمته على إبراهيم ... وهب له اسماعيل وإسحاق ...

« الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي

لسميع الدعاء » .

وحين أراد أن يتم نعمته على زكريا ... وهب له يحيى ...

« فهِبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا » ...

وحين أراد أن يتم نعمته على يعقوب ... وهب له يوسف ...

وحين أراد أن يتم نعمته على داود ... وهب له سليمان ...

« ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب »

ناموس مطرد ... متكرر ...

وسنة من سنن الله ...

فتأمل ... وتفكر !..

فَقُولُوا مَنَّا هَا ... سَلِيمَانٌ ...!

الفطنة ...

أو الذكاء ...

أو العبقرية ...

أو الإدراك السريع للأمور ...

شرط يتحقق توافره فيمن يقع عليه اختيار الله لعبده من عباده ... ليكون نبياً ... أو رسولاً ...

ذلك أن النبي أو الرسول ... يبعثه الله ... ليرفع مستوى البشر إلى أفق أعلى ...

فيتحقق أن تكون صفاته ... أعلى ... وأزكى ... وأرقى ... وأسمى ... من صفات الذين يُبعث إليهم نبياً أو رسولاً ...

ومن تلك الصفات العليا ... صفة الفطنة ... أو سرعة الفهم للأمور ... ولننظر الآن كيف تملأت تلك الصفة ... من سليمان ... صديقاً !..

« داوودَ وسليانَ إذ يحكمَانِ في الحَرْثِ إذ نفشت فيه غم القوم وكنشاً لحكمهم شاهدين .

« ففهمناها سليمانَ وكاذباً اتيناُ حكماً وعلماً وسخرنا مع داوودَ الجبال يسبحن والطيرَ وكنشاً فاعلين » .

ما هي هذه القصة الجميلة ١٢ .

وما هو هذا الحُكْم العظيم . . الذي شرفه الله ... بشهوده « وكفناً
لحكمهم شاهدين » ١٢.

الله ١٢.

الذي ليس كمثل شيء ... يشهد هذا الحُكْم ١٢.

فما هو هذا الحُكْم العظيم ١٢.

« وداوود » واذكر قصة النبي الملك داوود ...

« وسليمان » واذكر سليمان ... إذ كان صبياً في الحادية عشرة من عمره ...
وقد أجلسه أبوه الملك داوود في مجلس القضاء ... ليتمرن على أعمال
الحُكْم والمُلْك ...

اذكر داوود ... واذكر سليمان ابنه ...

« إذ يحكمان » إذ أصدر داوود حُكماً ... فنقضه سليمان ... وأصدر حُكماً
آخر ... غير حُكْم أبيه ...

« في الحرث » في الزرع ...

وكانت القصة ... أو القضية التي عُرضت عليها ...

« اذ نفشت فيه غنم القوم » اذ رعت فيه ليلاً بلا راع ... أغنام القوم ...

أتى خصمان ... قال أحدهما : ان زرعاً لي قد آتى ثمره ... ودنت
قطافه ... وصار بهجة للناظرين ... وفجأة انتشرت فيه غنم خصمي هذا ...
ولم يردّها رادّ ... ويحكم وثاقها راع ... وانسابت في الزرع ليلاً ... فأهلكته
وأبادته حتى صاراً أثراً بعد عين ...

قال صاحب الزرع ما قال ، ولم يبطل صاحب الغنم ادعاءه بحجة
أو دليل ...

فثبتت عليه التهمة ... وحقت عليه كلمة القضاء ...

هذه هي القضية ...

« وكلنا لعنكمهم شاهدين ، حاضرين ... نسمع ونرى ...

فماذا كان حكم داوود ... النبي المثلک ؟! »

حكم داوود ... لصاحب الزرع ... بالغنم ... يأخذها خالصة له تعويضاً
عن زرعه ... وجزاء إهمال أصحابها الذين تركوها فنفتت في الزرع ليلاً ...
وانتشرت فيه حتى أهلكته وأتت عليه ...

« ففهمناها سليمان » فأوحينا إلى الصبي سليمان ... وفهمناه الحق
من القضية ...

فقال سليمان : غير هذا أرفق ... ودون هذا أوفق !..

فدهش القوم لجرأة الغلام ...

وانتظروا صامتين ما وراءه !..

فقال سليمان :

« ندفع الغنم إلى أهل الحرث ، ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها .

« وتسلم الأرض إلى أصحاب الغنم يقومون على زراعتها ، حتى تعود
كما كانت .

« ثم يتراد أن ، فيأخذ كل ما كان تحت يمينه .

« وبذلك لا يكون هناك غنم ولا غرم .

« فهذا أقرب إلى العدل ، وأصح في الحكم ، وأولى في القضاء » !..

هذا هو حكم سليمان في القضية ...

وقضى ... داوود ... بما حكم سليمان ؟..

ورجع داوود إلى الحق ... بعد أن نطق به الصبي ...

لأن داوود نبي ... يعلم من أوحى إلى الصبي ... ومن فهمه هذا الذي
نطق وبه حكم ...

يعلم أن الله يشهد القضية بنفسه ...
وأنه سبحانه ... هو الذي فهمها سليمان !..
وقررت عين داوود ... بآينه ...
وأيقن أن ذلك الصبي ... الذي ... هو وارث النبوة من بعده ...
ووارث الملك ...

وها هي أنوار النبوة ... تتلأأ منه ... صبيته ...
فكيف إذا استوى نبياً ١٢ .
ما أعظم تلك القضية !..
لقد حيزت لها العظمة من أطرافها ...
الله يشهدا « وكُنَّا لحكمهم شاهدين » !..
والقاضي ... داوود ... النبي العظيم ... والملك الكريم !..
وعضو هيئة المحكمة ... سليمان ... النبي القادم ... بعد أبيه داوود ...
وأصدر القاضي حكماً ...
وأشار سليمان بحكم آخر ...
وكُنَّا آتينَا حُكْمًا وَعِلْمًا ...
فاجتمع لهذه القضية الشرف كله ...
وحسبها شرفاً ... ان الله يشهدا ... وكفى به شهيداً ...
وأن الحاكم فيها ... نبيان عظيمان كريهان ...
نبي ملك ... قائم ...
ونبي ملك ... سوف يقوم !..

وورث ... سليمان ...
دا وود ... ۱۹

شاخ ...

الملك داوود ... ولزم الفراش سقيماً ...
ولكل داء دواء إلا الكبير ...
وتطلع الناس ... وتحدثوا مَنْ يكون على عرش داوود؟
وحاول « أدونيا » أحد أبناء داوود ... أن يهتبل الفرصة ... ويلفت
اليه الأنظار ... وأعانه على ذلك بعض اخوته ...
إلا أن فريقاً آخر رفعوا الأمر ... إلى الملك داوود في فراشه ...
فحسم الملك الفتنة فوراً وقال :
« ادع لي صادوق الكاهن وناثان النبي » ...
فدخلوا إلى الملك داوود ...
« فقال الملك لهم : خذوا معكم عبيد سيديكم .
« وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به الى جيحون .
« وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي مَلِكاً ...
« واضربوا بالبوق .
« وقولوا ليحيى الملك سليمان » ...
ونفذ هؤلاء أمر داوود ...

وقال جميع الشعب :
« ليحيى الملك سليمان » ...
« وصعد جميع الشعب وراءه » ...
وأفلتت الفرصة من « أدونيا » ... وصار سليمان ملكاً ...
« وقال داوود لسليمان ابنه :
« تشدد ، وتشجع ، واعمل .
« لا تخف ولا ترتعب ، لأن الرب الاله إلهي معك .
« لا يخذلك ولا يتركك ، حتى تكمل كل عمل خدمة بيت الرب » .
ثم أعلن داوود لكل المجمع :
« ان سليمان ابني الذي وحدته اختاره الله .
« انما هو صغير ، وغش ، والعمل عظيم .
« لأن الهيكل ليس لانسان بل للرب الاله » .
ودعا داوود لابنه سليمان ...
« وأما سليمان ابني فأعطته قلباً كاملاً .
« ليحفظ وصاياك ، شهادتك وفرائضك .
« وليعمل الجميع .
« وليبني الهيكل الذي هيات له » .
« وجلس سليمان على كرسي الرب ملكاً مكان داوود أبيه » ...
وأطاعه الجميع ... الرؤساء والأبطال وجميع أولاد الملك داوود ...
« وعظم الرب سليمان جداً ...

« وجعل عليه جلالاً ملكياً » ..
فلما مات داوود ... ودُفن مع آبائه ...
انتقل كل شيء إلى سليمان ... ظاهراً ... وباطناً ...
واستوى سليمان ... نبياً ... مَلِكاً ...
وكانت الأيام التي مَلَكَ فيها سليمان أربعين سنة ...
حافلة ... بالأعمال العظيمة ... والأحداث الجسيمة ... والمعجائب التي لم
تكن لأحد من بعده ..

عبقريّة ... سليمان ١٩...

الأنبياء ...

ليس كمثل ذكائهم ذكاء! ...
هم أعلى ... البشر على الإطلاق ... عقولاً ...
وذلك النبي ... سليمان ... تتلألاً أمامنا عبقريته الفذة ... في هذه
القصة ... فنعلم ما لم نكن نعلم ... من بدائع الأنبياء ...
امراتان ... تختصمان اليه ... في رضيع ...
كل منهما تزعم أنه وليدها ... فإذا كان حكم سليمان ؟! .
اليك تفاصيل القصة كما وردت عند أهل الكتاب :
« حينئذ أتت امرأتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه .
« فقالت المرأة الواحدة : استمع يا سيدي .
« اني أنا وهذه المرأة ساكنتان في بيت واحد ، وقد ولدت معها في البيت .
« وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ، ولدت هذه المرأة أيضاً ، وكنا معا ، ولم
يكن معنا غريب في البيت غيرنا ، نحن كلتينا في البيت ،
فهايت ابن هذه في الليل ، لأنها اضطلعت عليه .
« فقامت في وسط الليل ، وأخذت ابني من جانبي ، وأمتك نائمة ،
واضجعت في حضنها ، واضجعت ابنها الميت في حضني .
« فلما قمت صباحاً لأرضع ابني إذا هو ميت .

« ولما تأملت فيه في الصباح ، إذا هو ليس ابني الذي ولدته .
« وكانت المرأة الأخرى تقول : كلا ، بل ابني الحي وإبنك الميت .
« وهذه تقول : لا بل ابنك الميت وإبني الحي .
« وتكلما أمام الملك .
« فقال الملك . هذه نقول ، هذا ابني الحي وإبنك الميت ، وتلك تقول :
لا بل ابنك الميت وإبني الحي .
« فقال الملك : انتوني بسيف .
فاتوا بسيف الى بين يدي الملك .
« فقال الملك : اشطروا الولد الحي اثنين ، وأعطوا نصفاً الواحدة ،
ونصفاً للأخرى .
« فتكلمت المرأة التي ابناها الحي إلى الملك .
« لأن أحشاءها اضطربت على ابنها .
« وقالت : استمع يا سيدي .
« أعطوها الولد الحي ولا تميتوه .
« وأما تلك فقالت : لا يكون لي ولا لك .
« اشطروا .
« فأجاب الملك وقال : أعطوها الولد الحي ، ولا تميتوه ، فانها أمه !..
هذه هي التفاصيل ... كما وردت عند أهل الكتاب ...
وهذه عبقرية سليمان ... وهذا لون من ألوان ذكاء الأنبياء ...
ومن دلائل النبوة الخاتمة ... أن القصة وردت مختصرة في صحيح الإمام
البخاري ... وإليك النص :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه :
« انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« مثلي ومثل الناس ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعل الفراش وهذه
الدواب تقع في النار .

« وقال : كانت امرأتان معها ابناهما .
« جاء الذئب فذهب بابن احدهما .
« فقالت صاحبتها : انما ذهب بابنك .
« وقالت الأخرى : انما ذهب بابنك .
« فتحاكما الى داود .
« فقضى به للكبرى .
« فخرجتا على سليمان بن داود ، فأخبرناه .
« فقال : انتوني بالسكين ، أشقه بينهما .
« فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها .
« فقضى به للصغرى » !..

وهذا الحديث من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
فمثل هذا التفصيل لا يكون إلا عن وحي يوحى !...
ثم انظر الى الدقة التي لا نكون إلا من شهد الواقعة ... وعلم بدقائقها
« فقضى به للصغرى » !..

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ... يحدد المرأة التي جزعت على شق
الرضيع شقين ... بأنها الصغرى ... وهذا من دلائل النبوة ... ولا يأتي إلا
عن وحي يوحى ؟..

لقد ثبتت هذه القضية عن سليمان ... وأوردها البخاري في صحيحه ...
فأعطت لنا لونا جميلا من ألوان ذكاء الأنبياء ...
وإن اشعاعات قوله تعالى « ففهمناها سليمان » في قضية الحرث ... التي
ذكرها ...
ما زالت تتشعشع ... ها هنا ... وحيث شاء الله ...
فكمما فهمهم سبحانه هناك الحكم ... فهمهم ها هنا الحكم ...
« وكذا آتينا حكما وعلما » ..

الملك . . . يا امر بقتل ...
« أدونيّا » ...!

الملك ...

له مقتضيات ... وحتميات ... وضروريات ...
ان « أدونيا » هذا أخ أكبر لسليمان ... غير شقيق ... أخ لأب ...
وقد حاول أثناء مرض الملك داوود ... أن يجمع الناس عليه ليكون ملكاً
بعد أبيه ...
فلما حسم داوود الأمر ... وأمر بسليمان ملكاً ... ضاعت الفرصة من
« أدونيا » ... وانكشف أمره وأمر من شاعوه ...
إلا أنه لم يهدأ ... وبدأ يتدلل ويظهر أنه كان صاحب العرش ... لولا
ما قرره داوود ... واختياره لسليمان ...
ثم جاء « أدونيا » إلى أم سليمان ...
فقال : أنت تعلمين أن الملك كان لي ... فدار الملك وصار لأخي لأنه من
قبيل الرب صار له .
« والآن أسألك سؤالاً واحداً فلا تردني فيه » .
فقالت له : تكلم .
فقال : قولي لسليمان الملك لأنه لا يردك أن يعطيني « أبديشج الشونغية »
امراً .

فدخلت أم سليمان إلى الملك لتكلمه عن « أدونيا » ...

فقالت : اِسْتَعِظْ

« الشونمية » لأدونيا أخيك امرأة .

فقال الملك سليمان لأمه : ولماذا أنت تسالين أبيشج الشونمية لأدونيا
فاسألي له الملك . لأنه أخي الأكبر مني ...

« وحلف سليمان الملك بالرب قائلاً : هكذا يفعل ليّ الله ، وهكذا يريد .
« انه قد تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه .

« والآن ، حي هو الرب الذي ثبتني ، واجلسني على كرسي داود أبي ،
والذي صنع لي بيتاً كما تكلم .

« انه اليوم يُقتل أدونيا » ..!

ولعل الكلمة التي أطاحت برأس أدونيا ... هي قوله لأم سليمان « انت
تعلمين ان الملك كان لي » ..!

إذا هو لم يستسلم ... وما زال الأمر يدور في رأسه ..!

هنالك أصدر الملك سليمان أمراً بقتله ..!

وأرسل الملك سليمان إليه من بطش به فمات ..!

ولم يقف الأمر عند قتل « أدونيا » رأس الفتنة ...

بل هناك رموس عاونته في فتنته ...

هناك الكاهن الذي شايعه ... فأمر سليمان به ... فطرده عن أن يكون

كاهناً للرب ... وإن كان يستحق القتل ...

وهناك « يو آ ب » الذي مال وراء أدونيا ... فأمر به سليمان فقتل ...
ثم عين سليمان رجلاً مخلصاً له مكانه على الجيش ...
وجعل الملك ... صادق الكاهن ... مكان الكاهن الذي عزله ...
إنها حركة تطهير ...
القضاء على رأس الفتنة ...
وتغيير في المناصب العليا ...
والملك هو الملك ...
له مقتضيات ... وله ضرورات ... وله احتميات

ولقد ... فتنًا ... سليمان ١٤...

قال عز من قائل :

« ولقد فتننا سليمان .

« والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » .

ذكر الفخر الرازي في تفسيره وجوهاً لتفسير هذه الآية ...

أحسنها أن سليمان ابتلى بمرض شديد ، ضنى منه ، حتى صار لشدة المرض ، كأنه جسد ، أو جسم بلا روح ... « ثم أناب » أي رجع إلى حالة الصحة .

وفي موجه هذا التفسير أقول ...

الأنبياء أشد الناس بلاء ...

لأنهم أعظم الناس عطاء ...

هذه ... بتلك ... فيتحقق التوازن ... الذي هو الناموس العام ... في تركيب الإنسان ...

« قالت عائشة :

« ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

[أخرجه مسلم]

قالوا : الوجع هنا المرض ، والعرب تسمي كل مرض وجعاً ...

أي ما رأيت أحداً أشد عليه المرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

« عن عبد الله قال :

« دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُوعك .

« فمسسته بيدي .

« فقلتُ : يا رسول الله ، انك لتوَعكُ وعكا شديدا .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَجَلُني أوعكُ كما يُوعكُ رجالن منكم .

« قال : فقلت : ذلك أن لك أجرَيْن .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَجَلُ ... »

[أخرجه مسلم]

قالوا : الوَعكُ هو الحمى ، وقيل ألها ... أي : انك لتألم ألما شديداً ...

وقالوا : والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل ، أنهم مخصوصون بكمال الصبر ، وصحة الاحتساب ، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ، ليتم لهم الخير « ويضاعف لهم الأجر » ، ويظهر صبرهم ورضاهم ...

قلت ... ولما كان سليمان ... عليه السلام ... نبياً من الأنبياء ... تحتم أن يجري عليه ناموس الأنبياء ... وهو أنهم أشد الناس بلاء ...

فكيف وسليمان ... من أعظم الأنبياء عطاء ... « هذا عطاؤنا فامننْ أو أمسِكْ بغير حساب » !!

أعطاء كل ما أعطى أباه ... داوود عليه السلام ...

وما أدراك ما أوتي داوود ؟!

ثم زاده ... « ملكا لا يشبغي لأحد من بعدي ... »

نبي هذا شأنه ... من العطاء ... كان حتماً أن يكون شأنه من البلاء ...
موازياً ... لشأنه من العطاء ...

وهذا ما قد كان ...

مرض النبي ... المَلَك ... سليمان ... مرضاً شديداً ...

وتوجع وجعاً شديداً ... لا تطيقه الجبال ...

وصار ... « جَسَداً » ... لا يكاد يستطيع الحركة ... فهو شيء ميت ...
أشبه بجسد لا روح فيه ...

وكان يجلس على كرسيه ... كأنه جَسَد ... مُجَثَّة ميت ...

ها هو المَلَك العريض ... تحت يديه ...

يأمر ... فيُطاع ...

قصور ... تُجند ... امكانيات ... علم ... نبوة ... حكمة ... مملكة ...

ولكن كل هذا لا يُغني عنه شيئاً ...

هنالك يرى سليمان الحقيقة ... ويباشر التجربة ...

أن كل نِعَم الله على الإنسان ... إنما هي حُجُب ...

والحق ... والحقيقة ... أن الله هو الذي يُعطي ويمنع ... ويتنعم
ويَسلب ...

هنالك ... يرقى سليمان ... ويرقى ... درجات ودرجات ...

ويشهد نفسه ... وشخصه الذي يهابه الشعب والملوك ...

وقد تحول إلى لا شيء ... ولا يستطيع لنفسه شيئاً ...
مقامات ... درجات ... يصعدون اليها ... ربهم أعلم بهم ...
ثم لما مضى القدر ...
وبلغ الكتاب أجله ... ردّ الله إليه ... عافيته ... وصحته خيراً
مما كانت ...
وخسرج سليمان من الفتنة ... أعظم نوراً ... وأعظم حكمة ... وأعظم
رحمة بالناس ...
« وإن له عندنا لزُلّقى » . . .

رب ... اغفر لي ...
وهاب لي ... ١٤

أمرهم ...

وراء العقول ...
لا ندرك منهم ... إلا قليلا ...
لأن الأنبياء ... مرايا التجلي الإلهي ... الكامل ...
كل منهم ... بحر لا يتناهى ...
فإذا أدركنا منهم شيئاً ... فإنما هو نقرة عصفور ... في بحر
لا ساحل له ...
وهنا نحن أولاء ... نفاجأ من أحدهم ... وسمه « سليمان » ... بأمر
تضطرب منه العقول ...
ان سليمان ورث ملك داوود ... ظاهراً ... وباطناً ...
فماذا بقي من أبعاد الملك بعد ذلك ؟
العقل يقول : لا شيء وراء ذلك ... والحمد لله على ذلك ! ..
ولكن الأنبياء يعلمون من الله ما لا نعلم ...
يعلمون أن عطاء الله ... لا يتناهى ...
وأن وراء كل عطاء عطاء ...
ووراء كل فضل فضل ...

ووراء كل علم علم ...
هنالك ... نادى ... سليمان ربه ...
« قال رب اغفر لي .
« وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب » !!
مطلبان عظيمان ...
أولا ... « اغفر لي » هذا هو المطلب الأول ...
اغفر لي ... ما قدمت وما أخرت ... وما أسررت وما أعلنت ...
اغفر لي ... ما كان مني ... وما سوف يكون ...
انه يطلب ... بما أعطاه الله ... لحاتم النبیین .
« اننا فتحنا لك فتحا مبينا .
« ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .
« ويتم نعمته عليك .
« ويهديك صراطا مستقيما » .
والمغفرة مراتب لا تحصى ... بعدد المستغفرين والمستغفرات !..
بل بعدد أنفاس المذنبين والمذنبات ...
ذلك أن الناس مراتب شتى ...
ولكل فرد منهم ذنوب شتى ...
فلازم أن تكون المغفرة ... مراتب شتى ...
ولكن ... هؤلاء الأنبياء ... الذين لا ذنوب لهم ... علام يستغفرون ؟ !..
ومم يستغفرون ؟ !..
وقد ثبت عنهم أنهم دائما يستغفرون ؟ !..

عندما يرفعهم الله ... من مقام ... إلى مقام أعلى ...
يستغفرون ... عما كان منهم ... حين كانوا هناك ...
ولكن ماذا كان منهم هناك ؟! .
هل كانت ذنوباً ؟!

كلا ... وإنما كل مقام يُرفعون اليه ... يشعرون فيه ... أن المقام
السابق ... يحتاج منهم إلى استغفار ! ..
فلماذا قال سليمان « ربّ ... اغفر ... لي » ...
لأنّما هو يرقى ... ويرقى ... ويبصر ما لم يك يبصر ... ويعلم ما لم
يكن يعلم ...
كلما صعد ... إلى مقام ... استغفر ربه ... عما كان منه ... في
المقام السابق ...

ومن هنا كان الأنبياء ... أكثر الناس استغفاراً ... لأنهم دائمي الترقى ...
فكانوا دائمي الاستغفار ...

استغفارهم ... استغفار أنوار ... صعود من نور إلى نور أعلى ...
أما استغفارنا نحن ... فاستغفار الخروج من الظلمات إلى النور ...
« ربّ اغفر لي » ؟!

هذا هو مطلب سليمان الأول ...
فلما غفر له ... صعد سليمان صعوداً عظيماً ...
وأبصر ما لم يكن يبصر ...
أبصر الله ملكاً ... واسعاً وسیعاً ...
فنادى سليمان ربه :

« هب ... لي ... مُلكاً »! ...
وأنتى على ... المَلِك ... المَلِك ... المقتدر ...
« إنك أنت الوهاب »! ...
انظر ... إلى الجمال الشعشعاني؟! ...
هب لي ... إنك أنت الوهاب! ...
أنبياء ... ليس كمثَل كلامهم كلام! ...
يفوح من أفواههم الشريفة عطرأ وطيبأ ونورأ! ...
وليس ذاك ونعده ... ولكن ...
« لا ينبغي لأحد من بعدي »! ...
مُلكاً انفراد به ... لا يشركني فيه أحد من بعدي ...
مُلكاً ... تخصني به ... ولا يتكرر في أحد من بعدي ...
طمع لا آخر له ...
فاستجاب ربه لندائه ... استجابة ... لا آخر لها! ...
وأعطاء ... ثم أعطاء ... ثم أعطاء ...
« هذا عطائنا »؟! ...
بنون العظمة ... إشارة الى شمول العطاء ... « وأوتينا من كل شيء » ...
أعطاء في الظاهر ... في الدنيا ... آتاه مُلكاً عظيماً ... فوق ما ورثه
عن أبيه داود ...
وأعطاء في الباطن ... مُلكاً أعظم ... فوق ما ورثه عن أبيه داود ...
فسخر له الريح ...
« فسخرنا له الريح تجري بأمره .

رُخاء حيث أصاب « ..
عجب ... لقد امتد المسالك إلى الهواء ...
بل ما هو أعجب ؟! ..
سخّر له الجنّ ؟! ..
« والشياطين كل بناء وغوّاص » ..
بل ويفعل بهم ما يشاء ...
« وآخرين مقرنين في الأصفاد » ..
ما هذا ؟! ..
« هذا عطاؤنا » ..
وإلى أي مدى له حرية التصرف في هذه العوالم ؟!
بغير حدود ... افعل يا سليمان ما تشاء ! ..
« فامنن أو أمسك » ..
لك مطلق التصرف ! ..
وكيف أطبق حساب هؤلاء جميعاً يا رب ؟!
« بغير حساب » ..
لا حساب عليك يا سليمان ... فيما آتيناك ... ولا فيما فعلت فيما
مأعطيناك ! ..
ما هذا ... كيف هذا ؟!
لقد نادى سليمان ربه « هب لي » ... « إنك أنت الوهاب » ! ..
وملك الملوك ... إذا وهب ... لا تسألن عن السبب ! ..

هل هذا هو كل ما وهب الله اسليان ؟!

كلا ... ثم كلا ... وتأمل قول سليمان وهو في طرب النعمة ... وشكر
المنعم الوهاب ... « وأوتينا من كل شيء » ... تدرك أن ما آتاه الله ... لا
تطبيقه العقول ...

وفي هذا يقول ابن العربي :

« لو نبهنا على المقام السلياني على تمامه .
« لرأيت أمراً يهلك الاممادع عليه » !..

فسخونا . . . له . . . الويح . . . 19

قال تعالى . . .

« فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء .

حيث أصاب » .

وفي موضع آخر :

« ولسليان الريح عاصفة تجري .

بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » .

وفي سورة أخرى :

« ولسليان الريح غدوها شهر ورواحها شهر » . . .

بالتأمل والتعمق في الآيات . . . نجد أحوالاً ثلاثة . . .

مرة . . . تكون الريح رخاء أي : لينة هادئة . . .

ومرة تكون . . . عاصفة . . . أي شديدة الهبوب . . .

ومرة تكون . . . غدوها شهر . . . ورواحها شهر . . . أي تقطع في يوم

واحد . . . ما يقطعهُ المسافرون في شهرين اثنين . . .

فما معنى هذا كله . . . وكيف كان هذا ؟!

« فسخرنا » الفاء هنا إشارة إلى الفورية . . . أي بمجرد أن دعانا « رب

اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » . . .

استجبنا له ... وفوراً ... سخرنّا له الريح ...

فوراً ... آتيناها شيئاً جديداً ... أضفنا إلى مُلكه طاقة جديدة ...
قوة جديدة ... قوة جبارة هدامة ... لم تكن لأحد قبله ... ولا لأحد بعده ...
وقلنا فوراً : يا ريحُ أطيعي أمر سليمان ... هبّي رُخاء حيث أراد أن
تهب ... وهبّي عاصفة حيث أراد أن تعصفي ... وسيري بأمره حيث شاء ...
وأنت يا سليمان ... اعلم أننا سخرنّا لك الريح ... تجري بأمرك حيث
تشاء ... طوراً رُخاء إذا شئت رُخاء ... وطوراً عاصفة إذا شئت عاصفة ...
هذا نمتق جديد في ذلك الأمر الجديد ... من مُلك سليمان ...

ولكن هناك إشارة جبّارة في قوله تعالى : « وسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر » ١٢.

وما هي الإشارة في هذا ١٢ ولماذا لا يكون غدوها مثلاً شهرين ورواحها
شهرين ... لماذا شهر في الغدو ... وشهر في الرواح ... لماذا شهر
واحد بالذات ١٢.

لعل السر في ذلك ... هو تحديد مجال التسخير لسليمان ...

أي اعلم يا سليمان ... أننا سخرنّا لك الريح ... تجري بأمرك حيث
شئت ... كيف شئت ... في مجال محدد لا تتعداه ...

في دائرة عرضها مسيرة المسافر شهراً ... وطولها مسيرة المسافر شهراً ...
فإذا كانت المسافر مثلاً يقطع ٥٠ كيلو في اليوم ... فهو يقطع في الشهر
٥٠ × ٣٠ أي ١٥٠٠ كيلو ...

أي مجال تسخير الرياح لك يا سليمان هو ١٥٠٠ كيلو ذهاباً و ١٥٠٠
كيلو إياباً ...

أما ما وراء ذلك من الريح ... في الكرة الأرضية ... فلا سلطان
لك عليه ...

انه تحديد لمجال التسخير ... ولعل الحكمة في ذلك ... هو عدم اضطراب
دورات الرياح في الكرة الأرضية ... مما يعود بالضرر على سكانها ...

وبالتأمل نجد أن ساحل الشام حيث كان ملك سليمان يمتد من الشمال إلى
الجنوب ما يوازي مسيرة شهر للمسافر في عصر سليمان حيث كانوا يركبون
الدواب ...

أي سخرنالك الريح تجري بأمرك ... في منطقة مُملكك ... وما حوله
من اليابس أو البحر ... ونجد الإشارة إلى ذلك في قوله « تجري بأمره إلى
الأرض التي باركنا فيها » أي أرض الشام ...

وعلى هذا يتكامل المعنى ... وتفسر الآيات بعضها بعضاً ...

فنفهم أن الله ... أعطى سليمان طاقة جديدة في مُملكه ... ليست لأحد
من الملوك المعاصرين له ...

أعطاه الريح ... قوة الريح ... طاقة جديدة ...

يسخرها كيف شاء ... متى شاء ... ان شاء رُخاء ليلة هادئة ... وإن
شاء عاصفة شديدة العصف ... في حدود مسيرة شهر ... في حدود رقعة
مملكته بالشام ... برأ وبجراً ...

ففي البحر حيث تسير سفن سليمان ... يأمر الريح أن تجري عاصفة ...

فتتحرك السفن سريعاً ... وتصل إلى غاياتهم أسرع من مثيلاتها في
أنحاء العالم ...

أو يأمرها ... أن تجري رخاء أي هادئة ... إذا رأى أن المصلحة
في هدوئها ...

وفي البر ... له نفس السلطان ... فالرياح تحت أمره ... رخاء وعاصفة ...
حسبما يشاء ...

كل أولئك ... مسيرة شهر ... في الذهاب أو الإياب ...

أي أن سليمان نُقل إلى عصر السرعة بتسخير الرياح له ... بينما سائر
الملوك وسائر الدول ... تعيش في نواميس عصرها ... وتخضع للبطء في
وسائل مواصلاتها ...

وهذا تفوق هائل لسليمان ودولته ... على سائر الدول التي في عصره .
وأخرى أكثر تحديداً ... وأعجب فهماً !..

أن يا سليمان الرياح تحت أمرك ... مسيرة شهر ... من حيث تأمرها ...
من المكان الذي تأمرها فيه « تجري بأمره رخاء حيث أصاب » حيث أراد ...
حيث صدر أمره ... من حيث هو قائم ...

فإذا كان مثلاً في عاصمة مملكته في بيت المقدس ... وأمر الرياح أن
تعمصف ... فله عليها السلطان التام ... على امتداد مسيرة شهر ... في أي
اتجاه ... إما شمالاً ... وإما جنوباً وإما شرقاً وإما غرباً ... من
نقطة البدء ... من المكان الذي صدرت إرادته فيه ... أي من عاصمة مملكته
حيث أراد ... حيث صدر أمره إلى الرياح ...

وهذا يفسر لنا عجائب بساط الرياح ... الذي كثرت فيه الأقاصيص ..

فمن قائل ... كان لسليمان بساط تحمله الريح حيث شاء من الأرض ...
ويركب هو عليه ومعه من شاء من جنوده من الجن والإنس والطير ...

ويطير به ومن معه ... يأمره أن يسرع فيسرع ... وأن يبطيء
فيبطيء ... وأن يرتفع فيرتفع ... وأن ينخفض فينخفض ... كيفما شاء ...

ودروا في ذلك الخيالات ... وأطلقوا العبارات ...

والذي أميل اليه ... أنت بساط الريح ... حقيقة ... لا نذهب إلى
انكاره كما ذهب بعض العلماء .

ولا نذهب إلى المغالاة في وصفه ... كما غالى كثير من القصاص ...

وإنما نقول بالأمر الوَسَط ...

ان بساط الريح ... حقيقة ... يؤيد ذلك ... تسخير الريح لسليان ...
تجري بأمره حيث يشاء كيفما شاء ...

إذا ما فائدة تسخير الريح له ... إذا لم يستعملها في تنقلاته ... فيتحقق
له التفوق على سائر ملوك زمانه ...

فبينما هم جميعاً لاصقون بالأرض ... يتحركون عليها ركباناً ومشاة ... إذا
هو يطير في الهواء ... ويتحرك حيث يشاء تحمله الريح .

فإذا كان لا يستطيع ركوب الريح ... وتسخيرها لحمله ... ومن شاء من
جنوده ... فما هي الميزة التي انتفع بها من تسخير الريح ... وما هو التفوق
الذي يتحقق له على سائر الملوك ... حتى يكون ملكه « ملكاً لا ينبغي لأحد
من بعده » ١٩ .

فالذي أميل اليه ... ان بساط الريح حقيقة ... والذي لا أميل اليه هو
المغالاة في وصفه ...

ولمّا نقول ... انه كان لسليان بساط يركبه ومعه من شاء من حاشيته ...
من الجن والإنس والطير ... ويأمر الريح فتحمله ... وترتفع به ... وتجري
به سريعاً أي عاصفة ... أو بطيئاً أي رخاء ... حيث أصاب أي
حيث أراد ...

ثم يأمر الريح أن تهبط به فتتهبط ... أو تعلو به فتعلو ...
وكل أولئك يتشمشع من قوله تعالى « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء
حيث أصاب » ...

وفي كلمة « رخاء » هنا إشارة جديدة ... أي لينه ... أي هي تلين
لأمره ... هي طوع أمره ... يفعل بها ما يشاء ... وتنفعل لأمره كيفما شاء ...
وإن استفاضة أخبار بساط الريح ... وتواترها دليل من أدلة كونه
حقيقة ... كانت واقعة ... وليست محض خيال ...

ولمّا الخيال فيها ... هو المغالاة في وصفه ... والإسراف في الأساطير التي
نسبت اليه ...

قال صاحب تفسير « الفواتح الإلهية » ...

« وحشر » وجمع

« لسليان جنوده من الجن والإنس والطير » وقد كان معسكره مسيرة
مائة فرسخ ، خمسة وعشرون للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة
وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش .

« تمشي كل طائفة منهم من بني نوعهم صافين مستوين ، وإن تسابق بعضهم على بعض ... »

« فهم » حينئذ

« يؤزعون » ويحبسون حتى يتلاحقوا ، ويتساوى صفوفهم .

« وكان سليمان صلي الله عليه وسلم يأمر الريح فترفعه فوق رؤوسهم ، مشرفاً عليهم ، فتسير معه رخاء ، من كمال فضل الله عليه أنه ما تكلم أحد منهم بكلام إلا وقد حملته الريح وألقته في سمعه . »

« فبينما هو يسير مع عسكره هكذا ، قد رأى وجنده حراث فقال مستغرباً متعجباً : والله لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً ! »

« فسمع سليمان عليه السلام قوله »

« ومشى نحوه فقال له : إنما مشيت إليك لأوصيك ، إن لا تتمنى ما لا تقدر عليه ، وليس في وسعك تدبيره . »

« ثم قال : والله لتسيبحة واحدة يتقبلها الله ، خير مما أوتي آل داود . »

وأقول : مثل هذا القصص قصص حق ... تناقله أئمة أعلام ...

وراضح فيه ... أن سليمان كان يأمر الريح فترفعه عليهم ... ويستعرض جيوشه وهو على هذه الصورة البديعة ...

لقد عُجِّل لسليمان ... ما يفعله الملوك الآن ... حين يركبون طائرة هيلوكوبتر ... ويستعرضون منها ... جيوشهم ... في الاستعراضات العسكرية الضخمة ...

إن ما أوتي النبيون من معجزات ... إشارة إلى بني آدم جميعاً ... على

امتداد الحياة البشرية ... أنهم سوف يحققون بالعلم ... شيئاً مما عجزه الله
لأنبيائه كمعجزات لهم ... وآيات منه ...

إن الإشارة في تسخير الرياح لسليمان ... يركبها ... حيث يشاء ...
ويأمرها عاصفة وريخاء ... تؤكد أن ما طوي لسليمان من تسخير الرياح ...

سوف يُعطى لجنس الإنسان مستقبلاً ...

ولكن بنواميس العلم ... ونواميس الأسباب ...

لا هبة من الوهاب ... كما أوتي سليمان ...

وهذا ما كان ... فقد تحقق للإنسان ... على مر الأيام ... بعد سليمان ...
ما أشارت إليه معجزة سليمان في تسخير الرياح له ...

فها هو الإنسان الآن ... يركب الرياح ... ويسير بها حيث يشاء ...
كيفما شاء ...

ها هي الطائرات ... النفاثة وغير النفاثة ... والأسرع من الصوت ...

ها هي القلاع الطائرة ... يركبها الناس ... وتحملهم الرياح حيث شاءوا ...
لا مسيرة شهر ... في الذهاب أو الإياب ... بل مسيرة سنين ...

ها هو الإنسان يطير في الهواء ... ويركب الرياح حيث يشاء ...

بل تجاوز هذه المرحلة ... وها هي سفن الفضاء ... تحمله ... فيشق
مناطق الرياح كلها في لحظات ... ويدخل مناطق اللاوزن ... ثم يرقى إلى
إلى طبقات أعلى وأعلى ... وينزل على كوكب القمر ...

وها هو سباق الفضاء ... يبشر بالوصول إلى ما هو أبعد من القمر ...

وتحققت الإشارة ... في معجزة تسخير الرياح لسليمان ...

وصار الآن ... ما كان معجزة لسليمان ...

حقيقة واقعة ... يستمتع بها كل إنسان ... ولكن عن طريق العلم ...
ومن هنا نقول للذين استبعدوا ... بساط الريح ... وذهبوا إلى إنكاره ...
لا تسرفوا في الإنكار ... فإن الإنسان بعلمه الآن ... صنع ما هو أعجب
من بساط الريح الذي كان لسليمان ...

فإن مركبة الفضاء ... التي تنطلق من الأرض إلى القمر ... ثم تعود من
القمر إلى الأرض ... أمكن أن تحقق ما لم يحققه بساط الريح لسليمان ...
وهذا كله بالعلم والتجربة ...

فكيف تستبعدون بساط الريح لسليمان ... وهو صادر من أفق أعلى ...
ومن أمر إلهي « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب » ١٢ .

تسخیر ... الجن ...
لسلیمان ... ۱۹

لثن ...

كان تسخير الريح لسليمان عجيبياً ...
فإن ما هو أعجب ... تسخير الجن لسليمان ...
وأعجب من تسخيرهم ... أن يقوموا له بأعمال يعجز عنها الناس ...
ثم الأعجب من كل ذلك ... أنهم لا يستطيعون الإفلات من قبضته
وسلطانه ...

يقول تعالى :

« والشياطين كل بناء وغواص .
« وآخرين مفرنين في الأسفاد .
« هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » .

وفي موضع آخر :

« ... ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا
نلقى من عذاب السعير .

« يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات أعمالوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .

وفي موضع آخر :

« وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يؤزعون » .

وفي موضع رابع :

« وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَفُوصُونَ لَكَ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ » .

وفي موضع خامس :

« قَالَ عَفَرْتُكَ مِنَ الْجِنِّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ » .

من هذه النصوص يثبت أن الله أذن لسليمان في تسخير الجنّ ...

وآتاه الله بذلك قوة جديدة ... بالإضافة إلى قوة تسخير الريح ...

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله :

« وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ » ...

أي قواته ... من الجنّ ...

وقواته ... من الإنس ...

وقواته ... من الطير ...

وقبل أن نسبح في هذا البحر العجيب ... ببحر تسخير الجنّ لسليمان ...

يواجهنا سؤال خطير لازم ...

ما هو الجن ؟!

الجنّ خلق من خلق الله ...

يأكلون ... ويتزاوجون ... ويتناسلون ... ويطعمون ...

أما دليل أنهم خلق من خلق الله ... فمثل قوله تعالى :

« وَخَلَقَ الْعِجَانِ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ » .

وقوله تعالى :

« وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ » .

فالجنّ ... أو الجانّ ... خُلِقَ من نار ...

أما دليل أنهم يتزاوجون ويتناسلون ويطمثون ... فمثل قوله تعالى :

« لَمْ يَعْلَمِشْهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ » .

ومثل قوله :

« أَفَتَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي » ؟! .

والجنّ مكلفون ... ومنهم الصالحون ... ومنهم المجرمون ...

« وَأَنْتُمْ مِمَّنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّنَّا دُونَ ذَلِكَ كَفَّاءُ طَرَائِقٍ قَدَّادًا » .

والجنّ يُبْعَثُونَ ... وسوف يُسْأَلُونَ يوم القيامة ... فلإما إلى الجنة ...

ولإما إلى النار ...

وهم يرونا ... ونحن لا نراهم ...

لأنهم أجسام لطيفة ... ونحن في أجسام كثيفة ...

« ... إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ » ...

هذا هو الناموس العام ...

وإذا شَفَّ الإنسان ... استطاع أن يراهم ...

وهذا واقع لكثير من أهل هذه الصفة ...

إلا أن المرتبة الآدمية أشرف من المرتبة الجنية ...

فالإنسان الصالح أرقى وأرقى من الجنّ الصالح ...

قال القاشاني في شرح الفصوص لابن العربي :

« واعلم ان الجن أرواح قوية متجسدة في أجرام لطيفة .
« يغلب عليها الجوهر الناري والهوائي ، كما غلب علينا الجوهر
الأرضي والمائي .

« وللطافة جواهر أجسامهم وقوة أرواحهم ، أقدرهم الله على التشكل
بالأشكال المختلفة .

« والتمكن من حركات سريعة ، وأعمال عن وسع البشر
متجاوزة ، كالملائكة .

« إلا أنها سفلية ، والملائكة علوية » .

هذه فكرة سريعة ... سطحية ... كمقدمة لازمة لهذا الباب ... باب
تسخير الجنّ لسليمان ...

والمحرم من الجنّ يسمى شيطانا ...

وهم أنواع منهم المارد ...

« وحفظا من كل شيطان مارد » .

ومنهم العفريت ... وهو المتمرد ... شديد التمرد ...

« قال عفريت من الجنّ » ...

وبالتأمل في نصوص الكتاب الكريم ... نجد أن الكتاب يشير إلى أن
الذين سخرهم سليمان في الأعمال الشاقة ... التي لا يستطيعها البشر ... كانوا من
مجرمي الجنّ ... الذين يُطلق عليهم الشياطين ... انظر ...

« والشياطين كل بناء وغواص » .

أي : وسخرنا له الشياطين الجنّ ... كل ماهر منهم في أعمال البناء ...
وكل ماهر في أعمال الغوص في البحار ...

ومن حيث أنهم مجرمون متمردون أصلاً ... فيجب أخذهم بالعنف ...
« وآخرين مقرنين في الأصفاد » .
يعاقبهم أشد العقاب ...
ويجعلهم مقرنين ... مقيدين في الأغلال ... جزاء إجرامهم ...
وعقوبة تمردهم !...
بل كان يعاقبهم بما هو أشد ... بإحراقهم حرقاً ... جزاء زيغهم ...
« ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربه .
« ومن يزغ منهم عن أمرنا .
« نذقه من عذاب السعير » .
عذاب النار ... عذاب الإحراق فوراً ...
ثم انظر الى قوله « ومن الجنّ من يعمل بين يديه » ...
أي : ونوع من الجن مسخر له ... يعمل تحت يديه ... وله عليه
السلطان التام ...
ثم انظر إلى قوله :
« ومن الشياطين من يغوسون له ويعملون عملاً دون ذلك » ...
تجد أن المسخر له في الأعمال الشاقة كالغوص في البحار ... هو من نوع
الشياطين ... أي من مجرمي الجنّ ...
وليس معنى هذا ... أن المسخر من الجن لسلطان هو نوع الشياطين فقط ...
كلا ... وإنما كل الجن مسخر لسلطان ...
وإنما نص على الشياطين ... الذين هم عتاة الجنّ ... لأنه أدل على القدرة
والتمسك ... فإن الاقتدار على الجبارة والعتاة دليل على قوة التسلط عليهم ...

كما أن الحكمة في تسخير الشياطين في الأعمال الشاقة ... دون الصالحين من الجن ... أن يكون ذلك نوع عقاب لهم وإذلال ... أما الصالحون فالمناسب لهم التكريم وعدم التسخير ...

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى :

« ... فلما خسر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

إذا هم كانوا وهم يعملون فيما يعملون فيه لسيان ... كانوا في عذاب مهين ... فيه أشد إهانة لهم ... وأشد عذاب !..

كائنات كانت حرّة منطلقة ... تعربد كيف شاءت ... وفجأة سُلسلت بالأصفاد ... وأرغمت على السخرة ... والعمل باستمرار لأدميين ... ولا تستطيع أن تكف يدها عن العمل ... ولا أن تهرب ... أو تزين ...

لأن هناك عقاباً أليماً ... ينتظرها ... إما الأغلال ... وإما الإحراق ... وزاد في غيظهم ... أنهم لبثوا هكذا مدة طويلة ... يظنون أن سيان لم يمت ... فلما سقطت عصاه وأيقنوا بموته ... اشتد غيظهم : كيف يمكن أن يكون أسارى سيان هكذا ... يكذبون وهم لا يعلمون !؟

وإذا علمنا أن هؤلاء المسخرون من الجن في شاق الأعمال ... كانوا يعربدون في الأرض ... بحسب طبيعتهم الشياطينية الإجرامية ... علمنا مدى ضيقهم وضجرهم من القبض عليهم ... وإرغامهم على التسخير في عمل مُعين لهم ...

وعلمنا كذلك مدى الحكمة ... في تسخير هذا النوع الشرير بالذات ... لأن فيه كفتهم عن مباشرة شرورهم ...

كما تقبض الدولة على أكابر مجرميها ... وترجمهم في سجونها ...
منعاً لشرورهم ...

ثم ماذا؟ ... ثم ما هي الفائدة التي تعود على سليمان ... من تسخير
الجنّ لأمره ... وقد كان يمكن له أن يسخر من شاء من الناس بدلاً منهم؟ ...
الفائدة واضحة ... أن الجنّ طاقة عاملة ... انتاجية بلا مقابل ...
وبلا أجور ...

فإن تسخير البشر في العمل ... يحتم أن تدفع لهم أجوراً ... وأن تهـب
لهم مساكن ومتطلبات تتكلف كثيراً ...

أما الجنّ ... فإنهم يعملون ... وينتجون ... ولا يكلفون سليمان
أجوراً ولا إنفاقاً ...

فهم طاقة جبارة منتجة ... بلا أجور أو تكلفة ...

وهذه ثروة ضخمة ... تضاف إلى ثروة الملك سليمان ...

فإنه لا يوجد في الأرض في عصره مثلك ... يملك قوة منتجة بلا مقابل من
أحد سواء ...

وفائدة أخرى ... أن الجنّ يقومون بأعمال لا يستطيعها البشر
أياً ما كانوا ...

فالنوص في أعماق المحيطات ... واستخراج الآلئ ... وإحضارها بسرعة
الجنّ إلى سليمان ... شيء لا يستطيعه البشر في عصر سليمان ... ولا بعد
عصر سليمان ...

وفائدة ثالثة ... أن فنون الجنّ في أعمال التشييد والبناء وزخرفة المباني
زخرفة عجيبة ... خارقة لعصر سليمان ... كل ذلك يجعل سليمان متفوقاً على
جميع ملوك الأرض في عصره ... وبمد عصره ...

ومثال ذلك في صريح القرآن :

« وقيل لها ادخلي الصرح .

« فلما رآته حسبه لشجّة وكشفت عن ساقها .

« وقال إنه صرح ممرد من قوارير » ...

هذا القصر الأملس ... المُنشيد كله من زجاج مختلف الألوان ... مما دفع
ملكة سبا أن ترفع ثوبها ... وتكشف عن ساقها ... ظناً منها ... أنه بحر
يجري فيه الماء ...

بمن صنع له هذا القصر العجيب ... الذي لا عهد لملك من الملوك بمثله ؟!
إنهم الجنّ ... أصحاب الصناعات البديعة ... التي لم يكن البشر حتى عهد
سليان ... يعلمون عنها شيئاً !..

وهذا تفوق كبير ... لسليان على جميع ملوك عصره ... بل على جميع
ملوك من بعده ...

فما سمعنا أن ملكاً ... أقيم له قصر كبير كله من الزجاج شديد الشفافية ...
من قوارير ... تجري المياه من خلاله ... ولا يدرك الناظر اليها ... أن
هناك زجاجاً من فوقها من شدة صفاء الزجاج ... وهذا معنى « من
قوارير » ...

وهذا كله ... شيء من معاني « ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ...
وقد كان ... وما صنع هذا ملك بعده ... وما يستطيع ذلك أحد
من بعده ...

ثم ماذا ؟! ثم إن تسخير الجنّ لسليان ...

منظر ... من المناظر الإلهية ... الفريدة العجيبة ...

منظر ... خطوطه المريضة ...
ملك من البشر ... له سلطان مطلق على عوالم الجن ...
والجنّ عوالم بالملايين ... لا يحصيهم إلا الله ...
وسليان مُسلط عليهم بإذن الله ...
يأمرهم بما شاء ... ولا يعصون له أمراً ...
ويستخر منهم ما شاء ... فيما شاء ...
ويعتقل منهم من شاء ... ويفرج منهم من شاء ...
« قامشُنْ أو أمسِكْ » ...
امشُنْ على من شئت منهم بالإفراج عنه ... أو إعفائه من السخرة ...
أو أمسك مَنْ شئت منهم ... معتقلاً في الأصفاد ... أو أمسك من منهم
مسخرأ في الأعمال ...
يأمرهم أن يعملوا له ما يشاء ... ما يخطر على باله ... من عجيب
الإنشاءات العبادية ...
« يعملون له ما يشاء من محاريب » ...
ويخرجونها أبدع إخراج ... ويزخرفونها بعجيب الزخارف ...
« وتمثيل » وكان ذلك مشروعاً في شريعته ... يبدونها في المعابد ...
أو يأمرهم بإقامة أضخم المشروعات الدنيوية ... في أسرع وقت ...
« وجفان كالجواب » وقصاع الطعام كأنها الحياض الضخمة ...
أدوات الطعام ... التي يُقدم فيها الطعام لألوف الجن ...
وألوف الضيوف ...

« وقدور راسيات » ثابتات لضخامتها ... من الصعب نقلها لثقلها
وضخامتها ...

لوازم الجيوش الضخمة ... لوازم طهي الطعام لألف الجنود ... وألف
العمال الذين يعملون لسليمان ...

منظر فريد ... ألف من الجن ... تعمل ليل نهار لسليمان ...

هذا في البر ... فماذا في البحر ؟

« ومن الشياطين من يفوضون له » ...

عماقة من الجن ... يفوضون له في سائر البحار ...

ويستخرجون له اللؤلؤ والمرجان ... وما يحتاج اليه من غرائب البحار ...
ثم يعودون يحملون ما استخرجوا ... ويضعونه بين يديه ...

ليس ذاك وحده ... بل هم

يخافونه خوفاً شديداً ...

ويدلك على ذلك ... أنهم مكثوا يعملون له ولا يجترءون على التوقف عن
العمل ... طيلة لبثه متكئاً على عصاه ... رغم أنه كان ميتاً ...

ولكن إذا نظروا ... ورأوه قائماً ... ظنوا أنه حي ... فاستمروا
يعملون ...

وهذا يفسر لك شدة خوفهم من سليمان ...

لقد كان سليمان آنذاك سلطان البشر ... المسلط عليهم ...

وكان هذا إشارة إلى قوة الجنس البشري ... وتفوقه على الجنس الجنسي ...

وها هو بشر واحد ... آدمي واحد ... وكل الجن مسخرون لأمره بإذن ربه ...

فهو أعلى منهم جميعاً ... لأنهم سُخِّروا له جميعاً ...

منظر من المناظر الالهية الفريدة العجيبة ...

تجلت في سليمان ... وكم هناك من مناظر إلهية ... تجلت فيه !...
وهناك معنى أنسب بمقدرة الجن في قوله « وجفان كالجواب » وقضائ
ضخمة كالخياض في الضخامة ...

« وقدور راسيات » وقدور ضخمة لا تحرك من أماكنها ...
وهذا كله لزوم الصناعات المعدنية التي كانت تعج بها دولة سليمان ...
جفان كالجواب ... أحواض ضخمة يصب فيها الحديد ... أو النحاس
المذاب ... ليتشكل بالأشكال المطلوبة ...

وقدور راسيات ... وهي المرحلة السابقة على صب الحديد المذاب والنحاس
في الجفان ... مرحلة صهر الحديد أو النحاس ... وهذه يتحتم أن تكون قدوراً
ضخمة متينة مما يجعلها يصبغ نقلها أو تحريكها ... حيث يوقد تحتها النيران
لصهر خام الحديد أو النحاس الذي فيها ...

أي ان الجن يصنعون له ما يعجزز البشر عن صناعته من لوازم صناعات
الحديد والنحاس ...

فالقدور لصهر الحديد والنحاس ...
والجفان ... لصب سائل الحديد والنحاس فيها ... لتشكيله في الهيئة
المطلوب تشكيله فيها ...

وهذا أنسب لطبيعة الجن ... وعظمة الأعمال التي قاموا بها لسليمان ...
وأظهر لوجه المنسة التي من الله عليه ... وميزه بها !...
جفان ... كالجواب ... كالأحواض ...

انها أحواض الصب ... صب سائل الحديد ... أو سائل النحاس ...
بحيث إذا برد أخذ الشكل المطلوب .

ففي الحوض المستدير ... كان لوحاً من الحديد مستديراً ...

وفي الحوض المستطيل ... أعطى لوحاً مستطيلاً وهكذا ...

أما القدور الراسيات ... فهي المرحلة الأولى ... حيث يُصهر الحديد أو
النحاس ... وهذه الأفران يتحتم أن تكون سميكة الجدران ... غليظة
البليان حتى لا تتفجر وتتشقق ... ومن هنا كانت راسيات ... لا تتحرك
وإنما هي ثابتة لتقاوم قوة صهر الحديد أو النحاس ...

وهذا يدخلنا إلى معجزة أخرى ؟!

وَأَسَلْنَا ... لَهُ ... عَيْنَ الْقَطْرِ ... ١٩

جمع ...

الله ... في آية واحدة ... من كتابه الكريم ...

ما خصّ به سليمان ... من معجزات ... زيادة على ما ورثه عن أبيه داود
عليهما السلام ...

حيث قال عزّ من قائل :

« وسليان الريح غدوها شهر ورواحها شهر .

« وأسألنا له عين القطر .

« ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا ننقذه
من عذاب السعير » .

أرأيت !؟

المعجزات الثلاث التي آتاهها الله سليمان ... زيادة عن أبيه ... أو بالإضافة
إلى ما ورثه عن أبيه ...

سجّلت في آية واحدة !..

الريح ... « وسليان الريح » ... وسليان خاصة سخرنا له الريح ...
زدناه تسخير الريح ...

عين القطر ... « وأسكننا له » له خاصة ... « عين القطر » عين الحديد ... أو عين النحاس ...

قالوا : أسكننا من الإساءة ... أي أذننا له من الإذابة ...

وقال البخاري : وأسكننا له عين القطر : أذننا له عين الحديد ...

وقال قتادة : عين من النحاس ...

وقال الأعمش : سلت له كما يسال الماء ...

الجن ... ومن الجن من يعمل بين يديه ...

وهكذا وردت المعجزات الثلاث في آية واحدة متتابعات ...

تسخير الريح ... أسالة الحديد ... تسخير الجن ...

فانضم إلى مُملكه علاوة على ما ورثه عن داوود ... قوَى ثلاث ... ربح تجري بأمره ... حديد أو نحاس ... يسيل له كما يشاء ... عالم من الجن يعمل بين يديه ... أمام عينيه ... وطوع أمره ...

ولكن ما هي عين القطر هذه التي أسأها الله سليمان ؟

هل هي عين تسيل بالحديد كما تسيل العيون بالمساء ... أو عين تسيل بالنحاس ... كما تسيل العيون بالماء ؟

ثم يفرف منها سليمان سائل الحديد ... أو سائل النحاس ... ويصنع منه ما شاء من مصنوعات ؟

هذا جائز في القدرة ... وأظهر العنتة على سليمان ... ودليل على أن الله خصه بشيء لم يكن لأحد قبله ولا لأحد بعده ... استجابة لدعائه « وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » ...

يبقى إشكال آخر ... هل القطر هو الحديد أم هو النحاس ؟

الإمام الكبير البخاري ... ذهب إلى أنه الحديد ...
والذي يميل اليه القلب ... هو رأي البخاري ...
ويقوي ذلك أن الآية السابقة على الآية الجامعة للمعجزات الثلاث تقول :
« ولقد آتينا داوود منا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألّنا له الحديد » .
« أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير » .
وبعد هاتين الآيتين مباشرة :
« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلّنا له عين القطر » ...
فبالنسبة إلى داوود ... « وألّنا له الحديد » . جعلنا الحديد له ليتنا
كالشمع ... يشكل منه ما شاء من دروع سابغات ...
وبالنسبة إلى سليمان ... « وأسلّنا له عين القطر » ... أي آتينا عيناً
يسيل منها الحديد كما يسيل الماء ... تتمة لعطاء داوود ... وزيادة عليه ...
فبعد أن ألين لداوود الحديد ... صار لسليمان مذاباً يسيل كما يسيل الماء ...
ليتّم سليمان ما بدأه داوود من مصنوعات ...
وإذا أخذنا أن « القطر » هو النحاس ... فتكون المعجزة هنا مميزة عن
معجزة داوود في إلانة الحديد ...
هذا من ناحية القطر ... هل هو الحديد أم هو النحاس ؟! .
المهم أن الله أعطى سليمان منبجاً ينبع بالحديد ... ويعدّ بما شاء من المادة
الخام ... خام الحديد ...
وما هنا نفهم الإشارة في قوله تعالى :
« يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات » .

« اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .

« يعملون له » يعمل الجنّ لسلطان ...

« ما يشاء » ما يأمر بعمله ...

« من محاريب » المحاريب بذيان ما دون القصور ... وقيل المحاريب جمع

محراب وهو مقدم كل بيت ... وهو أيضاً المسجد والمصلى ...

أي ما يشاء من واجهات المباني ... التي يتركز فيها النقش والزخرفة ...

أو واجهات المعابد ... حيث فن النحت والتصوير ...

« وقمائيل » جمع قمايل ... وهي الصور ... وكان عمل الصور في الجدران

وغيرها سائماً في شريعتهم ...

والتماثيل تحتاج إلى فن رفيع ... وعلم بديع ... وكانوا يبثونها في

القصور والمعابد ...

« وجفان كالجواب » الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة ... شبهت

بالجوابي وهي الحياض التي يجي فيها الماء ...

أي ... وقصاع كالحياض اتساعاً ...

« وقُدُور راسيات » أي ثابتات لا يحر كن من أما كنهن لعظمهن .

وكا قلنا من قبل ... أن القدور الراسيات ... هي أفران الصهر ... صهر

الحديد أو النحاس ... وهذه يلزم أن تكون قدوراً ضخمة على الغاية من الصلابة

وسمك الجدران ... لتتحمل حرارة الصهر المرتفعة ... وهذا يفسر قوله

« راسيات » أي ثقيلة لا يمكن تحريكها ...

وأما الجفان كالجواب وقد فسرهما الأقدمون ... بالقصاع كالحياض

اتساعاً ... فهذه هي الحياض التي يُصب فيها الحديد السائل أو النحاس

السائل ... بعد نقله من أفران الصهر أو القدور الراسيات ... لتشكيله في

الهيئة المطلوبة وتبريده ... فيجف ويبرد ... ويأخذ شكل الخوض المصبوب فيه ... أي يصير ألواحاً من الحديد أو النحاس ... ومن هذه الألواح ... تبدأ صناعة الحديد ... وصناعة النحاس ...

وها هنا ... يُضاف فهم جديد ...

انه يمكن أن يكون قوله « وأمسكنا له عين القطر » ... بمعنى مكناه من اسالة الحديد ... وإسالة النحاس ... مكناه من اذابة الحديد والنحاس ... من صهر الحديد حتى يصير كالماء ... وصهر النحاس حتى يصير كالماء ...

وهذا يكون في أفران الصهر ... في القدور الراسيات ...

ثم مكناه من صب هذا السائل الحديدي ... أو النحاسي ... في أحواض التبريد ... جفان كالجواب كالحياض ... وهي أحواض فعلاً ... وبالتجفيف عن طريق التبريد في هذه الأحواض ... يعود الحديد أو النحاس صلباً كما كان ... إلا أنه أخذ الشكل المطلوب ...

يمكن أن يكون هذا المعنى صحيحاً ... وهو لا ينافي المنّة على سليمان ... لأن إقامة أفران الصهر ... وأحواض التبريد ... لم يكن قائماً من قبل ... فإذا مكّن الله سليمان من إنشاء أفران الحديد وأحواضه ... بهذه الضخامة ... وسخر له الجنّ ليعملوا له ذلك ... وهو ما لم يكن موجوداً ولا معلوماً للناس من قبل ... فإن ذلك يعتبر منّة وأي منّة؟! .

وسواء هذا الاحتمال ... أو احتمال أن اسالة عين القطر ... كان اسالة عين بالحديد المذاب حقيقة ...

فالخلاصة أن الله أعطى سليمان منبع الحديد ومنبع النحاس ...

وهما أساس إقامة الصناعات الثقيلة والخفيفة كلها في عصره ... العسكرية أو المدنية ...

وسخّر له في ذلك جنوداً ليست لأحد سواه من الملوك في عصره ... أو
من بعده ...

سخر له الجنّ ... يعملون له ما يشاء ... من بديع المباني ... وروائع
المعابد ... وعجيب التماثيل ...

فإن احتاجوا إلى الحديد ... فالحديد بكيات وافرة ...
وإن احتاجوا إلى النحاس ... فالنحاس مكندس لديه ...
وهذا تفوق له على سائر ملوك زمانه ... وبعد زمانه ...
والقوة العاملة في هذا ... قوة خارقة ... لها قدرة خارقة ...
قوة الجنّ ...

ينتجون ويعملون بلا مقابل ...
لأنهم مسخرون ... مهددون جميعاً بالإحراق فوراً ... إذا زاغوا
عن أمره ...

« ومن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ » !!
نذقه فوراً ... عذاب الإحراق ...
وليس معنى عمل الجنّ لسلطان في هذه الأعمال كلها ... أنه أوقف عمل
الإنس في مملكته اكتفاء بالجنّ ...

كلا ... فالكل يعمل عملاً دائماً ...
الإنس يعملون ... « اعملوا آل داوود شكراً » ...
اعملوا كلكم ... واشكروا الله ...
والجنّ ... « يعملون له ما يشاء ... » !!

انها عملية التنافس والمنافسة ... التي هي أساس الإبداع في الأعمال ...
البشر يعملون ... ما هو في قدرة البشر من أعمال ...
والجنّ يعملون ... فيما لا يستطيعه البشر ... وما هو فوق قدرة البشر ...
وبذلك تتم النعمة ... وتستوجب الشكر ... « اعملوا آل داوود
شكراً » !..
وسوف نرى ... في فصول قادمة ... عجائب إنشاءات سليمان ...
وبدائع الصناعات ...
عجائب ... اجتمع فيها فنون البشر ... وفنون الجان !..

فذكرت ... دعوة ...
أخي سليمان ١٩...

أخرج البخاري ...

« عن أبي هريرة رضي الله عنه .

« عن النبي صلى الله عليه وسلم .

« ان عفريتاً من الجنّ تفلّتت البارحة .

« ليقطع عليّ صلاتي .

« فأمكنني الله منه فأخذته .

« فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلّم .

« فلذكرت دعوة أخي سليمان ربّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي .
« فرددته خاسئاً » .

قالوا : عفريت : متعمد من إنس أو جان ...

والعفريت : القوي المتشيطان ...

تفلّتت : تعرض لي فلتة أي بغتة ...

فلذكرت دعوة أخي سليمان ... الخ : دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على ذلك ، إلا أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام .

قال ابن العربي :

« فقد أوتي محمد عليه الصلاة والسلام ما أوتيته سليمان وما ظهر .

« فمكنه الله تمكين قهر من العفريت الذي جاءه بالليل ليفتك به .

« فهمّ بأخذه وربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح فيلعب ولدان

المدينة به .

« فذكر دعوة سليمان عليه السلام فردّه الله خاسئاً .

« فلم يظهر عليه الصلاة والسلام بما أقدر عليه ، وظهر بذلك سليمان .

« ثم قوله (مُلْكًا) فلم يعم ، فعلنا أنه يريد مُلْكًا ما ، ورأيناه قد شورك في كل جزء وجزء من الملك الذي أعطاه الله .

« فعلنا أنه ما اختص إلا بالمجموع من ذلك .

« وبحديث العفريت إنه ما اختص إلا بالظهور .

« وقد يختص سليمان بالمجموع والظهور .

« ولو لم يقل صلى الله عليه وسلم في حديث العفريت « فأمكنه الله منه » لقلنا انه لما همّ بأخذه ذكره الله دعوة سليمان ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدره الله على أخذه فردّه الله خاسئاً .

« فلما قال « فأمكنني الله منه » علمنا أن الله تعالى قد وهبه التصرف فيه .

« ثم ان الله ذكره فتذكر دعوة سليمان ، فتأدب معه .

« فعلنا من هذا أن الذي لا ينبغي لأحد من الخلق بعد سليمان الظهور بذلك في العموم » .

وهذا رأي لطيف لابن العربي ... انه يريد أن يقول ... أن الذي لا ينبغي

لأحد من الناس بعد سليمان ... هو عموم تسخير الجنّ له ... عوالم الجنّ كلها
مستخرة لسليمان في عمومها ... أما تسخير جنّي واحد ... أو عدد محدود من
الجنّ ... فيجوز أن يقع هذا لأحدٍ بعد سليمان ...

أما السيطرة على جميع الجنّ ... والتمكن من عوالمهم كلها ... وتسخيرها
كلها ... وظهورها عياناً مجسمة ... فهذا لا يكون إلا لسليمان ... وهو يدخل
في عموم دعوته « مُلكاً لا يلبيغي لأحدٍ من بعدي » !..

وهو رأي رائع جميل !..

الملك سليمان ... يستعرض ...
سلام الفوسان 19...

قال تعالى ...

« إذ عُرض عليه بالعشي الصافناتُ الجيادُ .
« فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب .
« رُدوها عليّ فطلق مسحا بالسُّوق والأعناق » .
أثنى الله تعالى على سليمان فقال :
« ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب » .
ثم أعطانا مثلاً جميلاً ... يدل على أن سليمان كان أواباً ... في أمره كله ...
رجعاً إلى ربه ... في شئونه كلها ... فقال :
« إذ عُرضَ عليه » إذ أمر بإقامة استعراض عام لسلاح الفرسان
من جيشه ...
فأقيم الاستعراض الملكي ... وجلس سليمان على المنصة ومن حوله قادة
الدولة ... وعُرض عليه ...
« بالعشي » بالمساء ... وهو أفضل وقت لاستعراض الخيل ... حيث
يكون النسيم جميلاً ... لا يرهق الخيل في جريها واستبقاها ...
« الصافنات » الخيل الصافنات ... وهي الخيل التي تدور سريعاً كالرحى ،
على طرف حافر من حوافره ، أن أراد الراكب تدويره ... وهي من أجل

أوصاف الخيل ، وأكملها عند أصحاب القتال ، إذ المبارز كثير ما يحتاج إلى
تدوير فرسه يوم الحرب ... وأثناء النزال ...

« العجباد » سريعة الجري والعدو ...
وذلك انه قد جلس على كرسيه يوماً ... لإعداد أسباب القتال الذي قصد
الخروج اليه يومئذ ... فأمر بعرض الخيول عليه ...
وفي بعض التفاسير ... عُرِض عليه عشرون ألف فرس !...
منظر عسكري رائع ...
عشرون ألف فرس ... من أحسن أنواع الخيل ...
يركب عليها فرسانها ...

ويمرون جميعاً على الملك سليمان ... وهم يسابقون الريح بخيولهم ...
يتنابعون أمامهم عدوياً ... سراعاً ... حتى يغيب الفارس بفرسه عن
الأعين ... ويتوارى في الأفق ... يتوارى بالحجاب ... بحيث يحتاج
عن الأنظار ...

واستغرق الاستعراض الكبير وقتاً طويلاً ...
وأحسن سليمان ان الاستعراض آثار إعجاب الحاضرين ...
« فقال اني أحببت حب الخير » حب الخيل ... والعرب تسمي الخيل
خيراً ... لمسا فيها من الخير ...

« فقال » فوراً بمجرد أن لاحظ سليمان استغراق الجماهير في تتبع
الاستعراض ... وإعجابهم بكثرة الخيل ... وإعجابهم بقوة الدولة ...
فوراً ... قال ... مخاطباً ربه ... مناجياً خالقه ... معتذراً اليه ...
أو اباً اليه ...

« اني أحببت حب الخير » يا رب اني أحببت حسب استعراض
هذه الخيل ...

« عن ذكر ربي » حباً صادراً عن ذكر ربي ... اعلاء لدينك ... ونشراً
لدعوتك ... وإحقاقاً للحق في الأرض ... ما أحببتهم لذاتها ... ولا إعجاباً
بالقوة ... وإنما أجريتهم تنفيذاً لأمرك ... وتعظيماً لجلالك ... وما النصر إلا
من عند الله ...

اللهم اجعلها في سبيلك ... وابتهاء مرضاتك ... ولا تفتننا بقوة ... ولا
تجعلنا نركن إلى الأسباب فنهلك ...

« نعم العبد انه أواب » ١٢.

وهذا مقام من مقامات سليمان ...

ها هو يُعرض عن الخيل ... ويستغرق في مناجات ربه ...
وهكذا أولئك الأنبياء ...

كلهم لله ... ظاهرهم باطنهم ...

حركاتهم ... سكناتهم ...

ها هو يحول استعراض الخيل ... إلى سيمفونية رائعة ... من ذكر الله ...
وشكره على نعمته عليه ...

ها هو يؤوب ويؤوب ... لربه شاكراً ... ذاكراً ... راداً الأمر
كله لله ...

وظل هكذا طيلة مدة الاستعراض ... حتى ١٢.

« حتى توارت بالحجاب » حتى غابت الشمس وتوارت بالآفاق ...
واحتجبت عن الميول ...

هنالك ... وقبل أن يغطي الظلام الأفق ... وتتعذر رؤية الخيل ...

أصدر سليمان أمراً ١٤.

« رُدُّوها عليّ » أعيّدوا الخيل ... تمر عليّ ... تباعاً ... مشاة في سير
بطيء ... بعد أن كانت تمر عليّ وهي تعدو سراعاً ...

وعادت الخيل تمر على سليمان ... متتابعة ...

ووقف الملك سليمان يستقبلها ... كلما مرّ عليه فرس أصيبس ... وعلى
صهوته فارس كريم ...

« فطلق مسجاً » فجعل يمسح سليمان بيده الشريفة ...

« بالسوق » فارة يمسح بيده ساق الفرس ...

« والأعناق » وثارة يمسح عنق الفرس ...

تكريماً للفرس ... وتكريماً للفارس ...

وهذه اللطافات للخيل ... تفرح بها الخيل ... وتتايل لها
طرباً وسروراً ...

ويدرك الفرسان منها ذلك ... فتراهم يمسحون بسوقها وأعناقها ... وهي
تتراقص طرباً ...

ما أعظم الأنبياء ...

وما أكرم الأنبياء ...

انهم أشرف البشر على الإطلاق ...

تصرفاتهم أكمل التصرفات ...

وأحوالهم أزكى الأحوال ...

ها هو النبي ... المسلك ... سليمان ... عليه السلام ...

يستعرض آلاف الخيل ... وآلاف الفرسان ...
فما شغله ذلك عن ذكر ربه ...
بل جعله ذلك ... متوجهاً بكل قلبه إلى ربه ...
فبينما هو في الظاهر ... في استعراض ... في الناس ... إذا هو في
الباطن ... يتوجه إلى ربه ... أن يبارك هذه الخيل ... وهؤلاء الفرسان ...
وأن يجعل ذلك كله في سبيل الله ...
حق الخيل ... لم تحرم من رحمة النبي سليمان ...
ها هو مسح منها ... بالسوق والأعناق ...
وحين تمسح يد النبي فرساً ... يحس ذلك الفرس ... برحمة تسري
في ثناياه ...
لأن الأنبياء ... ممدودون من الله ...
الأنبياء مستودعات للرحمة الربانية ...
فإذا مسّوا شيئاً ... سرى فيه من رحمتهم ...
ولا تعجب ... فإنه سليمان ... وارث داوود ... بكل فضل الله
على داوود ...
وإنه من سخر الله له الريح تجري بأمره حيث يشاء ...
وإنه من سخر الله له الجنّ ...
نبيّ هذا بعض شأنه ...
أتعجب أن تسري الرحمة منه ... إلى الخيل ... إذا مسح منها بالسوق
والأعناق؟ ١٩.

وما .. كفر ... سليمان ١٩...

« وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً .

« شياطين الانس والعجنّ .

« يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » !!

ناموس أزلي ... ما من نبي إلا جعل الله له عدوّاً ...

أي ... ضدّاً ...

قوّة مضادة له ...

هم أهل الظلام ... شياطين ... مجرمو ... الإنس ... ومجرمو الجنّ ...

يُوحى بعضهم ... يوسوس بعضهم إلى بعض ... زخرف القول ... باطل
الأقاويل ... وتزاورق الأوهام ...

غروراً ... وهماً ... يتوهمون من جهلهم أنهم يستطيعون اطفاء نور
الأنبياء ... الذي هو من نور الله ... بأفواههم ... وبما يصدر عنهم
من أباطيل ...

وهيات هيات ...

فلو استطاع أحد ... أن يطفىء الشمس ... اذا نفخ من فيه نفخة ...

لاستطاع هؤلاء المجانين ... أن يطفئوا نور الأنبياء ...

ولكنه ناموس إلهي ...

ما من نبي ... إلا جعل الله له عدوًّا ... شياطين الإنس والجنّ ...
لماذا؟ ليتحقق الصراع ... بين الحق ... الذي جاء به الأنبياء ...
وبين الباطل الذي جاء به الأعداء ...

ومن ضرب هؤلاء هؤلاء ... وهؤلاء هؤلاء ...

تتشعشع الشرارة ...

وتنفجر الذرّة ... ويسطح الحق ... ويذهب الباطل ...

« بل نكذب بالحق .

« على الباطل فيدسه .

« فإذا هو زاهق » ..

فكل نبي ... له عدو ... له ضد ...

وكما يصاول الأنبياء عن حقهم بالقول الحق ...

يصاول الأعداء عن باطلهم ... بزخرف القول غروراً ..

وسليمان ... باعتباره نبياً من الأنبياء ...

يتحتم دخوله ... في هذا الناموس ... ولن نجد لسنة الله تبديلاً ..

فماذا قال أعداء سليمان عنه ... وماذا زخرفوا من الأباطيل ؟ ..

رشقوه ... بأنه ساحر ..

وتلك التهمة عناها الأنبياء جميعاً ... من قبله ... ومن بعده ..

« كذلك ما أتى الدين من قبلهم من رسول إلا قالوا .

« ساحر أو مجنون » .

ما من نبيّ ... إلا رشقوه بإحدى هاتين الفريتين ...

إما ساحر ... وإما مجنون ...
أو بهاتين الأكذوبتين معاً ... ساحر ومجنون ...
والكتاب العزيز ... ناطق بذلك ... في ثناياه ...
ولا يلزم سرد ما ورد فيه ... فإنه مشهور معلوم ...
وحين حار المسمى فرعون في أمر موسى ...
رشقه بالتهمتين معاً ...
« فتولى برُكته وقال .
« ساحر أو مجنون » .!..
هكذا ... ظن هذا اللعين ... أنه قضى على موسى ... حين قرر ... أنه
إما ساحر ... وإما مجنون .!..
فلماذا هاتين الفريتين بالذات ... يرشقون بهما أو بأيهما الأنبياء ؟!..
منشأ هذا هو الغباء .!..
غباء البشرية المتواصل ... وقليل من الناس الأذكياء .!..
الغباء يدفع الأغبياء ... إلى رفض ما أتى به الأنبياء .!..
والمعدة منشؤها ... أن الأنبياء يأتون الناس ... بأفقى أعلى مما ألفوا ...
يدعونهم ... مثلاً ... إلى إله واحد ...
أيُعقل هذا ؟!..
هل يُعقل أن يدير ويدبر هذا الملكوت كله إله واحد ؟!..
« اجْعَلِ الآلهة إلهاً واحداً .
« إن هذا لشيء عجاب » .!..

عجـاب ؟! . ليس شيئاً عجيباً ... وإنما عجـاب !..
إن عقولهم اضطربت أمام هذه الحقيقة الجبارة الهدامة !..
فليس أمامهم إلا أن يرفضوها ثم يقاوموها ... ثم اتهم آمن جاء
بها بالجنون !..
فإذا تخدام الأنبياء بالمعجزات الخارقات ... ولم يستطيعوا لها تفسيراً ...
قالوا ... ساحر ... ما جاء به نوع من السحر !..

تمويهاً على الناس وتخليطاً !..
وهذا ما أصاب سليمان ... من هؤلاء المجرمين ...
رشقوه ... انه ساحر !..
لم يستطيعوا لمعجزاته تفسيراً ...
انه يُسخّر الريح ... تجري بأمره حيث يشاء ... عاصفة ورُخاء ...
ما هذا ... أيعقل هذا ؟!
فماذا إذا يقولون ... قالوا ... انه ساحر ... يسحر الريح ...
ويسخرها بالسحر !..
انه يُسخّر الجنّ ... تعمل بأمره ما يشاء من عجائب الإنشاءات ...
وتغوص له في البحار ... وتأتيه بالمتعولات على بعد آلاف الأميال وتضعها بين
يديه ... كما قال ذلك المفريت :

« قال عفريت من الجنّ .

« أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك » !..

أيعقل هذا ... وكيف هذا ؟!

فماذا يزخرفون في تعليل تلك الخوارق ؟!

ليس أمامهم ... ألا أن يقولوا للناس ... ان سليمان ساحر ... بارع في
السحر ... يُسخر الجنّ بالسحر ... بالتعاويد ... والأقسام ... فتتطاوع
له ... وتعمل له ما يشاء ...

هكذا ... كأنهم أتَوْا على سليمان بهذا من القواعد ١٢ .
وهذا جهل ... وغباء ... منتهى الغباء ...
فإن السحر ... علم تافه ... يستطيعه كثير من التافهين ... ويمكن تعلمه
لمن شاء ...

ولكن معجزات سليمان ... ليست سحراً ... أيها الحمقى الأغبياء ...
معجزات سليمان ... أمرٌ ... صادر من الله ... فضلاً منه على نبيه ...
« وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ...
إنّا نحن الله ... سخرنا ... له خاصة ... الريح ...

قلنا : يا ريحُ أطيعي أمر عبدنا سليمان ... حيث يشاء ... عاصفة
أو رخاء ! ...

فسمعت الريح لأمر ربها ... وحُقَّت ...
وكذلك الجنّ ...

« والشياطينَ » وسخرنا له ... نحن الله ... الشياطين ...
قلنا ... يا أيها الجنّ ... يا أيها الشياطين ... أطيعوا أمر عبدنا سليمان ...
وسمعت الجنّ لربها ... وتطاوعت لسليمان ...
لساذا ١٢ .

« باذن ربه » انه إذن من الله ... لسليمان ...

ما كان سليمان يستطيع أن يُسخّر نملة ... إلا أن يأذن الله له ... وإلا أن يصدر الله إلى النملة أمراً ..

تلك هي مصادر معجزات سليمان ... وهذا ما يعمل على عقول أعدائه ... فلا يستطيعون له فهماً ..

ودافع الله عن نبيه سليمان فقال :

« واتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ .

« وَمَا كَفَّيْرَ سُلَيْمَانَ » .

« وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .

« يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ » ...

ماذا تتلو الشياطين على مُلك سليمان ؟!

ماذا يقول شياطين الإنس والجنّ على عهد سليمان ؟!

وماذا يقولون عن عجائب مُلكه ... من تسخير الريح ...
وتسخير الجنّ ؟!

ماذا يُرجفون ... وماذا يزعمون ؟!

يذيعون في الناس ... أن سليمان ساحر ! ..

وأن كل ما يصدر عنه من خوارق ... وما يعمل له الجنّ من عجائب ...
إنما هو سحر ...

لأنه يسخر الجنّ ... بتعاويذ كتهاويذ الرهبان والعرفان ...

وشاع ذلك وذاع ... على ملك سليمان ... أي على عهده ...
وتناقله أعداؤه ..

« وما كَفَرَ سُلَيْمَانُ » ما نافية ... أي لم يكفر سليمان ... لأن السحر
وتعاطيه ونسبة المعجزات إلى السحر ... كفر بالله ... وقدرته ... وسلطانه
العظيم على خلقه ...

وهذا مستحيل في حق الأنبياء أجمعين ...
ومستحيل أن يصدر عن سليمان ... النبي الكريم ...
لأن السحر يبطل تأثيره بمجرد إبطال مفعوله وتأثيره ...
« ما جنتم به السحر .
« إن الله سيبطله » ...
وليس كذلك المعجزة ...
لأنها حق واقع ... ما له من دافع ...
فلو اجتمع الإنس والجن ... على أن يوقفوا ... مثلاً ... تسخير
الجن لسليمان ما استطاعوا ...
لأن هناك أمر من الله ... أن تتسخّر لسليمان !..
أما السحر فهو تمويه وحيل ينتهي بانتهاء تأثيره ...
« ولكن الشياطين كفروا » ولكن المجرمين ... من شياطين الإنس
والجن ... هم الذين كفروا ... حين كفروا بسليمان ... وأنكروا نبوته ...
وأنكروا معجزاته ... وأنها شيء من الله ...

« يعلمون الناس السحر » وما زالوا يعلمون الناس السحر ...
وهو علم ضار ... لا خير فيه ...
والأعيب ... وتمويه ...
يحاولون بذلك ... اضلال الناس ... وإضرارهم وإرهاقهم ...

وحاشا لسليمان ... أن يكون ساحراً ...
ولو كان ساحراً ... كما تشيعون وترجعون ...
لكان الجنّ أول من يتفقت من سلطانه عليه ...
ولكنهم يعلمون ... أن الأمر أمرنا ... والتسخير بإذن منسأ ...
فأنى لهم الهروب ... من أمرنا ...
« ومن يزغ منهم عن أمرنا نلذقه من عذاب السعير » .
المعجزة ... أمرٌ ... من الله ...
والسحر ... باطل ... من أباطيل الناس ...
هذا هو الفارق ... بين المعجزة ... وبين السحر ...
المعجزة ... بُرهان ... على قدرة الله ... يؤيد بها من شاء من أنبيائه ...
والسحر ... هُتّان ... يصدر عن لا خلاق لهم من الإنسان ...
« ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » .
« ولقد علموا لمن اشتراء ما له في الآخرة من خلاق » .
« ولينس ما كُتروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .
لو كانوا يعلمون ؟! .
وأنى لهم العلم ... وأكثرهم أغبياء ؟! .

سليمان ... ينبغي ... البيت ... ١٩

ني كريم ...

وملك عظيم ...
وهب الله له مُلكاً ... لا ينبغي لأحد من بعده ...
ترك له أبوه داود ... كل امكانيات تشييد بيت الله ...
وأوصاه أن يبني لله بيتاً ... وأصى الشعب كله أن يعاونوه في اقامة ذلك
البيت ...

فما أن استقر سليمان على عرشه ...
وما جاءت السنة الرابعة من مُلكه ...
حق شرع في تشييد البيت ... وصبّ فيه كل امكانيات مُلكه ... وسخر
له طاقات البشر ... وطاقات الجن ...

فجاء أعجوبة من أعاجيب البناء ...
لا يضارعه بناء على الأرض في عصره ...
واستغرق التنفيذ سبع سنين ...
وافتحه سليمان رسمياً ...
ودعا إلى حفل الافتتاح كل الشعب ... رؤساء ومرءوسين ...
وكان يوم الافتتاح عيداً عظيماً ... وحدثاً جسيماً ...

لقد كانت أمنية تمنّاها داوود ...
 ومات وهو يُعيد لها ...
 فأوصى ابنه سليمان ... بتحقيقها ... فحققتها في اخراج يفوق ما كان
 يتخيله داوود ...
 فكيف كان ذلك ؟!
 اليك مقتطفات مما جاء عند أهل الكتاب ... تضع أمامك صورة حيّة
 لذلك المشهد العجيب ...
 وكان لسليمان أربعون ألف منود لحيل مركباته .
 « وإثنا عشر ألف فارس ...
 » وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا جدا ، ورحبة قلب كالرمل الذي
 على شاطئ البحر ...
 وفاقته حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ...
 « وكان صيته في جميع الأمم حواليه .
 » وتكلم بثلاثة آلاف مَثَل .
 « وكانت نشائده ألفاً وخمساً ...
 » وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان ، من جميع ملوك
 الأرض الذين سمعوا بحكمته » .
 هذا شيء عن سليمان ... وعظمة شخصيته ... وعظمة مُملكه ...!
 فماذا عن البيت ؟!
 « ... في السنة الرابعة لملك سليمان ... بنى البيت للرب ...
 » وكان كلام الرب الى سليمان قائداً :

« هذا البيت الذي أنت بانيه ، إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي
وحفظت كل وصاياي لسلوك بها ، فاني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به الى
داوود أبيك » ...

لقد بدأ سليمان بناء البيت في السنة الرابعة من ملكه ... فكيف كانت
هذا البيت ؟!

« فبنى سليمان البيت وأكمله .

« وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز ، من أرض البيت إلى
حيطان السقف .

« وغشاه من داخل بخشب ، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو .

« وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض
إلى الحيطان .

« وبنى داخله لأجل المهراب أي قدس الأقداس .

« وأربعون ذراعاً كانت البيت ، أي الهيكل الذي أمامه .

« وأرّز البيت من داخل كان منقوراً على شكل قتناه وبراعم زهور .

« الجميع أرّز . لم يكن يرى حجر .

« ومياً محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب .

« ولأجل المهراب عشرون ذراعاً طولاً ، وعشرون ذراعاً عرضاً ،
وعشرون ذراعاً سمكاً .

« وغشاه بذهب خالص ، وغشى المذبح بأرّز .

« وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص .

« وسدّ بسلاسل ذهب قدّام المهراب ...

« وغشاه بذهب .

« وجهى البيت غشاء بذهب ، إلى تمام كل البيت ، وكل المذبح الذي للمحراب غشاء بذهب .

« وعمل في المحراب كروبتين من خشب الزيتون ، علو الواحد عشر أذرع .

« وخمس أذرع جناح الكروب الواحد ، وخمس أذرع جناح الكروب الآخر .

« عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه .

« وعشر أذرع الكروب الآخر .

« قياس واحد ، وشكل واحد للكروبتين .

« علو الكروب الواحد عشر أذرع ، وكذا الكروب الآخر .

« وجعل الكروبتين في وسط البيت الداخلى ، وبسطوا أجنحة الكروبتين فمسّ جناح الواحد الحائط ، وجناح الكروب الآخر مسّ الحائط الآخر ، وكانت أجنحتها في وسط البيت ، يمس أحدهما الآخر .

« وغشى الكروبتين بذهب .

« وجهى حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشا بنقش كروبتين ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج .

« وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج .

« وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون ...

« ورسم عليها نقش كروبتين ونخيل وبراعم زهور وغشاهما بذهب .

« ورصّع الكروبتين والنخيل بذهب .

« وكذلك عمل لدخول الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة، ومصراعين
من خشب السرو .

« المصراع الواحد دفتان تنطويان ، والمصراع الآخر دفتان تنطويان .
« ونحت كروبيم ونخيل وبراعم زهور وغشاها بذهب مطرق على
المنقوش .

« وبني الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة ، وصفاً من جوائز الأرض .
« في السنة الرابعة أسس بيت الرب ...
« وفي السنة الحادية عشرة ... أكمل البيت ، في جميع أموره وأحكامه .
« فبناه في سبع سنين » .

هذه صورة تفصيلية ... للبيت الذي بناه سليمان ...
أثبتناها ... من مراجع أهل الكتاب ... لأنها حدث تاريخي وقع في
يوم من الأيام ! ..

عظمة ... قصور ... سليمان ١٩...

كما ...

أمر سليمان ببناء بيت لله ...
أمر ببناء بيت للملكه ... يجلس فيه ملكاً ...
« وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة ، وأكمل كل بيته .
« وبني بيت وعمر لبنيان طوله مئة ذراع ، وعرضه خمسون ذراعاً ،
وسمكه ثلاثون ذراعاً .
« على أربعة صفوف من أعمدة أرز ، وجوائز أرز على الأعمدة .
« وسقف بأرز من فوق على الفرفات الخمس والأربعين التي على الأعمدة .
« وكل صف خمس عشرة .
« والسقوف ثلاث طباق ، وكوة مقابل كوة ثلاث مرات .
« وجميع الأبواب والقوائم مربعة مسقوفة ، ووجه كوة مقابل كوة
ثلاث مرات .
« وعمل رواق الأعمدة طوله خمسون ذراعاً ، وعرضه ثلاثون ذراعاً .
« ورواقاً آخر قدامها ، وأعمدة وأسكفة قدامها .
« وعمل رواق الكرسي حيث يقضي ، أي رواق القضاء ، وغشى بأرز
من أرض إلى سقف .

وبيته الذي كان يسكنه في دار أخرى داخل الرواق كان كهذا العمل .

« وعمل بيتاً لابنة فرعون التي أخذها سليمان كهذا الرواق .

« كل هذه من حجارة كريمة ، كقياس الحجارة المنحوتة ، منشورة بمنشار من داخل ومن خارج ، من الأساس إلى الأفريز ، ومن خارج إلى الدار الكبيرة .

وكان مؤسساً على حجارة كريمة ، حجارة عظيمة ، حجارة عشر أذرع ، وحجارة ثمان أذرع .

« ومن فوق حجارة كريمة كقياس المنحوتة وأرّز .

« وللدار الكبيرة في مستديرها ثلاثة صفوف منحوتة ، وصنفاً من جوانب الأرّز » ...

هذه بعض أوصاف قصور سليمان ... كما وردت عند أهل الكتاب ...

هذه فكرة عن قصوره ... فماذا عن ريش القصور ؟!

« وعمل الملك سليمان منقي ترس من ذهب مُطَرَّق .

« خصّ الترس الواحد ست مئة شاقل من الذهب .

« وثلاث مئة مجّحّن من ذهب مُطَرَّق .

« خصّ المجن ثلاثة أمّناء من الذهب .

« وجعلها سليمان في بيت وعثر لبنان » .

ما هذا ؟! هذه أدوات حرب من ذهب ...

مئات من القروس والمجانّ من ذهب .!

أودعها المَلِك ... في قصره بالجبل !..
فماذا عن كرسي العرش !؟
« وعمل الملك كرسيًا عظيمًا من عاج ، وغشاه بذهب ابريز .
« وللكرسي ست درجات .
« وللكرسي رأس مستدير من ورائه .
« ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس .
« وأسدان واقفان بجانب اليدين .
« وإثنا عشر أسدًا واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك .
« لم يُعمل مثله في جميع الممالك » !..
هذا كرسي الملك سليمان ...
منظر رائع ... ويزيده روعة ... أن الذي يجلس عليه نبيّ ... ملك !..
فماذا عن آنية الملك سليمان !؟
« وجميع آنية ثروب الملك سليمان من ذهب .
« وعثر لبنان من ذهب خالص .
« لا فضة .
« هي لم تُحسب شيئًا في أيام سليمان » !..
هذه آنية الملك ... صحاف من ذهب ... كؤوس من ذهب خالص !..
انه « ملُكا لا ينبغي لأحد من بعدي » !..
في الملُك الظاهر ... فاق سليمان كل الملوك ...

وفي الملوك الباطن ... يحكم الإنس والجنّ والرياح والطير ...
« فتعاضد الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الفنبى والحكمة .
« وكانت كل الأرض ملتزمة وجه سليمان .
« لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه » !...
ولنترك الآن ملك سليمان الظاهر ...
ونرجع إلى ملكه الباطن ...
لنستمع بشيء من عجائب ملكه الباطن !؟ .

قال ... فملة ... ١٩

قال ...

عزّ ثناؤه ... وتقدست أسماءه ...

« ولقد آتينا داوود وسليمان علماً .

» وقال الحمد لله .

« الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » .

بحر موج ... يوج بالجمال موجاً ... تلكم الآية الجميلة !..

ضمّ موجة سليمان ... إلى موجة داوود ... واعتبرهما موجاً واحداً ...

لأن حقيقة داوود ... هي حقيقة سليمان ...

وحقيقة سليمان ... هي حقيقة داوود ...

كالبحر الزخّار ... تتعالى فيه ملايين الموجات ...

كل موجة لها هديرها ... وزئيرها ... ومظهرها ... ومنظرها ...

فإذا سكن البحر ... عادت الأمواج كلها بجرأ واحداً ..!

فإن قيل : لماذا اعتبر داوود وسليمان موجة واحدة ؟!

قلنا : هاكم اقرءوا ... مطلع الآية التي بعدها مباشرة :

« وورث سليمان داوود » ...

ورثه ورثته كاملة ... كل ما آتى الله داوود ... ورثه سليمان ... ثم
زاده الله ... ما شاء من فضله ...

ان هذا الكتاب عجيب ...
ما من شيء يهيجس في نفسك ... إلا ويسارع الى تبليانه لك قبل أن
تذكر فيه !؟
ولا عجب ... فإن الذي أنزله ... هو الذي يعلم السر في السماوات
والأرض !
« علماء » !؟

الاهام ... للتفخيم والتعظيم ...
علماء ... لا ترقى اليه عقولكم ... ولا يخطر على بالكم ...
خصصناهم بعلم ... ان فصلناهم لكم كذبتم ... وإن اجملناهم لكم جهلتم ...
اثنان ... يعلمان هذا العلم ...
داوود ... وسليمان ...
لأنهما موضع التجربة ... يسري هذا العلم فيهما ... ويجري ...
أما أنتم ... فأنتى لكم الإحاطة بعلمها !؟
الأنبياء ... علماء ...
ولكن أي نوع من العلماء !؟
لا سبيل لنا ... إلى شيء من هذا ... ولا نستطيع حيلة !
علمهم ... منه ... وإليه ...
فهل فهمت شيئاً !؟
هو ... مصدر علمهم ...

وهو ... اليه يصعد علمهم ...

وهو ... أعلم بهم ! ...

وأخرى تتلأ بالجمال الذي لا نهاية لجماله ...

« وقالوا الحمد لله » قال داوود ... الحمد لله ...

وقال سليمان ... الحمد لله ... الثناء كله لله ...

كيف قال داوود ... وكيف قال سليمان ... الحمد لله !؟ .

أما داوود ... فكل ما كان منه ... طيلة حياته ... من أحاسيس ...
أو مزامير ... أو أفعال ... أو أحوال ... هي أمواج من بحر حمد
داوود لله ...

وكذلك سليمان ... كل أحواله ... وكل أنفاسه ... وكل تصرفاته ...
وكل حياته ... هي أمواج في بحر حمده لله ...

لأن الأنبياء ... كلهم ... ظاهريهم وباطنيهم ... لله ...
وهذا هو حمدهم ...

« قل .

« ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي .

« لله رب العالمين .

« لا شريك له .

« وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » !..

فليس معنى « وقالوا الحمد لله » انها قالوا ذلك بلسانها ... أو قالاه حيناً
دون حين ...

كلا ... وإنما حياتهم كلها ... لله ...

وأقوالهم كلها ... ثناء على الله ...
وأفعالهم كلها ... ثناء على الله ...
وقلوبهم ... دائماً جامدة لله ... شاكرة لأنعمه ...
« الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » ...
يشعر داوود ... ويشعر سليمان ...
أن الله ... رفعها رفعا عظيما ... لم يظفر به أحد من المؤمنين ...
نبوة ... ملك ... معجزات ... حكم ... فضل لا آخر له ...
بحار من الأنوار ... يسبحان فيها حيث شاءوا ...
وحي يتنزل عليهم ...
الجبال تنادى « يا جبال أوبي معه » ... من أجل داوود ...
وسليمان ينادى « هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب » ...
تفضل عجيب ... وعطاء واسع غريب ...
وكل منهم يشعر بهذا .. فكان قول داوود باستمرار ... وقرل سليمان
« الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » ...

ثم ماذا ؟

ثم يقول سبحانه :

« وورث سليمان داوود .

« وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير .

« وأوتينا من كل شيء .

« إن هذا هو الفضل المبين » .

« وورث سليمان داوود ؟

ماذا ورث سليمان عن أبيه داوود ؟
 ورثه في النبوة ... هذا نبي ... وذاك نبي ...
 وورثه في الملك ... هذا ملك ... وذاك ملك ...
 وورثه في الحكم ... هذا يحكم بين الناس « فاحكم بين الناس بالحق » ...
 وذاك يحكم بين الناس « وكلا آتينا حكماً وعلماً » ...
 وورثه في الصفات العليا ... صفات الأنبياء ... فأثنى عليها معاً ... في
 ثناء واحد ... « ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب » ... أي نعم
 العبد داوود إنه أواب ... نعم العبد سليمان إنه أواب !..
 وهذا من اعجاز القرآن !..
 أي يشتركان في صفة عليا هي « إنه أواب » ... ويشتركان في جميع
 الصفات العليا ... فكل منهما « نعم العبد » !..
 وفي قوله « ووهبنا لداوود سليمان » إشارة مكنونة ... ان في الابن كل
 ما في الأب من صفات عليا ... وهذا تمام النعمة على داوود ... وتمام النعمة
 على المولود !..
 وورثه في العلم ... وكلا آتينا حكماً وعلماً ...
 وفي قوله « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » إشارة صريحة أن سليمان
 ورث علم أبيه ... ثم زاده « ففهمناها سليمان » !..
 وورثه في العلم بمنطق الطير ...
 فهناك في داوود « والطير محشورة كل له أواب » ...
 وها هنا في سليمان ...

« وقال :

« يا أيها الناس 'علّمنا منطق الطير » ...

كما علّم أبي داود منطق الطير ... فإن الله أورثني ذلك ... وعلّمنا منطق الطير !..

وها هنا 'نلغي عقولنا فوراً ... ونتفكر بقلوبنا ...

لأن العقل ها هنا صفرأ ...

يقف كالأبله لا يفهم شيئاً !..

كيف !؟. العقل يقول ... لا أدري ... لا تحملي ما لا أطيق !..

فنقول له : 'سحقاً لك من أداة تافهة !..

ولنسبح بقلوبنا ... في بحر « علّمنا منطق الطير » لنشهد عجائب هذا

المنظر الإلهي البديع ... الذي كان سليمان هو المرأة التي يتجلى فيها ...

جميع المراتب ... التي هي دون مرتبة الإنسان ...

الحيوان ... الطير ... الزواحف ... الحشرات ... الجراثيم ...

الفيروسات ... الذرات ...

'علّم سليمان ... منطقها ... هذا هو معنى « علّمنا منطق الطير » ...

وإنما نصّ على الطير ... لأنه أقرب إلى فهمنا ... والمنطق فيه

أظهر للإنسان ...

فإن قلت ما دليلك على هذا التوسع !؟.

قلت قوله : « قالت نملة » ... فالنمل مرتبة حشرات ... دون

الطير بكثير ...

وإن قلت وما دليلك على أن سليمان علّم منطق الذرات والجمادات !؟.

قلت قوله « يا جبال أوّبي معه » ... والجبال جمادات ... مكونة من ذرات ... كان داوود يعلم تأويبها ... وتعلم تأويبه ... ويؤوبون « معه » ..!

ورث سليمان داوود ... أي ورثه في هذا !..!

وأخرى قد تمزق عقلك تمزيقاً !..!

أن سليمان كان يعلم منطق الريح ؟!..!

ودليلنا « تجري بأمره رخاء حيث أصاب » !..!

هناك أمر من سليمان إلى الريح ... وهذا الأمر يصدر من سليمان بمنطق تفهمه الريح ... لتستطيع أن تفهم ماذا يريد منها ؟!..! أعاصفة أم رخاء ؟!..!

فمثلاً يريد لها عاصفة ...

فهو يأمرها ... هُبي عاصفة ...

وهذا الأمر يصدر بلغة ... بمنطق تفهمه الريح ... ويفهم سليمان عنها ... كذلك منطقها !..!

فإذا هو قائل عقلك ؟!..!

وأخرى ... قد تسلم بها تسليماً سريعاً ...

أن سليمان علّم منطق الجنّ ... وعلّم الجنّ منطقهم ...

فإن قيل : ما دليلك على هذه الثالثة الأخرى ؟!..!

قلنا : صريح القرآن « قال عفريت من الجنّ أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » ..!

استبان الآن ... ونحن نسبح بقلوبنا ... لا بعقولنا ... في بحر « علّمنا منطق الطير » ... أنه ليس قاصراً على منطق الطير ... ولكن ممتداً ... إلى منطق الزواحف ... الجنّ ... الريح ... الحيوان ... الطير ... الزواحف ...

الحشرات ... الجبال ... الذرات ... وما لا تعلمون !...
وتجد الإشارة إلى ذلك ... في تعقيب سليمان بعدها مباشرة ... اسمع :
« يا أيها الناس 'علّمنا منطق الطير .
'وأوتينا من كل شيء ' ؟ !» .

تأمل هذه بقلبك « وأوتينا من كل شيء » فيها شمول ... ومن شمولها ...
أوتينا منطق كل شيء ... كما أوتينا منطق الطير ... وإنما أطلقها سليمان ولم
يفصلها رحمة بعقول المخاطبين ... لأن عقولهم لا تطيقها ... وتركها لأهل
الإشارة ... وأهل القلوب يفتح الله عليهم في فهمها ما يشاء !..

بحر عجيب ... ومشاهد عجيبة ... وحقاً كما قال سليمان ...
« ان هذا هو الفضل المبين » . الواضح وضوحاً شديداً ... لمن كان له
قلب ... أو ألقى السمع وهو شهيد !..

ليس ذلك هو الأمر ... وإنما الأمر هو ...
سَلَّمنا أن سليمان 'علّم منطق المراتب كلها ... فكان يعلم ماذا تقول
الجنّ ... ماذا تقول الريح ... ماذا تقول الحيوانات ... ماذا تقول الطير ...
ماذا تقول الأسماك في البحار ... ماذا تقول الجبال ... ماذا تقول الأشجار ...
ماذا تقول الذرات ؟ !» .

فضل آتاه الله إياه ...
ولكن الذي لا تطيقه العقول ... ولا تفهمه ... كيف 'علّم هؤلاء جميعاً
منطق سليمان ؟ !» .

هل كان سليمان ينزل إلى منطقها ويخاطبها بلغتها هي ... أم هي تتعالى إلى
سليمان وتخاطبه بلغته هو ؟ !» .

أجيبوا أيها الناس ... وما أظنكم تستطيعون !..
بعض حين حاور سليمان الهدهد ... وحاوره الهدهد كما هو مسجل في
كتاب الله ...

هل وقع الحوار بينهما بلغة سليمان والهدهد كان يفهم لغة سليمان ...
أم وقع الحوار بلغة الهدهد ... وسليمان كان يفهم لغة الهدهد ؟ !..
أم هناك لغة كونية ... مشتركة بين الكائنات جميعاً ... كانت هي وسيلة
التخاطب بين سليمان وبين هؤلاء ؟ !..

كل أولئك كان جائزاً ...
وكل أولئك ... قد تكون الحقيقة مخالفة له ...
إنها حيرة العقل ...
ولكن القلب يقول ... آمناً به ... كل من عند ربنا !..
ولننتقل الآن ... إلى تلك الجميلة الرائعة ...
التي اسمها « نملة » ؟ !..

فتبسّم ... ضاحكا ...
هن قولها ۱۹...

هذه النملة . . .

احبها ... لأن الله اختارها ... من بين ملايين النمل ... وسجلها في كتابه
الكريم ... وأنزل فيها آيتين من كلامه العظيم ...
وهذا شرف لم يظفر به كثير من خلق الله ...
احبها ... لأنها دليل على أن التجلي الإلهي في أصغر شيء ... كالتجلي في
أكبر شيء ...
ها هنا قدرة ... وها هنا قدرة ... والليبي من يدرك مظاهر القدرة
في أي شيء ...
احبها ... لأنها اضطرت نبياً من الأنبياء ... إلى الضحك ... والأنبياء
يندر أن يضحكوا ...
وقصتها البديعة ... تبدأ من ها هنا ...
« وحُشِر لسليمان جنوده .
« من الجنّ والإنس والطير فهم يُوزعون » .
في مكان ما بالشام ... في مكان واسع بالخلاء ... خارج زحمة المدينة ...
أمر سليمان بهذا الحشر ...
والحشر هو الجمع ... أي أصدر أمراً الملك سليمان بحشد قواته ... من
الجنّ ... ومن الإنس ... ومن الطير ...

منظر جميل ... ألوف من الجنّ ... المسخرين لسلبيان ... من الجن
المؤمنين ... أو من الجنّ الشياطين ...
ونادى الملك سليمان ... آمراً قواده من الجنّ وقواده من الإنس ... وقواده
من الطير ...

اجمعوا لي قواتكم ... في استعراض عام
في وادي فسيح ... خارج المساكن ... وادٍ يسمح بالحركة لهذه الألوف
العديدة ...

واصطف الجنّ صفّاً صفّاً
ولا شك أنه منظر فريد ... لم يحدث لأحد قبل سليمان ... ولا لأحد
بعد سليمان ...

فربما كان الجنّ بالملايين ...
ويزيدهم غرابة ... أن يؤمروا بالظهور ... في أجسام مرئية ... يبصرها
الناس ... وهذا يشير المعجب والفرع في الناس ...

ثم ألوف من الجنّ من البشر ... وعلى رأسهم قادتهم ... مشاة ... أو على
صهوة خيولهم ...
ثم ألوف من الطير ... من شق أنواع الطير ... تجمعت من أنحاء الأرض ...
واصطفت صفوفاً ...

ساحة فسيحة ... وهؤلاء جميعاً يتلاحقون فيها ... ويصطفون في نظام
تام ... وتوزبع بديع ... كل صنف مع صنفه ... حتى يتيسر للملك سليمان
استعراض الجميع ...

« وحشّر ، وُجّع .

« لسليبان » تنفيذاً لأمر سليمان ... بإقامة استعراض عام لجميع قواته ...

لسليان ١٢.

فيها إشارة جميلة ... ان هذا الحشر لسليان فقط ... ليس لأحد قبله ...
ولن يكون لأحد بعده ...

خاصية لسليان ... ميزة ميزنا بها عبدنا سليان ...
فإن جمع المراتب كلها ... هكذا في جمع عام ... لم يحدث قبل سليان ...
ولا يحدث بعد سليان ...

« جنوده » القسوى المستخرة له خاصة ...

« من الجن » من جميع أنواع الجن ... من ملوك الجن ... وصعاليك
الجن ... من مؤمني الجن ... ومن كفار الجن أي الشياطين ... من المردة
والغفاريت وسائر أنواع الجن ... فإن سلطان سليان كان عليهم جميعاً ...

وحشر الجن في هذا الموضع ... حشر اظهار للجن في أجسام ظاهرة ...
وهذا أدل على القدرة ... فإن حشرهم لو كان بغير ظهور لا فائدة فيه ... وإنما
الجديد ما هنا ... هو ظهور هؤلاء الجن بحيث يراهم الإنس ...

وهذا منظر لم تشهده الأرض قبل سليان ... ولا بعده ...

معجزة له خاصة ... وهذا هو معنى « لسليان » ...

« والانس » والناس ... الجيش كله يخرج لهذا الاستعراض ... ألوف من
الفرسان ... كل يمتطي صهوة جواده ... وألوف من المشاة ... كل
يحمل سلاحه ...

« والطير » وأصدر سليان أمراً ... إلى الطير ... من كل نوع ... فاجتمع
له ملايين منها ... كل صنف يتبع أميره ... ويصطف خلفه ...
« فهم » جميعاً ...

« يُوزعون » يُحبس أولهم لآخرهم حتى يتلاحقوا ...
 وهذا بلغة العسكرية ... أي يسرون في نظام عسكري ... صفوفاً
 منتظمة ... في خُطى منتظمة ... اذا اضطت صف ... سوى السائرون
 صفوفهم أولاً بأول ... حتى تكون الصفوف كلها مستوية في مشيتها ...
 وكذلك في اصطفاقيهم في الساحة ... اصطفوا في نظام تام ... و صفوف
 مستقيمة مستوية ... وعلى رأسها قادتها ...
 ما هذا ... وما معنى هذا ؟
 معناه جميل جداً ...
 كأنه يراد أن يقال ...
 يا خلق الله المراتب ... وأقامها في نوااميسها ...
 الجن ... يرون الإنس ... والإنس لا يرونهم ...
 والطير ... مفرقة في أنحاء الأرض ... تطير حيث تشاء ...
 فإن الله الذي أقامهم في نوااميسهم هذه ...
 يقدر أن يخرجهم من هذه النوااميس ... و يقيمهم في أسلوب آخر غير
 ما تأنفون ...
 فيها هي الجن تستخرج من ناموسها ... الذي لا يسمح للإنس برؤيتهم ...
 إلى ناموس آخر ... يسمح للبشر برؤيتهم ظاهرين ...
 وما هي الطير ... التي لا سلطان لأحد عليها في حياتها ...
 تجمع وتُحشر وتُستعرض في مكان واحد ...
 وما هو سليمان ... سلطاناً على الجميع ...
 يأمرهم أن يجتمعوا ... فيجتمعوا ...

والناس يدفعهم للكفر إلف النواميس ... وثباتها وعدم تغييرها ...
فلا بد من هزم هزاً عنيفاً ... وذلك يكون بتغيير النواميس ... وهو
ما يسمى بالمعجزة ...

وهدفها زلزلة الغباء المتراكم على عقول الناس ... من إلف الأشياء تسير على
وقيرة واحدة ... لا تحرك منهم ساكناً ...
فتأتي المعجزة بشيء يخالف المألوف فتحزم هزاً عنيفاً ...
وتشعرهم أن هناك قوة خارقة ... تستطيع أن تغير النواميس
إذا شئت ...

وسليمان باعتباره نبياً ... مهمته الأولى ... إظهار قدرة الله ...
وكان هذا المنظر العجيب ... المراد منه ... تفهيم الناس وغير الناس ...
أن قدرة الله ... تفعل ما تشاء ... ولا يقيدتها شيء ... كما يتوهمون ...
منظر غاية في الغرابة ... ألوف وألوف من الجنّ ظاهرين ... كيف كانت
هيئة الجنّ حين ظهوروا ... وكيف كانت صُورهم ١٤.
وكيف كان شعور الإنس ... حين فوجئوا بالجنّ أمامهم صفوفاً صفوفاً ١٥.
ثم كيف كان منظر ألوف الأنواع من الطير ... وهي تقف صففاً صففاً ...
كل يغرد أغاريداً ... في أصوات مختلفة ...
وسليمان كيف كان في هذا المشهد العجيب ١٦.

الظن أنه كان يركب الريح ... يركب الهواء ... فإن الريح مسخرة له
عاصفة ورُخاء ١٧.

المراتب محشورة ...
وسليمان على متن الريح ... يُطل عليهم من أعلى ... ويتنقل بينهم كيف
يشاء ... ويستعرضهم جميعاً ...

ويقفهم منطقهم جميعاً ... ويتخاطب مع من شاء منهم !...
وحين يركب سليمان الريح ... في استعراض ضخم كهذا ... لا يؤوده أن
يراهم جميعاً ... فرداً فرداً ... وصفاً صفاً !...

في هذا المشهد البديع ... وقعت واقعة النملة البديعة ... فكيف
كان ذلك ؟!

« حتى إذا اتسوا على وادِ النمل » فلما اقتربوا أثناء مسيرهم وتجمعهم إلى
ساحة العرض الكبرى ...

فلما أوشكوا أن يسيروا في وادِ النمل ... وهو وادٍ يكثر فيه النمل ...
ويتخذ فيه كثيراً من المساكن ...
« قالت النملة » فزعت مما شهدت ... وخشيت على أهلها ... فصاحت
محدرة منذرة ...

« يا أيها النمل » نادى جميع النمل المنتشر في الوادي ... كما هي عادة النمل
حين ينتشر في كل اتجاه ...

« ادخلوا مساكنكم » أسرعوا ... أسرعوا ... وعودوا فوراً
إلى مساكنكم ...

« لا يحطمتكم » لا يسحقنكم ... لا يدمرنكم ...

« سليمان » ها هنا وجه العجب العجيب ؟!

من أين لهذه النملة الخالدة ... معرفة أن هذا الرجل هو سليمان ... وأن
اسمه هو سليمان ؟!

ها هنا أسرار عجيبة ...

إن النمل من ضمن المراتب التي عُلمَ سليمان منطقها ...

فهي مسخرة له ... وهي تتكلم معه ... ويتكلم معها ... وتفهم عنه ...
ويفهم عنها ...

ومن هنا سبق المعرفة ... من هذه النملة لسليان ...

تعرف اسمه ... وتعرف شخصه ... وتعرف لغته ... وتتخاطب معه ...
وتتلقى أمره ... وتنفذ أمره ...

عجب ... والله عجب ...

فلو أن الذي عرف أن هذا هو سليان ... كان فرداً من البشر ... لقلنا
هذا شيء طبيعي ... فشهرة الملوك تجعلهم معروفين للناس ...

ولكن ... هذه النملة ... ما علاقتها بسليان ... ومن أين لها ادراك أن
هذا هو سليان ... ومن أين للنمل كله الذي تصيح فيه ... ادراك أن هذا
هو سليان ؟!

إنها تصيح « لا يحطمنكم سليان » ... إذا هؤلاء النمل يعرفون أيضاً ...
من سليان هذا ... وإلا فلا فائدة من تحذيرهم منه ...

عجائب ... والله عجائب ...

« وجنوده » وهذه أعجب من أختها ... من أين لهذه النملة ادراك أن
هؤلاء جنود سليان ؟! ومن أين للنمل كله ادراك أن هؤلاء كذلك
جنود سليان ؟!

« وهم لا يشعرون » لضالة أجسامكم ... تسحقكم أقدامهم سحقاً ...
وهم لا يشعرون أن الآلاف من النمل قد سحقوا ونحقت ...

ما أجمل هذه النملة ...

لقد نبهت أمة من النمل إلى خطر ساحق ... ومصيبة قادمة ...

وفوراً ولّى النمل هارباً إلى مساكنه ... شاكرًا لله أن سخر له من
يلبسه إلى الخطر ...

وها هنا ... تسطع شمس سليمان ... وندخل إلى آية من آيات الله ...
تلاّلات من عبده سليمان ...

«فتبسم» وفوراً بمجرد أن سمع مقالتها ... وعلم قولها ... تبسم ...
«ضاحكاً» واشتد به الإحساس بنعمة الله عليه ... فضحك ...
لم يقهقه لأن الأنبياء لا يقهقهون ... وإنما ضحك ...
ما الذي أضحك سليمان؟!

«من قولها» من احكام قولها ... وصدق حديثها قومها ... وحسن
ادراكها للخطر ... وأدب تعبيرها حين قالت «وهم لا يشعرون» لأنها تعلم
أن سليمان نبي معصوم ... والأنبياء لا يعتدون ...

أضحكه الإعجاب بقدرة الله ...
أضحكه عظيم الشعور ... بفضل الله عليه ... أن علمه منطلق النملة ...
وأسمعه قولها ... من دون الناس جميعاً ...
وعلى الفور ... أمر سليمان ... مواكب جنوده أن تحيد عن واد النمل
هذا ... وتتخذ طريقاً سواه ...

وعظمُ احساس نبي الله ... بنعمة الله عليه ...
وتلاّلات أمام عيني قلبه ... قدرة الله في خلقه ... حتى بلغت في غلة هذا
المبلغ ... فننادى سليمان ربه ...

«وقال رب اوزعني» رب ألهمني ... وامنن عليّ ... كما مننت
عليّ كثيراً ...

« أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ » وأي نعمة هي أعظم من هذا ...
نملة تقول هذا ... وتفعل هذا ... وتذكر هذا ... سبحانك !؟

« وعلى والديّ » وعلى والدي داوود ... وقد آتيته فضلاً عظيماً ...
وعلى والدتي أن وهبت لها سليمان ...

ثم تواضع سليمان وتواضع ... وخشع ثم خشع ... وامتحن ثم امتحن ...
« وأن أعمل صالحاً » وألهمني ... أن أعمل عملاً صالحاً ... يصلح أن
يصعد إليك ...

« ترضاه » لأن العمل لا عبء بصلاحه ... وإنما العبرة أن يكون عند
الله مرضياً ...

« وأدخلني برحمتك » لا بعمل فإنه لا عمل لي ... وإنما برحمتك ...
وبفضلك ...

« في عبادك الصالحين » ... ما هنا كان سليمان في مقام الغناء ...
حيث لا يرى إلا الله !..

أما هؤلاء جميعاً ... هذا الحشد الحاشد من الجنّ والإنس والطير ... فقد
غابوا من قلب سليمان ... ولم يبق إلا ذو الجلال والإكرام ...

لقد فجّرت نملة ... نملة واحدة أحاسيس سليمان ...

فتبسم ... ضاحكاً ... من قولها !..

وضحك الأنبياء حق ...

وإيك إياك أن تظن أنهم يضحكون مما منه نحن نضحك ...

كلا ... انهم يضحكون اعجاباً بالقدره !..

فجّرت نملة من قلب سليمان ... ما لم يفجره هؤلاء جميعاً من جنوده ..

والأنبياء يصعدون في لحظة . . . ما لم تصعده أمة بأكملها . . .
طيلة أعمارها !..

أعجبني من تفسير الإمام المير غني قوله :

« وقتل النمل منهي عنه لعديث مرفوع .

« لا تقتلوا النمل ، فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي ، فإذا
هو بمنملة مستلقية على قفاها ، رافعة قوائمها تقول :

« اللهم إنا خلق من خلقك ، لا غنى لنا عن فضلك .

اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك القانطين .

« واسئنا مطراً تنبت لنا به شجراً ، وأطعمنا به ثمراً .

« فقال سليمان لقومه : ارفعوا ، فقد كفيتم وسقيتكم بغيركم » .

[رواه الدار قطنى]

ولله في خلقه أسرار !..

ما لي ... لا أرى ...

الهدوء ... ١٤

في نفس ...

الاستعراض العام ... الذي أقامه سليمان ... لجنوده من الجن والإنس والطير ...

وقعت هذه الواقعة ...

« وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين .

« لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه أو ليأتيه بشيطان مبين » .

جاء دور استعراض الطير ...

وجعل سليمان يتفقد أنواع الطير المحشورة له في صفوف منتظمة ...

على رأس كل نوع من الطير أميره ...

وجاء دور الهداهد ... ألوف من الهداهد تصطف في نظام بديع ...

وجعل سليمان ... يتكلم معها ... ويداعبها ... وتتكلم معه ...

وما هنا وقعت معجزة من النبي الملك سليمان ...

معجزة فيها برهان على أن سليمان ... كان يحيط علماً بكل أنواع مملكته من

الجن والإنس والطير ... ويحصيهم عدداً ... فرداً فرداً ...!

وهذا لا يمكن أن يكون من أحد ... إلا عن علم إياه ربه ...

واختصه به ...

وقد يكون هذا ممكناً في أفراد جيش من الإنس ... حيث تمسك إدارة

الجيش سجلات ... وتثبت فيها أفراد القوات فرداً فرداً ... وإسماء إسماء ...

وبذلك يمكن معرفة الغائب من قوة الجيش أثناء التفتيش ...
 أما اذا كانت هذه القوات من الجنّ ...
 أو من الطير ... وهي أنواع لا تحصى ...
 فإن هذا لا يمكن حدوثه ... أو معرفة الغائب من أي نوع منها ... إلا
 عن علم إلهي ... موهوب للنبيّ ...
 وها هنا المعجزة من أسر سليمان ...
 لقد لاحظ أثناء تفتيشه على الهداهد ... أن هناك هدهداً واحداً غائباً ...
 وغير موجود ...
 هدهد واحد ... تختلف عن الحضور مع زملائه من الهداهد ...
 فلم سلم سليمان ... فوراً ... أن هذا الهدهد غير موجود ... بين
 زملائه الهداهد !..
 ومعنى هذا أن سليمان قد أحاط بكل الهداهد علماً ... وأحاط بهم
 عدداً ... وهذا مستحيل إلا اذا كان عن علم إلهي !..
 « ولقد آتينا داوود وسليان علماً » ..
 علماً ؟ ..
 وهذا الأمر العجيب ... هو من هذا العلم ...
 علماً ... به يعلم أفراد مملكته من الجنّ ... والإنس ... والطير ...
 فرداً ... فرداً ... وواحداً واحداً ...
 وتلك هي المعجزة ... وذلك هو الفضل المبين !..
 « وتفقد الطير » واستعرض سليمان ... أنواع الطير كلها ... وقامها ...
 وكلمها ... وكلمته ... حتى جاء الدور على الهداهد ...
 « فقال » حين لاحظ أن هناك هدهداً واحداً غائباً ...

« ما لي لا أرى الهدد ، ومعنى هذا أن هذا الهدد بالذات معلوم
لسليمان باسمه ...

« أم كان من الغائبين ، عن هذا الاستعراض أصلاً ... ولم يحضر إليه ...
لأنه غائب عن المكان كله ...

وهذه إحاطة عجيبة ... من سليمان ...

هدد واحد غائب ... أثار انتباهه ... وجعل يسأل عنه !..

وهذه الدقة البالغة ... والإحاطة الشاملة من سليمان بأفراد الطير ... من
كل نوع ...

أثارت دهشة الطير كله ... وحمد كل طائر ربه ... انه لم يكن من
الغائبين ... فيقع به ما هدد سليمان بإزالته بذلك الهدد الغائب !..

« لأعذبته عذاباً شديداً » تهديد شديد ... أمام الجميع ... لهذا الهدد
الذي اجترأ ... وغاب عن الحشد العام ... بغير استئذان ...

« أو لأذبحته » أو اذا كان جرمه فظيماً ... لأذبحه ... موتاً يموت
ذبحاً ... ليكون عبرة لغيره ...

« أو ليأتيني بسلطان مبين » بمُؤدّر يوضح أسباب غيابه ...

بمُؤدّر بيّن أعذره فيه ...

قال الامام القشيري ... في لطائف الاشارات :

« تطلبه ... فلما لم يره ... تعرّف ما سبب تأخره وغيبته ...

« ودلّ ذلك على تيقظ سليمان في مملكته ...

« وحسن قيامه وتكفله بأمور أمته ورعيته .

« حيث لم تخف عليه غيبة طسير ، هو من أصغر الطيور ، لم يحضر

ساعة واحدة !»

- ثم تهدده ان لم يكن له عُذر بعذاب شديد .
- وذلك يدل على كمال سياسته وعدله في مملكته .
- في هذه الآية دليل على مقدار الجُرم .
- وأنه لا عبرة بصغير الجثة وعظمها .
- وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة التكليف .
- ولا يبعد الآن أن يكون عليها شرع ، وأن لهم من الله إلهاماً وإعلاماً ، وإن كان لا يعرف ذلك على وجه القطع .
- وتعين ذلك العذاب الشديد ، غير ممكن قطعاً ، إلا تجويزاً واحتمالاً .
- وعلى هذه الطريقة يحتمل كل ما قيل فيه .
- وقد قيل هو نتف ريشه وإلقاؤه في الشمس .
- وقيل يفرق بينه وبين أليفه .
- وقيل يُلزمه خدمة أقرانه ، ...
- قلت : بل الأعجب من اعجابنا ببقطة سليمان في مملكته ... وعدله في أحكامه ...
- ان نعجب من إحاطته ... بأفراد مملكته من الطير ... فرداً فرداً ...
- حق يعلم غياب هدهد واحد لم يحضر الاستعراض ...
- فالمعجزة الكبرى لسليمان ... في هذا المشهد ... أن يحيط علمه بدقائق قواقه ... وأن تبلغ هذه الإحاطة ... الى درجة تمكنه أن يدرك على الفور ... أن هناك واحداً من آلاف الهداهد غائباً ...
- ولما كانت المعجزة الكبرى ... ها هنا هي الإحاطة ...

لزم أن يكون التحدي ... بنفس النوع ...
أنت يا سليمان ... أحطت علماً بأفراد مملكتك ... فرداً فرداً ...
إذاً ... نأخذ هذا التحدي ... من نفس النوع ...
معجزتك الإحاطة ... فسوف نتحداها ... بإحاطة تطيح بها ...
وأنت تهددت الهدهد ... علناً ... أمام الجميع ...
فسوف ... يتحداك الهدهد ... علناً ... أمام الجميع ...
وماذا أنت قائل ... وأنت النبي الملك ...
إذا تحداك ... طائر صغير ... في إحاطتك ...
فنفوقت إحاطته ... على إحاطتك ... أمام الجميع ؟!
مشهد على الغاية من الجمال ...
ومنظر من المناظر الإلهية البديعة ...
وهذا هو السر ... في قول الهدهد ؟!

أَحْطْتُ ... بِمَا لَمْ ... تُحِيطَ بِهِ ...!

ظهور ...

القدرة الإلهية ...

أو ظهور التجلي الإلهي ...

في طائر صغير ... ضعيف ... كالهدهد ...

أعجب وأغرب ... من ظهور القدرة ... في نسيي كريم ... وإنسان
عظيم ... كسليمان !..

ذلك أن الإنسان كائن مؤهل من حيث تركيبه ... المعقد غاية التعقيد ...
والحكم غاية الإحكام ... مؤهل لأن تظهر فيه عجائب القدرة الإلهية ...

أما طائر كالهدهد ... محدود التركيب ... إذا ظهر فيه التجلي الإلهي ...
فإن الأمر يكون عجيبيًا حقًا !..

قلنا أن معجزة سليمان ... في فطنته ... بحيث أحاط علمه بغياب أحد
الهدهد ... عن حضور الاستعراض ...

ومن هنا كان التدبير الإلهي ... أن تضرب احاطة سليمان ...
بإحاطة هدهد ...

ليظهر للخلق أجمعين ... أن الأمر كله لله ... وأن ليس لسليمان من
الأمر شيء ...

وإن العلم علم الله ... يؤتيه من يشاء من عباده ...

وإن الفضل بيد الله ... يؤتیه من يشاء ...

وإن علم سليمان الذي بهركم ... هو علمي وليس علم سليمان ... « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » ...

ولو ذهبنا بما آتينا من علم ... لوقف سليمان لا يعلم شيئاً ...
ولو منحنا كائناً ما ... مهما كان صغيراً في أعينكم ... علماً منا ... لظهرت منه علوم تحارون في فهمها ...

وسوف نشهدكم ذلك في تجربة عملية ...

تجربى أمام أعين المراقب كلها ...

أمام أعين الجنّ ... الذين يرفعون من سليمان رعباً !..

وأمام أعين الإنس ... الذين يحارون في معجزات سليمان ..

وأمام أعين الطير ... الذين جاءوا من أطراف الأرض ... طوعاً وكرهاً ...

« فبكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجنتك من سبأ بنبأ يقين » .

« فبكث غير بعيد » فلم يلبث الهدهد ان جاء ... وعلم أن سليمان

قد تهدده ...

غير بعيد ... غير طويل من حين تفقده ...

« فقال » الهدهد ... حين قال له سليمان : ما خلفك عن نوبتك ؟

منظر تاريخي ...

النبي الملك ... ذو السلطان المطلق ... على الجنّ والإنس والطير ...

هدّد الهدهد علماً ... إما العذاب الشديد ... وإما الذبح ... وإما

عذر مقبول ...

وما هو الهدهد المتهم ... يعود من رحلته الطويلة ... من بلاد اليمن ...
الى الشام ... ويتوجه رأساً الى حيث يقام الاستعراض ...

وما هي الهداهد ... تتلقاه ... مشففة عليه ... أن يذبحه سليمان ...
فيستمع الى الأخبار ... ثم يطير متوجهاً الى سليمان رأساً ...
وما هو سليمان يبادره : أين كنت أيها الزائع بغير عذر ؟
وتطلع الجميع : ماذا يقول ... وماذا يكون دفاعه عن نفسه ؟
ان الجن لا تجرؤ على الزيغ من أوامر سليمان ... فكيف بهذا الصغير الضئيل
يجرؤ على معصية سليمان ؟!

« أحطتُ بما لم يُحط به » وألقاها الهدهد الى سليمان ... فيها هدير
الحق ... وزئير المظلوم ...
وسمعا سليمان ... وهي تقتحم كيانه كله ... وأحس بإحساس النبوة أنه
أمام أمر خطير ...
وسمعا جميع الحاضرين ... فمجبوا ... من غلظ الخطاب ...
وشدة التحدي ...

ان الهدهد يتحدى سليمان ...
بتحداه في أخص خصائصه ... خاصية الإحاطة علماً بدقائق مملكته ...
ان الهدهد يهز كيانه سليمان هزاً ...
انه يقرر أمام الجميع ... انه أحاط بما لم يُحط به سليمان ...
وليت الهدهد قل ... علمتُ بما تعلم به ... أو شهدت ما لم تشهد ... وإنما
قال « أحطتُ بما يُحط به » ... أحطت أنا الهدهد الضئيل احاطة تامة ... بما
لم يُحط به أنت أيها النبي الملك ... رغم ما أوتيت من علم ؟!

وأدرك سليمان لغوره ... أنه أمام اختبار إلهي ...
والأنبياء يعلمون من الله ما لا نعلم ...
ثم انظر الى أسلوب الخطاب ... ان الهدهد ... يكلم سليمان تكليم الذئد
للند ... فلا فرق بينه وبينه ... كأنها في مستوى واحد ... « بما لم تحط
به » هكذا ... بدون مقدمات من التوقير اللازم في مخاطبة الأنبياء !...
ان الهدهد يرى سليمان ... عبداً من عباد الله ... كما أنه هو كذلك عبد من
عباد الله ... فليخاطبه كأنها سواء ... لأنها في العبودية سواء !...
« وجنتك » الآن ... حيث اني عائد من سفري الآن ...
« من سبأ » من مملكة سبأ ... من بلاد سبأ ... من بلاد اليمن التي بينك
وبينها آلاف الكيلومترات ...
« بشياً » بخبر عظيم ... على الغاية من الخطورة ...
« يقين » لا سبيل الى الشك فيه ... عاينته بنفسي ... وشهدته بعيني !...

إني وجدت ... امرأة ... تملكهم ... ١٩

بلقيس . . .

ملكة سبأ . . .

فتاة حسناء . . . ويزيدها جمالاً . . . أبهة الملك . . . وعظمة السلطة . . .
كل أولئك . . . اذا أضيف اليه عقل راجح . . . وعفة عن السفاسف . . .
كانت أمامنا . . . ملكة هي أعظم ملكات عصرها . . . 'ملكاً وسياسة . . .
فمن هي بلقيس هذه ؟!

قالوا :

« وأما ملكها اليمن فقيل ان أباه مات عن غير وصية بالملك لأحد .
« فأقام الناس ابن أخ له .
« وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً ، لا يبلغه عن بنت قينل ولا ملك ذات جمال .
« إلا أحضرها وفضحها .
« حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه .
« فأراد ذلك منها ، فوعده أن يحضر عندها الى قصرها .
« أعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها .
« فلما دخل اليها ، وثبا عليه فقتلاه .
« فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتمهم .

« فقالت : أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرامه عشيرته ١٢ .

« ثم أرثهم إياه قتيلاً .

« وقالت : اختاروا رجلاً تملكونه .

« فقالوا : لا نرضى بغيرك .

« فملكوها » .

ثم ماذا قالوا عن 'ملكها' ١٢

قالوا :

« كان تحت يدها أربعمائة مملوك .

« كل مملوك منهم على كورة .

« مع كل مملوك منهم أربعة آلاف مقاتل .

« وكان لها ثلاثمائة وزير ، يدبرون 'ملكها' .

« وكان لها اثنا عشر قائداً .

« يقود كل قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل » ١٢ .

ثم ماذا قالوا عن أبيه 'ملكها' ١٢

قالوا :

« أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها ، فتسجد لها ، ثلاثمائة ألف

أوقية من الذهب .

« وكان عرشها سريراً من ذهب مكلتل بالجواهر النفيسة من اليواقيت

والزبرجد واللؤلؤ » ١٢ .

هذا شيء عن الملكة بلقيس ...

فماذا عن شعبها ... ومدى ما كان ينعم فيه من نعم ١٢ .

يصور لنا ذلك قوله تعالى :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » .

« لقد كان لسبأ » أي لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

« في مسكنهم » ومواضع سكنهم وهي باليمن ، يقال لها مأرب ، بقرب صنعاء ، مسيرة ثلاث مراحل .

« آية » عظيمة ، ونعمة جسيمة ، دالة على كمال معطيها وموجدتها ، وعلى اتصافه بالأوصاف الكاملة ، والأسماء الحسنی الشاملة وهي ...

« جنتان » حافتان محيطتان .

« عن يمين وشمال » أي جنة عجيبة عن يمين بلدكم ، وأخرى عن يساركم ... وبعد ما قد أعطيناهم هاتين الجنتين العظيمنتين المشتملتين على غرائب صنائعنا وبدائع مخترعاتنا ، قلنا لهم على طريق الإلهام .

« كلوا » أيها المتنعمون المتفضل عليهم من عندنا .

« من رزق ربكم » الذي رباكم بأنواع الكرامات .

« واشكروا له » نعمه وواظبوا على أداء حقوق كرمه ، مع أن بلدتكم التي أنتم تسكنون فيها ...

« بلدة طيبة » ماء وهواء ، بريئة عن مطلق المؤذيات .

« و » أيضاً ربكم الذي رباكم فيها بأنواع النعم ...

« رب غفور » ستار عليكم عموم فرطاتكم وزلاتكم ...

هذه فكرة عن مدى رفاهية الشعب ... ومدى النعيم الذي كان فيه ... على عهد الملكة بلقيس .

شعب يعيش في جنات متصلة ... وجو طيب جميل « بلدة طيبة » ...
وعلى رأسه ملكة جميلة ... ذات سياسة حكيمة ... وحكم ديموقراطي رائع ...
« ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون » ..

هذا عن الشعب ... وعن نظام الحكم ... وعن طبيعة الملكة ... فماذا عن
أساس هذه الرفاهية ... وما سببها ؟!

سببها المشروع الفخيم ... الذي أقامته الملكة ... فوفرت به مياه الري
للحداائق طول العام ... وأدى الى ازدهار البلاد عمرانياً ازدهاراً عجيبيّاً ...

« فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العَرَمِ » ...

« فأعرضوا » وكان ذلك بعد 'حكم بلقيس ... حيث وقع بهم العقاب ...
ودمر عليهم السد الذي كان أساس رفاهيتهم ...

« فأرسلنا عليهم سيلَ العَرَمِ » وهي الحجارة المركومة بالجص وأنواع
التدبيرات والترصيمات الحكيمة للأبنية والأساس .

« وذلك أنه قد كان لهم سد قد بنته بلقيس ، بين الجبلين .

وقد جعلت لها ثلاث كوات ، بعضها فوق بعض .

« وقد بنت أيضاً دونها بركة عظيمة .

« فإذا جاء المطر اجتمع اليها مياه أوديتهم .

« فاحتبس السيل من وراء السد .

« فيفتح الكوة العليا عند الاحتياج .

« ثم الثانية الوسطى .

« ثم الثالثة السفلى .

« فلا ينفذ ماؤها الى السنة القابلة .

« فلما طغوا وكفروا لنعم الله بعد ما أمروا بالشكر على السنة الرسل .
« قيل قد أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبياً ، فكذبوا الكل وأنكروا عليهم .
« ولهذا قد سلط الله على سدهم نوع من الفأرة فنقبت في أسفل السد بإلهام
الله إياها .

« فسال الماء ، ففرقت جنتهم ، ودفت بيوتهم في الرمل .
« وقد كان ذلك من غضب الله عليهم على كفرانهم نعمه » .
لقد أقامت بلقيس هذا المشروع المائي الضخم ...
وهو يُشبه مشروع السد العالي ... المقام على النيل عند أسوان ...
وهذه البركة التي كانت أمام سد مأرب ... تشبه البحيرة التي وراء
السد العالي ...
فلما طال العهد على الشعب ... واستمر كفرهم ... وبعد عهد بلقيس
بزمان طويل ...
أرسل الله سيلاً جارفاً ... فاقتلع سدهم ودمره ...
فجفت الحقائق ... وتمزقت البلاد ... وتفرق السكان في أنحاء الأرض ...
وصاروا حديثاً يقتناقله الناس ... ويضربون به الأمثال ... حيث يقال « قد
تفرق أيدي سبأ » !..

هذا كان سبب نعيمهم ... وأساس رفاهيتهم على عهد بلقيس ...
وقد وصف الهدم كل ذلك وصفاً دقيقاً حكيمًا صادقاً حيث قال :
« اني وجدت امرأة تملكهم .
« وأوتيت من كل شيء .
« ولها عرش عظيم » !..

« اني وجدت » أثناء رحلتي الى اليمن ... ونزولي بتلك البلاد ...

« امرأة » فتاة جميلة ... عظيمة ... حكيمة ...

« تملكهم » ملكة عليهم ...

وفي تعبير « تملكهم » ... اشارة الى اعجاز عجيب ...

أي تلك قلوب شعبها ... تحبهم جميعاً ... ويحبونها جميعاً ...

قد ملكت مشاعرهم ... فوق ما هي تملكهم ظاهراً ...

عرشها قوائمه ... حب الشعب لها ... فهو عرش مكين ...

« وأوتيت » وآتاها الله ...

« من كل شيء » ظاهراً وباطناً ... أسبغ الله عليها نعمه ظاهرة وباطنة . . .

وقد ازداد اكبار الشعب لها ... حين دبرت لقتل الملك الفاجر العاهر . . .

وارتفعت أسهمها في أعين الجميع ... لأنها مسحت عار الجميع . . .

« ولها عرش عظيم » لها كرسي مملكة ... بلغ من العظمة مبلغاً عجيباً . . .

تتربص على عروش قلوب رعاياها ... وهذه هي عظمة العرش في الحقيقة . . .

قالوا في وصف عرشها :

« كان ضخماً حسناً ، مقدمته من ذهب ، مكللة بالياقوت الأحمر ،

والزبرجد الأخضر .

« ومؤخرته من فضة ، مكللة بأنواع الجواهر .

« وله أربع قوائم : قائمة من ياقوتة حمراء .

« وقائمة من ياقوتة صفراء .

« وقائمة من زمرد أخضر .

« وقائمة من در أبيض .

« وصفائح السرير من ذهب .

« قال ابن عباس رضي الله عنه : وطول عرش بلقيس ثمانون ذراعاً ، وعرضه أربعون ذراعاً ، وارتفاعه في الهواء ثلاثون ذراعاً .

« وكان بداخل جوف سبعة أبيات ، لها سبعة أبواب ، على كل بيت باب مغلق » .!

منه أوصاف قيلت في عرشها الذي عبّر عنه المدهد « ولها عرش عظيم » .!

ولا يبعد مثل هذا ... فالمرأة امرأة دائماً ... تحول كل شيء إلى زينة ... فكيف إذا كانت ملكة ... وأوثيت من كل شيء ؟ .!

لا يستغرب إذا أن تجعل الكرسي ... الذي تجلس عليه ... أجمل شيء في العيون ...

انها تحوله الى زينة ... تأخذ بمجامع القلوب ... حتى اذا خرجت تتبختر في زينتها ... ووقف لها رجال الحكم تعظيماً وولاء ...

وأقبلت يتلأل التاج على رأسها ...
ويفوح العطر من ثيابها ...
ثم أخذت مجلسها على عرشها ...
أثارت الإعجاب من الناظرين ...
وأحست في أعماقها ... بغريزة الأنوثة ... ان هذا شيء عظيم ... أو كما قال المدهد :

« ولها عرش عظيم » .!

يسجدون ... الشمس ... ١٩

عجائب ...

الأستاذ الكبير ... الهدهد ...
لا تدركها العقول !
لقد أحاط بملكة بلقيس علماً ...
ونبأ سليمان عنها بنبأ يقين ...
ووصف له عرشها ... وأحوال شعبها ...
ولم يقف عند ذلك ... بل وقف بهز سليمان هزاً عنيفاً ...
بهزه في صميم اختصاصه ... اختصاص الأنبياء ...
ويتجداه على الملأ من حشوده من الجن والإنس والطير ...
ان يا سليمان ... يا من سخّر الله لك ... للريح ... والجن ... والإنس ...
والطير ... وآتاك من كل شيء ...
يا أيها النبي ... يا ذا السلطان العظيم ...
هناك ببلاد اليمن ... شعب بأكله ... يسجد للشمس ...
فكيف غاب عنك هذا ... وتحت يدك ما تستطيع به أن تعلم كل ما يجري
في بلادهم ؟!

لقد فجّر الهدهد ... من سليمان الغيرة في الله ...

وقال له ... في يقين ...

« وجدتها وقومها .

» يسجدون للشمس .

» من دون الله .

« وزين لهم الشيطان أعمالهم فسددهم عن السبيل فهم لا يهتدون » .

ها هنا يحار العقل البشري ... وكم اغتررنا بعقولنا !

ما شأن الهدهد بهذا ؟ !

انه من مرتبة الطير ... فما علاقته بمرتبة آدميين ؟ !

وحق لو تطفل ودس أنفه في شئون البشر ... فمن أين له هذا الإدراك ؟ !

هل أوتي الهدهد عقل نبي ... فرأى نفسه مسئولاً عن هداية شعب بأكمله

وهداية ملكته ؟ !

وإذا كان سليمان لم يفعل هذا ... فلم يكلف الهدهد نفسه ما لا يطيق ؟ !

وكيف عرف انها وقومها يسجدون للشمس ؟ !

هل شاهد طقوسهم ... ورأى كهنوتهم ... وهم يسجدون للشمس ؟ !

وماذا يعيب الهدهد من سجودهم للشمس ... وهل هو يعلم أن السجود

للشمس خطأ لا ينبغي أن يكون ؟ !

« وجدتها » شاهدها ... بعيني ... أكثر من مرة ...

« وقومها » وشعبها ...

« يسجدون للشمس » يعبدون الشمس ... ويأتون بطقوس وتراجم ... ثم

يسجدون لها ...

« من دون الله » المستحق للتدليل والعبادة .

« و » من غاية جهلهم بالله ، وغفلتهم عن كمال أوصافه العظمى وأسمائه الحسنى قد ...

« زين لهم الشيطان أعمالهم » هذه وعبادتهم هكذا ...

« قصدهم » الشيطان وصرفهم بتزيينه وتغريزه .

« عن السبيل » السوي الموصل الى توحيد الحق ، الحقيق بالعبودية والتذلل .

« فهم » بسبب تضليل الشيطان ، وتغريزه اياهم ، ورسوخهم على ما قد زين لهم .

« لا يهتدون » إلى التوحيد ، حسب فطرتهم الأصلية ، وجبلتهم الحقيقية .

فلا بد لهم من مرشد كامل ، وهاد مشفق يهديهم إلى سواء السبيل ... مع انهم من زمرة العقلاء المميزين بين الهداية والضلال ، لأنهم لانهاكهم في الغفلة والغرور قد زين لهم الشيطان عبادة الشمس ، التي هي من جملة مظاهر الحق ، وذلك لقصور نظرهم .

ولو نبههم منبه نبيه على توحيد الله ، واستقلاله سبحانه في عموم مظاهره لأيقظهم من منام الغفلة ...

هذا منطق الهدى ! ..

وهو لعمرى يوازي منطق أعظم أستاذ في التوحيد في التاريخ ! ..

وماذا يكون التوحيد إلا ما جاء به الهدى ؟ ! ..

لقد كشف لنا الهدى أسرار عجيبة ...

ان الإنسان قد يفوق الملائكة توحيداً ... إذا ترقى إلى أعلى ...

وفي نفس الوقت قد ينحط عن أحقر الكائنات في توحيده ... إذا تدلى إلى أسفل ...

ذلك ان الإنسان ... كائن مختار ... له حرية الاختيار ...
يعلم ... ويسفل ... كيف يشاء ...
وتلك هي قضيته ... وفي نفس الوقت تلك هي مصيبته ...
فالطير مثلا ... مجتهد على التوحيد ... لا يستطيع منه فكاكاً ...
أما الإنسان ... فإذا شاء تفكك من التوحيد ... وهوى وقدهور إلى ما هو
أحط من مرتبة الخير ...

فالممار مجتهد على التوحيد ... لا يستطيع أن يشرك بالله ...
وهؤلاء الذين يتحدث عنهم الأستاذ الهدد ... قد انحطوا عن مرتبة
الخير ... وسجدوا للشمس ...
والهدد يتفجع ويتوجع ... كيف هذا ... كيف ينحط الإنسان إلى
هذه الهاوية ؟!

ولو قد علم الهدد ... ان مصيبة الإنسان في حريته واختياره ... لما
تعجب أو تفجع ...
ومن قبل تعجب الملائكة ... وقال الملائكة :
« اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟!
فلما علمهم الله ... أسرار قضية الإنسان ... قالوا : « سبحانك لا علم لنا
إلا ما علمتنا » !..

فمظنة الإنسان ... ان الله خلقه كائناً حُرّاً ...
ان شاء علا ... وإن شاء هوى ...
ثم أعانه بقوى علوية ... إذا شاء العلو ... وهي الملائكة ...
وسلّط عليه قوى سفلية ... إذا شاء الهبوط ... وهي الشياطين ...

والله ناظر ... ماذا هو فاعل الإنسان ١٢
كائن هذا شأنه ... تظهر عنه جميع المراتب ...
من أعلى عليين ... إلى أسفل سافلين ...
وما بين ذلك ...
فترى من جنس الإنسان الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين ...
وما دون ذلك ...
والعكس صحيح ...
تري من الناس المجرمين ... والكافرين ... والأفاكين ... والشياطين ...
والفجار ... والطغاة ... والزناة ... والقذلة ... وما لا يتصور العقل أنه
يصدر عن كائن ...
« وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً » .
إشارة إلى أن هناك جرائم للإنسان ... لا يتصورها العقل ! ..
بل أعجب من هذا ... فإن تركيب قلب الإنسان ... انه كاللؤلؤ ...
لا يستقر ... بل هو يتقلب باستمرار ...
فقد يؤمن الإنسان ... ثم يكفر بمسد لحظة ... ثم يعود فيؤمن بعد
لحظة أخرى ! ..
هذا الكائن المسمى بالإنسان ... يحبه الله ... إذا تركى وترقى ...
لأنه يعلم مدى صعوبة التجربة التي 'وضع فيها' ...
روح "علوية نورية قدسية" ... سجنينة في جسد تراي وطيفي منتن ، فيه كل
ما في تركيب الحيوان ...
الروح نزاعة إلى أفقها الأعلى ...

والجسد والنفس ... نزاعة للشوى ...

والإنسان حائر دائر بين التنينين !..

ان أطاع الروح ... أبى الجسد ...

وإن أطاع الجسد ... أبت الروح ...

فالتجربة أصعب تجربة ...

ومن هنا يحب الله ذلك الإنسان ... الذي يغالب شهواته ... ونزواته ...

ويتوجه إلى ربه ... رغم العقبات الموضوعة في طريقه ... والسقي عليه
أن يقتحمها ...

ومن هنا كذلك جعل الله الأجر عظيماً عظيماً ... جنات الخلد ...

ما كثر فيها أبداً !..

ما الذي سؤل هؤلاء أن يعبدوا الشمس ؟ !

ولماذا الشمس بالذات ؟ !

نظروا فوجدوها مصدر الحياة ... فكل شيء حولهم ... أصله الشمس ...

الأرض وما عليها ... أصلها جزء من الشمس ...

الضوء والحرارة ... مصدرهما الشمس !..

النبات ينمو بحرارة الشمس ...

الحيوان يعيش بحرارة الشمس ...

الرياح تتحرك بفعل حرارة الشمس ...

المياه تتبخر من المحيطات بفعل الشمس ... ثم تهطل أمطاراً فأنهاراً ...

ومن الأنهار تتكون الحياة !..

ثم هي كائن رفيع منيع ... لا سبيل إليه ...

ان أشرقت ظهر بنورها كل شيء ...
وإن غربت ... وغاب ضوءها اختفى كل شيء ...
إذا ... لا شيء أعلى منها ... إذا هي الإله ... الذي ينبغي أن يُعبد ...
وله نسجد !..

منطق حقير ... يدل على عقول حقيرة !..
ما هذه الشمس حق تعبد ويسجد لها ؟!
لقد أسقطها ابراهيم ... وألغى صلاحيتها لأن تعبد :
« فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني
بريء مما تشركون » .

بحجة واحدة أسقط ابراهيم استحقاقها للعبادة ... « فلما أفلت » فلما
غربت وغابت ...
والإله لا يغيب ...

وهذه الشمس تغيب ... إذا هي لا تصلح أن تكون رباً يُعبد !..
ولكن هؤلاء ... شعب بلقيس ... ليسوا إبراهيم ليفقموا هذا ...
وإنما ورثوا ... دين خرافة عن آباؤهم ... فقدسوا ما كانوا يقدسون ...
ووجدوا ملوكهم لها يسجدون ... والناس على دين ملوكهم ... فسجدوا
للشمس ...

وها هنا انحطوا عن مرتبة الخير ... لأن الخير لا تعبد الشمس ... وإنما
تعبد ربها ورب الشمس !..

ومن هنا نفهم ثورة المهدد ... حين شاهد شعباً بتأمه يسجد للشمس ...
ومن أي مرتبة ؟! من مرتبة الإنسان ... الذي كان مفروضاً أن يعبد الله

ولا يشرك به شيئاً ... ولكنه الخط عن مرتبته العلياً ... ونزل إلى أسوأ
مرتبة ... إلى ما دون مراقب الخير !..

ان الهدهد يكاد يمسه الجنون ... كيف للشمس يسجدون ... كيف ...
وهم بشر كرمهم الله ... كيف هكذا ينحطون !؟

تلس إحساسه هذا ... في أعماق قوله « وجدتها وقومها يسجدون
للشمس » !..

وفي تعبير « وجدتها » تحقير وأي تحقير !..

كنت أظنها امرأة عظيمة ... ذات عقل عظيم ...

فكانت فاجعتي فيها ... ان وجدتها تسجد للشمس !..

ويا ليتها وحدها فعلت فعلتها هذه ... بل « وقومها » ... وشعبها
كذلك ... ملايين من البشر يسجدون للشمس !..

ملايين الوجوه الشريفة ... سجدت سجوداً خاطئاً ... سجدت لمربوب
أقل منهم مرتبة ...

ذلك أن الإنسان أرقى من الشمس ... وأعلى من القمر ...

فكيف يسجد لشيء دونه منزلة ... وأنزل منه مقاماً !؟

ان فرداً واحداً مؤمناً بالله ... لا شيء يعدله من هؤلاء جميعاً ... لا شمس
ولا قمر ولا مجرة بأكملها ...

« ان ابراهيم كان أمة » ...

والكائنات التي فطرت على التوحيد ... تكاد تصاب بالجنون حين تشاهد
انحرافات الكائنات الكوافر !..

ومن هنا كانت غيرة الهدهد في الله ... وغبته على هؤلاء الساجدين
للشمس من دون الله !..

وزاد من غضبه ... ان نبي الله ... سليمان ... الذي فرض عليه تبليغ
رسالة الله ... لم يعلم بهذا ... وتركهم فيما هم فيه !..
ان مرتبة الإنسان الصحيحة ... ألا شيء فوقه إلا الله ...
وهذه هي حقيقة معنى ... لا إله إلا الله ...
فإذا جهل الإنسان مرتبته ... ونزل عنها ...
انقلبت عليه الأمور ... فعبد أشياء هي في حقيقتها أقل منه مرتبة ...
وهذا تعكيس للأوضاع عجيب !..
الله ... يقول للإنسان :

« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر .
« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر .

« واسجدوا لله الذي خلقهم إن كنتم إياه تعبدون » .
أنت أكرم أيها الآدمي ... من هؤلاء جميعاً ... كلهم مسخرات لك ...
فكيف تنزل عن مرتبتك العليا ... وتندهور فتتخذهن آلهة تعبدها !؟
لقد أسجدت لآدم أبيك ملائكتي ... فافهم ...
فكيف تسجد أنت ... يا ابن آدم ... للشمس أو للقمر !؟
افهم منزلتك ... وخذ وضعك الصحيح بين الكائنات ...
أنت أعلاها وأزكاها وأرقاها ... فأنت فوقها ... فكيف تجعل
نفسك تحتها !؟

لذلك ... كان أمري اليك :

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر » ...
لأنكم فوق الشمس ... وفوق القمر مرتبة ...
« واسجدوا لله » !..

الله ... إله إله هو ...
رب العرش العظيم ...!

الجمال . . .

الذي ليس كمِثْلِه جمال ...
في قوله عزّ من قائل :
« الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم » .
ويزيده جمالاً فوق الجمال ... أن ينطق به ... فم صمّير ... ليس بفم
بشر ... ولا فم مَلِك كَرِيم ...
ولكن فم مدهد جميل !...
هنالك يتلأل الجمال ... وتتجلى التجليات ...
وتتشبع القلوب لربها سُجُوداً وبُكْيَا ...
فلو أن قائلها كان إنسياً ... لقلنا الشيء من معدنه لا يستغرب !...
ولو أن ناطقها كان بشراً نبياً ... لقلنا وحي يُوحى ...
ولكن الناطق كان مدهداً ...
وما هنا وجوه من العجب !...
ماذا قال المدهد الجميل . الجليل ؟ !
« ألاّ يسجدوا لله الذي يُخرج الحَبَّ في السماوات والأرض وما تُعلنون .
« الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم » .

«ألا يسجدوا لله» بمعنى : زين لهم الشيطان أعمالهم ، لئلا يسجدوا لله ...

ومن قرأ «ألا» بالتخفيف ، بمعنى : ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فأضمر هؤلاء اكتفاء بدلالة «يا» عليها ...

«الذي يخرج الخبء» الخبوء .

«في السماوات والأرض» من غيث السماء ونبات الأرض ...

«رب العرش العظيم» الذي كل عرش - وإن عظم - لا يشبهه .

وهذا كله كلام الهدهد ، من قوله : (أحطت بما لم تحط به) إلى ها هنا .
هذا مختصر تفسير الطبري ...

فماذا قال صاحب الفواتح الإلهية ؟!

«ألا يسجدوا» يعني تنبهوا أيها الفاقدون قبله سجدكم ، ووجهة معبودكم ، وانصرفوا عنها أيها القوم الضالون المنصرفون عن المسجود الحقيقي والمعبود المعنوي ... بل اسجدوا وقذلوا ...

«لله» المتجلي في الأكوان ، المنزه عن الحلول في الجهات والمكان ، المقدس عن تتابع الساعات عليه ، وتعاقب الآفات والأزمان إياه ، بل له شأن لا يشغله شأن ، ولا يجري عليه زمان ومكان ، العليم القدير ...

«الذي يخرج» ويظهر بمقتضى علمه المحيط ، وقدرته الكاملة الشاملة .

«الخبء» أي الشيء الخفي المكنون الكائن .

«في السماوات والأرض» أي سماوات الأسماء الإلهية وأوصافه الذاتية .
«و» أيضاً .

«يعلم» سبحانه بعلمه الحضورى عموم .

« ما تخفون ، تكتمون وتسترّون أنتم في سرائركم وضمائركم ... بل بالخفيات التي لا اطلاع لكم عليها أصلاً ، بمقتضى قابلياتكم واستعداداتكم .

« و ، كذا عموم .

« ما تعلنون ، أنتم أيضاً من أفعالكم وأحوالكم .

وكيف لا يظهر المكنون من الأمور ولا يعلم خفيات الصدور ...

« الله ، الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، الحي ، القيوم ، الذي .

« لا إله ، ولا موجود في الوجود .

« إله هو رب العرش العظيم ، المحيط بجميع ما قد لمع عليه بروق تجلياته ، المتشعشة ، المتجددة ، المترتبة على أسمائه الذاتية الكاملة ، المستدعية للظهور والبروز ، عن أوصافه الفعلية ، والمقتضية لإظهار ما قد كمن من الكمالات ، المندجة في الذات الأحدية ، إلى فضاء الوجود والشهود .

هذا كلام رفيع منيع ... يحتاج إلى فهم رفيع منيع !..

فكيف وقد صدر هذا كله عن هدهد ... قد أوتي فصل الخطاب ؟ !.

لقد انتهى ما هنا كلام الهدهد ...

فرأينا فيه عجائب ... نقف أمامها حيارى !.

إلا أن حيرتنا تزول ... حين نتذكر ... أن الله تجلّس على ذلك الهدهد ...

فكان منه ما كان ...

ولا تسأل كيف كانت ؟ !

لا تقل : كيف وسع علم الهدهد كل هذه الأمور ؟

ولإنما قل : ربّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى !.

ولا تقل : كيف علم الهدد ما لم يعلمه النبي سليمان ... الذي قال فيه ربه
« وكاد آتيناه حكماً وعلماً » ١٢.

وأين علم الهدد ... من علم سليمان ؟
ولكن قل : وأنَّ الفضل بيد الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ ...
ولا تقل : كيف يقف الهدد من سليمان موقف المعلم ؟
ولكن قل : أدبني ربي فأحسن تأديبي ..
ولا تقل : ما لهذا الهدد قد أحاط بالأمر علماً ؟
ولكن قل : به ... علم الهدد ما لم يكن يعلم ..
وأخيراً ... إذا قال عقلك : ما ففهمتُ ولا ففهمتُ شيئاً ..
فقل لعقلك : ما أظنك سوف تفهم شيئاً ..
وقل لقلبك : « كاد » ... لا تُطِيعُهُ ... واسجد ... واقترب » ..

إنه ... من ... سليمان ؟ ...

فرغ ...

الهدهد الجميل الجليل ... من حديثه العجيب ...
وتطلعت ملايين العيون ... من الجنّ ... والإنس ... والطير ...
الى سليمان ...
تطلّعوا الى عملاق عصره ... ونبي زمانه ... والمسلّك الذي يجلس على
عرش مُملك لا ينبغي لأحد من بعده !..

ووقف سليمان ... في عظمة الأنبياء ...
وهيبة أعظم الملوك مُلكاً ...
وخشوع العبودية ...
ثم نظر إلى السماء ... ومجّد ربه ... تمجيد الأنبياء ...
ثم نظر إلى الهدهد ...
ونظر اليه الهدهد ...

ثم قال :

« قال :

« سننظرُ .

« اسدقنت .

« أم كنت من الكاذبين » ؟ ١٢ .

وضجّت الملايين ... من الجنّ ... والإنس ... والطير ... يسبحون
بحمد ربهم ...

عندما سمعوا نطقاً عظيماً ... وحشكاً حكيماً ...

وطار الهدهد فرحاً ... بنجاته ... من العذاب الشديد ... أو
الذبح الأكيد ...

ثم ماذا ؟ !

ثم فرغ سليمان من شئون الاستعراض العام لجنوده ...

وعاد المسلك إلى عاصمة مملكته ...

ثم كان أول عمل له ... أن أصدر أمراً ملكياً ... بتعيين الهدهد ...
سفيراً له لدى ملكة بلقيس ...

ثم استدعى الهدهد السفير ... وأصدر إليه أوامره ... صريحة محددة :

« اذهب بكتابي هذا .

« فآلقه إليهم .

« ثم تولى عنهم .

« فانظروا ماذا يرجعون » .

أوامر صريحة ... محددة ...

الأمر الأول ... « اذهب بكتابي هذا » ...

خذ هذا الكتاب ... احمل هذا الكتاب ... وطير إلى اليمن سريعاً ...
ومعك الكتاب ... واحذر أن يفقد منك ... أو تطلع عليه أحداً ...

الأمر الثاني ... « فآلقه إليهم » ... بمجرد وصولك إلى قصر الملكة

بلمقيس ... ألتقى اليها هي لا إلى أحد غيرها ... كتابي هذا ... واعمل على أن تستلمه بنفسها ... وأن يقع في يديها !..

الأمر الثالث ... « ثم قوّل عنهم » ... ثم راقبهم من حيث لا يشعرون ...

الأمر الرابع ... « فانظر ماذا يرجعون » ؟! فتأمل ما يرجعون ... وما يراجعون ويتراجعون ... بعضهم بعضاً ... في المشاورات والمفاوضات ... أي عليك بعد اللقاء الكتاب اليهم ... أن تقوم بمهمة الجاسوس عليهم ... وتحمل إليّ أخبارهم ... وتسجل مناقشاتهم ... كل ذلك في استخفاء عن أعينهم ... حتى تعلم كل ما يقولون ... وما سوف يقررون من مقررات ... ويدبرون من تدابير !..

لقد أصبح الهدهد موضع ثقة الملك ... وعهد اليه بمهمة السفير ... ومهمة المخابرات ... وكلفه أن يعود اليه بتقرير كامل عن مهمته الرفيعة ... انه مستقبل شعب بأكمله ...

مستقبل أمة ... يريد سليمان أن يخرجها من ظلمات عبادة الشمس ... إلى نور عبادة الله ... فانظر عجائب القدرة الإلهية ...

أن يجعل هداية أمة كاملة ... وإخراجها من الظلمات إلى النور ... على يدي هدهد ...

فأي آية ... هي أعظم من تلكم الآية ؟!

ثم ماذا ؟!

ثم أخذ الهدهد الكتاب ...

وأتى بلقيس ... وهي نائمة في قصرها ...
فألقاه على نحرها ...
فلما استيقظت ... رأت الكتاب في نحرها ...
فارتعدت ... وخضعت خوفاً ...
لقد نفّذ الهدهد أوامر سليمان حرقياً ...
طار من الشام ... الى اليمن ... سريعاً ...
ثم تسلل إلى قصر الملكة ...
ثم تسلل إلى مخدعها ... من أحد نوافذ حجرتها ...
وطبعمي أن أحداً من الحراس ... لا يفكر في منع هددهد من الطيران
فوق القصر ... ولا يخطر بباله أن هناك أمراً خطيراً يحمله هذا الهدهد ...
فما أكثر الهداهد ... في كل مكان ...
ودخل الهدهد الجميل ... إلى حجرة نوم الملكة الجميلة ...
وكانت الملكة نائمة ... تحلم أحلام العذارى ...
ثم حلتى فوق فراشها ... وألقى الكتاب فوق صدرها ...
ثم طار ... واختفى في مكان من القصر ... بحيث يراها ... ولا تراه ...
ليتجسس عليها ... وينظر ماذا يكون وقع المفاجأة عليها ...
وكيف تتصرف ١٩

وبعد قليل ... أفاقت الملكة الجميلة ... من نومها السعيد ...
ففوجئت بكتاب مختوم ... مستقراً على صدرها ...
ففزعزت ... شأن الأنثى يُفزعها أي شيء يفاجئها ...

وزادها فزعاً ... انها لا تدري ... فمن دخل عليها فخذعها ... ومن
ألقى على صدرها ... وهو مكان محرم ... ذلك الكتاب ١٢ .
والهدهد الماكر ينظر اليها ... ويتبسم من حيرتها ...
وهي لا تشعر أن هناك شيئاً يراقبها !..

ومها ترتقي أساليب المخابرات ... والجاسوسية ... وأجهزة التصنت
الالكترونية في العصر الحديث ... فإنها تعجز أن تحقق ما حققه هذا الهدهد
الرائع ... من تجسس وتصنت ... فيها هو معها في فخذعها ... يراها ...
ويسجل كل أحاسيسها ... وهي مطمئنة تمام الاطمئنان ... أن ليس هناك
من أحد معها !..

ثم ماذا ١٣

ثم هدأت الملكة قليلاً ... من أثر المفاجأة ...

وتناولت الكتاب ... فإذا به كتاب ممطر بأطيب عطر ... مختوم
بختام الدولة ...

ففضت خاتمه ... وجعلت تقرأ ما فيه ...

فإذا هو غاية في الإيجاز ... ونهاية في الإعجاز ...

وهذا هو نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم .
لا تعملوا عليّ وأتوني مسلمين » .
« سليمان » .

الأنثى أقرب إلى الإيمان ... من الرجل ...
ذلك أن الأنثى عاطفة ... قلب ...
والرجل عقل ... وفكر ...
والعقل حجاب ...
والقلب أبواب ...
ومن هنا ... تشعشع قلبها ... حين قرأت الكتاب ...
فجعلت تشمه ... ثم إلى صدرها تضمه ...
ثم تشمه ... ثم تضمه إلى نحرها ...
ثم تبكي ... وتبكي ...
ثم تقرأه ... وتقرأه ...
فيتفتح قلبها ... ويتفتح ...
ما هذا في استهلال الكتاب ؟!
بسم الله الرحمن الرحيم ؟!
جعلت تسأل نفسها : ما معنى هذا ؟! ما معنى : بسم الله ؟! وما معنى :
الرحمن ؟! وما معنى الرحيم ؟!
بسم الله الرحمن الرحيم ؟!
إن قلبي يحب هذه الكلمات ... ولكن عقلي يرفضها ؟!
ولكن ... لماذا لم يقل : بسم الشمس ؟!
هل لسليمان هذا ... إله يعبد غير الشمس ؟! وهل هناك من إله أعظم
من الشمس ؟!

ومواج قلبها بأمواج كالجبال ... وهي تجري فيها باسم الله ...
بجراها ومرساها ...

ثم لماذا هذا الاختصار الشديد ... ولماذا هذا التهديد وهذا الوعيد؟!
« لا تعملوا عليّ وأتوني مسلمين »!؟

مسلمين لمن؟!

أنا ... الملكة بلقيس ... ذات العرش العظيم ... أسلم لسليمان؟!
هذا لن يكون!..

ولكن خطابه لا يدل على طمع في مُلكي ...
فما الدافع الذي دفعه ... إلى تهديدي ووعيدي؟!

ثم مَنْ ألقى إليّ هذا الكتاب ... أمو الجنّ أهي الجاسوسية ... هل
هناك أحد من الخونة في قصري وأنا لا أعلم؟!

أُسئلة ... تلقى بلقيس على نفسها ... ولا تستطيع لها جواباً!..
إلا أنها لم تستطع مدافعة حنينها وأنينها ...

فجعلت تُقبل بفمها الجميل ... الكتاب ... وتضمه إلى صدرها ...
تكرر ذلك مرات ومرات ...

ثم قامت إلى المرأة ... فأصلحت من زينتها ...

ثم صاحت صبيحة الملوك ...

فجاءها سرب من رجال حاشيتها ...

والحنوا أمامها ... وانتظروا أمرها ...

فصاحت بهم : الآن ... وفوراً ... وبدون تريث ... يُعقد اجتماع
عاجل ... في قصري ... يُدعى اليه جميع رجالات الدولة ... لبحث أمر
غاية في الخطورة ...

ثم غادرت فراشها ... وفي يدها الكتاب ...

والهدهد الماكر ... يرقب قريباً منها ...

تنفيذاً لأمر سليمان ... « فانظُرْ ماذا يرجعون » ١٢.

أفتوني ... في ... أمري ... ١٤...

قاعة العرش . . .

خالية تماماً ... في انتظار انعقاد الجلسة التاريخية الخطيرة ...
يتصدر القاعة عرش الملكة بلفيس ... الذي اشتهر بروعة جماله ...
وعظمة اخراجه ...

وقد صفت على جانبيه مقاعد الوزراء والقادة وشيوخ القبائل ...
أما النوافذ الكبيرة ... فقد ازدانت بالستائر الفاخرة ...
وفي أعلى ستارة من هذه الستائر اختبأ المدهد ... ليشهد ويسمع كل
ما يدور في الاجتماع ...
وبعد قليل بدأ المدعوون يتوافدون تباعاً إلى القاعة ... ويأخذون مجالسهم
المخصصة لهم ...

وتكامل عددهم وهم في ملابسهم الرسمية ...
حضر رئيس الوزراء والوزراء ...
وحضر قائد عام القوات المسلحة ... وقادة الأسلحة ...
وحضر المستشارون الملكيون ...
وحضر شيوخ القبائل ... وزعماء الطوائف ...
قليل ، كان أولوا مشورتها ، ثلاثمائة واثنى عشر رجلاً .

« كل رجل منهم على عشرة آلاف .
« وكانت بارض يقال لها : « مارب » من صنعاء على ثلاثة أيام » .
وأخذ رجال الدولة بحالهم ... وتطلع الجميع ينتظرون حضور
الملكة ...

وفجأة نفخ النافخون في الأبواق ... ايذاناً بمقدم بلقيس ...
ودخلت الملكة إلى القاعة ... تتلأأ الآلئ على تاجها ... ويفوح العطر
من ثيابها ... وسارت إلى كرسي عرشها ... تجرر أذيالها ...

وأومات تحيي الحاضرين ... في ابتسامها ...

ثم جلست على عرشها !..

وعمّ القاعة صمت عميق ...

ثم تكلمت بلقيس ...

« قالت :

« يا أيها المأذ » .

« إني ألقى إليّ كتابٌ كريم » .

« يا أيها المأذ » يا حضرات السادة ... يا أشرف القوم ...

« إني ألقى إليّ » ولا أدري من ألقى هذا إليّ ؟ !.

ثم لوحت بالكتاب ... ليشهدوه جميعاً ...

« كتابٌ كريم » كتاب لم يأتني كتاب مثله ... ولم أقرأ في حياتي كتاباً في
سموه ... ولغته الرفيعة ...

وزادني دهشة إني حق الآن حائرة : من ألقى إليّ هذا الكتاب ؟ !

ثم نشرت الكتاب ... وجعلت تقرأ ما فيه ...

فصاح صائح من المجتمعين : من أرسل هذا الكتاب ... أيتها
الملكة العظيمة ؟

فقالت الملكة :

« إنَّه من سُلَيَّان » ..

فهمهم الحاضرون : الملك سُلَيَّان بن داوود ؟

— ملك الجنّ والإنس ...

— لعل الذي ألقاه اليها ... جنّيّ من يعملون لسُلَيَّان ؟

— ولم لا يكون طيراً ؟

— وكيف يجرؤ سُلَيَّان أن يرسل خطاباً ... إلى ملكة سبأ بمثل
هذه الطريقة ؟

ثم أشارت الملكة إلى الجميع ... فصمتوا جميعاً وأنصتوا ...

ثم قرأت في صوت عميق نص الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

لا تَعْلَمُوا عَلَيَّ .

« وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ » .

« سُلَيَّان »

هذا هو نص الكتاب ... يا حضرات السادة ...

وهذا يُعتبر تهديداً سافراً من الملك سُلَيَّان ... لملكة سبأ كلها ...

وهو أخطر تهديد تواجهه الدولة في تاريخها ...

ولهذا دعوتكم ... لتتخذوا قراركم ... الذي سوف يحدد مستقبل بلادنا
إلى أجيال قادمة ...

فضجبت القاعة بالتصفيق الحاد ... وتماثل المتفانيات بحياة الملكة ...
واستعداد الجميع لفدائها بأرواحهم ودمائهم ...!

إلا أن الملكة ... كانت تشعر بالخطورة البالغة ... فلم تلتفت إلى هتافاتهم
الفارغة ... فصاحت بهم :

« قالت يا أيها الملأُ افتُوني في أمري »

« ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون »

« يا أيها الملأُ » يا حضرات السادة ... ما جمعتمكم لتسمعوني أناشيد التأييد
والثناء ... ان الأمر أخطر مما تتصورون ... إن هذا ملك يهددنا ... اما
التسليم ... وإما غزانا وقهرنا على ما يريد ...

« افتوني في أمري » أشيروا عليّ : ماذا أفعل ؟! ان الأمر على الغاية
من الخطورة ...

« ما كنتُ قاطعةً أمراً » كما هي عادي ... لا أبت في أمر من أمور
هذا البلد ...

« حتى تشهدون » حتى تحضرون ... وتجتمعوا ... وتقرروا قراركم ...
فارتفعت الأصوات في القاعة مرة أخرى ...
ودبّ الخلاف بينهم ...

وانشقت صفوفهم المتلاحمة ...

لقد مزّق خطاب سليمان وحدتهم ... وأثار الرعب في صفوفهم ...
فلأنهم جميعاً يسمعون عن عظمة سليمان ... وعجائب ملكه ...
وبدأوا يتهامسون :

— ان الرجل يطمع في خيرات سبأ ...

— أو لعله يريد التوسع ... فيسيطر على مداخل البحر الأحمر ...
— أو هو يهددنا ... ليضطرنا إلى تقديم الهدايا اليه ...
— ولم لا تقول أن الرجل داهية ... فهو يخوف الملكة طمعاً في جمالها ...
ليتزوجها ؟ !
— انها مشكلة المشاكل ... تواجهنا بها الملكة ... لتفر من المسؤولية ...
وتلقيها علينا ...
فلما اشتد الجدل بين القوم ...
أشارت اليهم ... فصمتوا ...
ثم أشارت إلى قائد عام القوات المسلحة ... فوقف الرجل ...
فقالت الملكة : ان كتاب سليمان ... تهديد عسكري صريح ... فهو
يقول مهدداً « لا تهلّوا عليّ » لا تحاولوا أن تتكبروا أو تتعالوا عليّ ... مهبا
أوتيت من قوة ... ولم يقف عند ذلك ... بل هو يصدر إلينا أمراً كأننا قد
صرنا له عبيداً ... يأمرنا. فيطاع ...
ها هو يصدر إلينا أمراً صريحاً « وأتوني » جميعاً « مسلمين » ... منقادين ...
مسلمين ... معلنين اسلامكم لله ... مقرين بوحدايته ... وألوهيته ...
ولم أر في حياتي تهديداً لدولة من الدول أشد من هذا التهديد ... !
إنه يدمر كل معنوياتنا ...
ويهدر كل معتقداتنا ...
ويأمرنا أن نذهب اليه ... عبيداً مسلمين !

ثم سكنت الملكة ... لتسمع رأي قائد عام القوات المسلحة ... باعتبار
أنه الرجل الذي تتطلع إليه الأنظار ... حيث أن الموقف موقف تهديد
عسكري للدولة ... فهو رجل الساعة ...

« قالوا :

« نحن أولوا قوة .

« وأولوا بأس شديد .

« والأمر اليك .

« فانظري ماذا تأمرين » .

« نحن » نحن شعب .

« أولوا قوة » أهل جيش عظيم ...

« وأولوا بأس شديد » وأهل شجاعة في القتال ... وصبر على النزال ...
لا نهرب عدواً ... ولا نخاف الموت ...

لغة عسكريين ... يرون الأمور بمنظار القوة وحدها ...

ان كان سليمان يريد لها حرباً ... فنحن لها ... نحن أهل جيش حاشد ...
وأهل بأس في القتال شديد ...

ثم فوض القائد العام ... الأمر إلى الملكة فقالت :

« والأمر اليك » والقرار النهائي اليك أنت أيتها الملكة العظيمة ...

« فانظري ماذا تأمرين » ان شئت حرباً فهي الحرب ... وإن شئت
صلحاً ... فما شئت يكون ...

وهكذا ... ألقى الرجل المسئولية ... عليهمسا ... بعد أن قام
باستعراض القوة ...

ثم أومأت اليه ... أن يجلس ... فجلس ...

وانتظر الجميع : ماذا يكون قرار الملكة ؟!

هل تصدر اليهم أمراً بالحرب ؟!

هل ترفض إنذار الملك سليمان ؟!

هل تثبت على دين قومها ... وتسجد للشمس هي وشعبها ؟!

أم ماذا يكون أخطر قرار في تاريخ المملكة الشاذة ؟!

والهدهد العتيد ... ينظر اليهم جميعاً ... من وراء الستائر النفيسة
وهم لا يشعرون !..

إن الملوك... إذا دخلوا قرية...
أفسدوها...!

عم ...

القاعة ... صمت طويل ...
الجميع ينتظرون قرار الملكة ...
ثم وقفت بلقيس ... وقد بدت كأنها تحمل جبلاً ضخماً على كتفها ...
وقالت قولاً خالداً :
« قالت » :

« ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة
وكذلك يفعلون .

« واني مرسل اليهم بهديّة فداخلة بهم يرجع المرسلون » .

لقد ألقت بلقيس أنوثتها بعيداً ...

وتفجّرت تتكلم في حزم وعزم ...

« ان الملوك اذا دخلوا » غنوة أو غزواً وانتصروا ...

« قرية » مدينة ... أو عاصمة مملكة ...

« افسدوها » قلبوا نظامها قلباً تاماً ... وغيروا الأوضاع تغييراً شاملاً ...

« وجعلوا اعزة اهلها اذلة » وقلب نظام الحكم ... معناه إزالة المجموعة

الحاكمة ... وإحلال مجموعة أخرى موالية لهم مكانها ... فانقلب الأعزة

إلى أذلة ...

واستولوا على مقدرات البلاد ... ونهبوا ثروات العباد ...

فجعلوا الأعزة أذلة ... والأذلة أعزة ...

« وكذلك يفعلون » دائماً ... وهذا دأبهم ... وذلك هو القانون الطبيعي ... لأن الغزاة إذا انتصروا استباحوا كل شيء من أعدائهم ... وفعلوا ما يشاءون ... وويل للمغلوب ...

هذا منطق الملكة ... وهو منطق حكيم ...

إنها تريد تجنب بلادها ويلات الحرب ... غير المتكافئة ...

فإن قوة بلادها معها عظمت ... لا تستطيع التغلب ... على قوات سليمان ... التي اشتهرت في العالم كله ...

وما أن نطقت الملكة بقولها ... وألقت برأيها ... حتى بدأ المجتمعون جميعاً يميلون إلى رأيها ...

وجعل كل يفكر في مستقبله ... وأوضاعه التي سوف يفقدها كلها ... إذا انتصر عليهم سليمان ...

ثم أخذوا يتقدمون إلى الملكة ... ينتظرون قرارها ... وكيف يكون علاجها لتلك المشكلة العويصة ؟

وفي صوت الملوك ... إذا أعلنوا قرارهم المصيرية التاريخية قالت :

« وإني مرسلت إليهم بهدية .

« فناظره بم يرجع المرسلون » ١٢ .

هذا هو قرار الملكة التاريخي ...

فضجعت القاعة بالتصفيق الحاد ...

وتعالت المتأففات تأييداً للملكة العظيمة !..

وأثناء هذا الضجيج والمجيج ... انصرفت الملكة ... في موكبها
الملكي الذي يلذّ للناظرين ...

أما الهدهد الخالد ... فقد طار لغوره ... إلى خارج القصر الملكي ...

ونشر أجنحته في الهواء ... طائراً من اليمن إلى الشام ...

لينقل إلى سلاجات ... الأخبار كاملة ...

ويطلعه على كل ما كان منهم ... منذ ألقى الكتاب إلى بلقيس ... إلى أن
اتخذوا قرارهم الأخير !..

اَتْمَدُّوْفَنَ ... بِمَالٍ ...!

هذا ...

مفتاح ... من أخطر مفاتيح شخصية سليمان ...
صراع بين ملكة من ملكات الدنيا ...
وملك من ملوك الآخرة ...
حوار بين منطق نبي ... ومنطق ملكة ...
حشدت بلقيس أعلى ما تملك من جواهر ونفائس ... وأعز ما عندها من
أطيب الطيب ...

وجاءت بأعظم رجالاتها مكرراً ودهاء ...
وجعلتهم على رأس القافلة ... وأمرتهم أن يسيروا إلى سليمان ...
وأن يقدموا إليه ... تحياتها ...
ثم يقدموا إليه ... هداياها ...
ثم عليهم أن يدرسوا كل ما حولهم من أحوال ملكته ...
وأن ينظروا ماذا يكون قراره عندما يقدمون إليه هداياها ...
لنستطيع على ضوء ذلك كله ... أن نكيف موقفها منه ...
ولقد تفنن القصاص في وصف الهدايا المرسله منها إلى سليمان ...
وقال القشيري ... في لطائف الإشارات :

« جاء في القصة ، أنها بعثت إلى سليمان هدايا .
« ومن جملتها لبنة مصنوعة من الفضة وأخرى من الذهب .
« وأن الله أخبر سليمان بذلك ، وأوحى إليه في معناه .
« وأمر سليمان الشياطين حتى بنوا بساحة منزله ميداناً .
« وأمرهم أن يفرشوا الميدان بهيئة اللبنة المصنوعة من الذهب والفضة ، من
أوله إلى آخره .

« وأمر بأن توقف الدواب على ذلك ، وألا تنظف آثارها من روث وغيره .
« وأن يترك موضعان للبتنين خاليين في ممر الدخول .
« وأقبل رسلها ، وكانت معهم اللبتنتان ملفوفتين .
« فلما رأوا الأمر ، ووقعت أبصارهم على طريقهم ، صغروا في أعينهم
ما كان معهم .

« وخجلوا من تقديم ذلك إلى سليمان ، ووقعوا في الفكرة ...

« كيف يتخلصون مما معهم ؟

« فلما رأوا موضع اللبتنين فارغاً ، ظنوا أن ذلك سُرق من بينها .

« فقالوا : لو أظهرنا هذا لنسبنا إلى أنا سرقتاهما من هذا الموضع .

« فطرحاهما في الموضع الخالي .

« ودخلا على سليمان .

هذه أقصوصة أوردها القشيري في تفسيره ...

ولا أميل إلى اعتمادها ... وإنما أثبتناها كنموذج مما قيل في وصف هدايا
الملكة إلى سليمان .

وإنما المقطوع بصحته أن أي ملكة ... في مثل عظمة بُلُوك بلقيس ...

إذا فكرت أن ترسل هدايا ... الى ملك في مثل عظمة ملك سليمان ...
إنما ترسل اليه ما يليق بعظمة ملكها ... ويليق بعظمة ملكه ...
أضف إلى ذلك أن بلقيس كانت تريد أن تختبر سليمان بهديتها ... فإن كان
من أهل الدنيا قبلها ... وإن كان نبياً رفضها ...
فمن الحتم عليها ... أن تبالغ في هداياها ... لتحقيق غرضها وهدفها من
ذلك الترتيب !
ثم ماذا ؟ !
ثم وصل الهدهد الى سليمان ...
وأخبره بخبر رحلته ... ذاهباً الى سبأ ... وعائداً منها الى الشام ...
ونقل اليه أخباراً كاملة عن اجتماعاتهم وقراراتهم ... وإنهم انتهوا الى ملايفته ...
وإرسال الهدايا اليه ...
ثم هناك في سبأ ... أعدت الملكة القافلة التي سوف تسير الى سليمان ...
وعلى رأسها دهاء السياسة في بلادها ... وأكابر الجواسيس الذين يعملون لها ...
وبعد أسابيع وصلت القافلة الى سليمان ...
وأذن لها بالمشول بين يديه ...
فتقدم رسل بلقيس الى سليمان ...
وأبلغوه تحيات الملكة ... وتمنياتها الكريمة ...
وجعل سليمان يسألهم عن أحوالها ... وأحوالهم ...
ثم سألوهم بأن يأذن لهم ... في تقديم ما يحملون اليه من هدايا ...
« فلما جاء سليمان قال اتشمدون بي بما لي فيها آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم
بهديتكم تفرحون » .

« فلما جاء » الرسل الذين أرسلتهم بلقيس ...
« سليمان » وخضروا عنده ... نظر نحوهم بوجه حسن طلق ... وتكلم
مهمم ليناً ... مستخبراً عن أحوال ملكتهم ومملكتهن ثم ...

« قال » ما أمركم وشأنكم ؟
فأعطوا كتاب بلقيس فنظر فيه ...
ثم أتوا بالهدايا المرسلة ...
فأبى سليمان عليه السلام ، وامتنع من قبولها ، وردّها كلها إليهم ... مهدداً
حيث قال ...

« أتُهدونني » وتزيدوني .
« ببال » يميل إليها أبناء الدنيا الدنية ... المحرومين عن اللذات الأخروية ...
« فما آتاني الله » المنعم المتفضل عليّ من الأمور الأخروية ... واللذات
الدنية ... من النبوة ... والرسالة ... وتسخير الثقلين ... والرياح ...
والطيور ... والوحوش ... وجميع من في الجو ... وعلى وجه الأرض ...
« خير بما آتاكم » من حطام الدنيا ... وزخارفها الفانية ... فما لنا مثل
والتفات إليها ...

« بل أنتم » وأمثالكم من أبناء الدنيا ...
« يهديتكم » هذه .
« تفرحون » قيلون ... وتسرون بها ... لفخركم بأمثال هذه الزخارف ...
لقصور نظركم عليها ... وغفلتكم عن الأمور الأخروية .

ثم ماذا ؟
قلنا في مطلع هذا الباب أن هذا أخطر مفتاح في شخصية سليمان ...

ونعني بالمفتاح قوله تعالى « اتحدون بمال » ١٩

ها هنا المفتاح ...

والتمبير ... فيه تحقير وتصغير ...

تحقير لكل ما كان منهم من تفكير ...

تصغير لكل ما كان عنهم من تدبير ...

بمال ١٩.

بمال حقير ... ليس له أي قيمة أو اعتبار ...

أموالكم هذه التي حشدتموها ... من ذهب وفضة وعطر وغلان
وجوار ونياب ... وظننتموها شيئاً يسرنى ويطربنى ... إنما هي عندي
لا شيء ... يستحق أن يلتفت إليه !..

أحسبتمونى طالب دنيا وزيتها ... أم ظننتمونى طامعاً فى ما عندكم من
ثروة ومتاع ١٩.

أنتم قوم تجهلون ... وآية جهلكم هذا الذى تفعلون !..

نحن معاشر الأنبياء ... لا نورث ما تركناه صدقة ...

ونحن معاشر الأنبياء ... لا نلتفت إلى دنيا ... ولا إلى آخرة ... وإنما
إلى الله ...

ومن كان نظره إلى الله ... لا يمدن عينيه إلى شيء سواه ...

هيهات هيهات أن تفهموا شيئاً مما أقول لكم ...

ولو كنتم تعقلون ما عبدت ملكتكم ... وعبدتم الشمس من دون الله ...

ما هذه الشمس التى تعبدون ١٩

الله خالق الشمس ... وخمالتى كل شيء ... فكيف تعبدون مخلوقاً
أيها الجاهلون !؟

ووقف سليمان ... عالياً ... أعلى من السماء ... ثم قال :
« فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم » وما هنا يتلألاً منطق الأنبياء ... وهو
يخالف منطق الفراعنة ...

الفراعنة يقولون « اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » ...
ويقولون بلسان قارون « إنما أوتيته على علم عندي » ..
ينسبون ما هم فيه من نعم ... إلى أنفسهم « اليس لي » ؟ !
المسلك ... لي ... وأين الله من تفكيره ... لا وجود لله في تفكيره !
والمسمى قارون يقول « على علم عندي » ... عنده هو ... وأين الله
يا أيها القارون ؟ ! لا وجود لله عنده ... إنما العلم علم عبقريته الفذة ! ..

هذا منطق الفراعنة ... منطق الجاهلين ...
ومنطق يصغار وصغار ... وعار وشنار ...
منطق أطفال ... يفرحون بما في يدهم ... ويظنون أنهم أصحابه ... ولا
شيء وراء ذلك ...

وهذا منطق لا يستحق ... حتى أن يبعث الإنسان عليه ...
أما منطق الأنبياء ... ومنهم سليمان فيقولون ... فما آتاني الله خيرٌ
مما آتاكم ؟ ! ..

كمال ... وجمال ... وجلال ...
كأن ... حين أطلقوها شاملة كاملة ... آتاني ... آتاكم ... ما عندي ...
وما عنديكم ... من الله ...

لغتهم لغة... جوامع الكلم... وفصل الخطاب...

لغتهم لغة... «له كل شيء»... له هو سبحانه... كل شيء...
ما أوتيت... وما أوتيتم منه... هو...

هذا كال تعبيرم...

أما الجمال... فمي قوله «خير»... لم يقل أعظم أو أكثر مما آتاكم...
ولما «خير» مما آتاكم...

فماذا في هذا من الجمال؟!

فيها جمال ليس كمثله جمال؟!

خير؟!

أرقى... وأسمى... وأعلى... وأبقى... مما آتاكم...
أين حقارات مملكتكم... من جنود أو أموال... أو بساتين... أو
مناصب... مما آتاني الله؟!

أين تلك التفاهات الغانيات الزائلات... من الباقيات الصالحات؟!
أين النبوة... من أي شيء في الأرض أو في السماء؟!
أين اختيار عبد من عباد الله... ليكون سفيراً من الله إلى عباده... من
ملك قطعة أرض من الكرة الأرضية؟!

خير؟!

فيها جمال شعشعاني عجيب!...

فكيف بها وهي تروج من قلب سليمان... فتزداد جمالاً إلى جمال؟!
أولئك الأنبياء... أعلى ثم أعلى من السماء...

وأما الجلال ... ففي شخصية سليمان ... القاهرة ... الباهرة ...
 الظاهرة ... الشاكرة ... الناظرة ... إلى ربها ...
 والأنبياء ... يتجلى عليهم ربهم ... بالجمال ... والجلال ...
 فإذا رأيتَ ثم رأيت ... جمالاً وجلالاً ... يلتقيان ...
 فإذا ما مسسنا ما في التعبير السلياني « فما آتاني الله خير مما آتاكم » من
 كال وجمال وجلال ... وجدنا أنفسنا نسبح في بحار فضل الله على عبده الذي
 قال فيه « نعم العبد إنه أواب » ...
 فرأينا عجائب العطاء الإلهي « هذا عطاؤنا » ...
 ورأينا عجائب إطلاق العطاء ... بلا حدود وبلا قيود وبلا سدود ...
 « فامتن أو امسك بغير حساب » ...
 ورأينا عجائب « هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ...
 ثم نسبح ونسبح فماذا نرى ؟
 « وإذا رأيتَ ثم رأيتَ نعيماً ومُلْكاً كبيراً » ...
 نبوة ... فهو نبي زمانه ... وقُطِب أوانه ...
 وورثة عن أب هو خير أب ... « وورث سليمان داوود » ...
 وعطاء بعد عطاء ...
 ربح مسخرة لأمره ...
 جنّ يعملون بين يديه ...
 طير محشورة لأمره ...
 شعب مسخر له طوعاً ...
 امكانيات ... أكداس من الذهب والفضة ...

قصور شاحنات من كل نوع وفن ...

حكمة تضرب بها الأمثال ...

فأين من أين ١٢

أين ملك بلقيس معها أوتيت من كل شيء ... كما قال عنه المدهد « وأوتيت

من كل شيء » ...

من ملك سليمان ... الذي قال فيه « وأوتينا من كل شيء » ١٢ .

لا نسبة ...

ملك بلقيس ... قطرة من ملك سليمان الظاهر ...

ويزداد عنها ... ملكه الباطن ... الذي لا مثل له في الأرض ...

هناك غابت عن نظر سليمان هداياهم ... وما حلوه اليه ... وعظم شعوره

بنعمة الله عليه ...

وقال لرسل بلقيس : بل أنتم يهديثكم تفرحون ! ...

هذا أقصى ما عندكم من الإغراء ...

لأن قلوبكم هواء ...

فلنأتينهم ... بجفوة ...
لا قبل لهم بها ...؟ ...

الأنبياء ...

كل الأنبياء ... إذا ما غضبوا ... غضبوا ... الله ...
وإذا ما رضوا ... رضوا ... الله ...
والناس يغضبون لهوام ... ويرضون لهوام ...
لكن الأنبياء ... لا هوى لهم ... وإنما كلهم أولام ...
« وما ينطق عن الهوى .
« إن هو إلا وحي يوحى » ..
هذا ناموسهم ... وليس النطق وحده ... وإنما كل أحوالهم ...
ومن هنا ... كان صمتهم لله ... ونطقهم لله ... ورضاهم لله ...
وغضبهم لله ...
وكل ما يكون منهم لله ...
وتذكر في هذا ... ما قيل لداود :
« ولا تتبجح الهوى » ..
وهنا ... في هذا المقام السلطاني ... نشهد مشهداً عجيباً ... من
غضب الأنبياء ...
« ارجع إليهم .

« فلنأتيهم بجنودٍ لا قبل لهم بها .
« ولنُخرجهم منها اذلةً وهم صاغرون » .
أقوى شخصيات على الإطلاق ... شخصيات الأنبياء ...
وأقوى إرادة مطلقاً ... إرادة الأنبياء ...
هم مؤهلون أن يتحدى ويتحدى الواحد منهم ... وحده ... للعالم كله ...
تشهد تلك المشاهد العُلى ... منهم ... في مواقعهم الخالدة ... وهم يبلغون
رسالات الله ...

« الذين يُبلغون رسالات الله .
« ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله » !..
هذا هو ينبوع قوة شخصياتهم العُلى ... صلى الله عليهم ...
وانظر في هذا ... إلى نوح حين وقف ... وحده ... طيلة نحو ألف
عام ... يتحدى البشر جميعاً ...

أو انظر إلى ابراهيم ... حين هددوه بالموت حرقاً ...
 واجتمعوا عليه أجمعين ... وألقوه إلى الجحيم ...
أو انظر إلى موسى ... حين وقف ... وحده ... يتحدى فرعون
وشعبه كله ...

ثم انظر بعد ذلك ... إلى سليمان ها هنا ... تتكامل لك الصورة ...
وتدرك ان ليس كمثل شخصياتهم شخصيات !..

والمشهد هنا... مشهد شعب ضخم ... على رأسه ملكة عظيمة حكيمة ...
يميش ناعماً ... في جنات وعيون ... وزروع ومقام كريم ...
شعب له جيش كبير ... واشتهر بجنوده في الحرب ببأس شديد ...

وليس هناك من شيء يعكس صفو العلاقات الطيبة بين مملكة سبأ ...
ومملكة سليمان ...

فمنطق السياسة الطبيعي ... ألا يكون هناك توتر في العلاقات بين البلدين ...
وأن يقبل سليمان هدية بلقيس ... ويعتبرها دليلاً على حسن العلاقات
بين البلدين ...

وأن يرد على تحية الملكة بأحسن منها ... فيهدي إليها كما أهدت إليه ...
ويحييها كما أرسلت إليه تحياتها ...

هذا هو المألوف في العلاقات الدولية ... ولكن سليمان رفض الهدايا ...
وقطع العلاقات الدبلوماسية فوراً بينه وبين مملكة سبأ ... وطرد أعضاء
البعثة جميعاً ... طرداً عنيفاً ... حين هددهم ...

« أرجع إليهم » مخاطباً رئيس البعثة ... وهذا معتاد في العرف
الدبلوماسي ... عند إلى بلادك من حيث أتيت ... واحمل مولك جميع
هداياكم ...

معناه طرد أعضاء البعثة جميعاً ...
ولم يقف الأمر عند هذا ... بل أعلن الملك بنفسه ... أمام أعضاء
البعثة البلقيسية ...

أعلن الحرب ... فوراً ... على مملكة سبأ ...
« فلنأتيهم بجنود » فلنضربهم بقوات ...
« لا قبل لهم بها » تسحقهم سحقاً ... ونزقهم شر ممزق ...
« ولنخرجهم منها » من بلادهم ...
« أذلة » ما بين أسير ... وطريد ... وشريد ...

« وهم صاغرون » مهانون ... ان لم يأتوا مسلمين ...
وكان النبي ... الملك ... سليمان ... وهو يعلن الحرب على مملكة سبأ ...
ويهددهم جميعاً بالإبادة والتشريد ... والإذلال ...
في حال من الغضب ... الشديد ...
ورُعِب هنالك أعضاء البعثة رعباً عظيماً ...
ووقفوا يتلقون التهديد ... كأنهم خشب مُسنَّدة ...
لم ينطقوا ... ولم يحركوا ساكناً ...
فما معنى هذا ؟
لمسأذا ردَّ سليمان ... على ملاطفة بلقيس ... بعنف لا تحتمله الجبال ؟
لماذا جعل عالياً ... وقطع بسيفه كل العلاقات بينه وبين سبأ ...
وأعلن عليهم حرباً ... تسحقهم سحقاً ؟
لأن القضية ليست قضية ملوك ... وسياسة وكياسة ...
إنما هي قضية توحيد ...
شعب يعبد الشمس ...
وسليمان يدعوهم إلى عبادة الله ...
فإن أبي ... فالحرب فوراً ...
كل طاقات سليمان تُصب صباً في هذا السبيل ...
كل جنوده تُحشد ... لله ... فوراً ...
فلمتسدر بلقيس ... وجيش بلقيس ... وإمكانيات بلقيس ...
إنهم قد احتجبوا عن الله ...

فلتمزق هذه الخُجُب فوراً ...
لتسطع شمس الحقيقة ... شمس لا إله إلا الله ...
ولتسقط الأباطيل التي يعبدون من دون الله ...
إنه نفس منطق سيد الأنبياء :
« أمرت أن أقاتل الناس .
وحتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » ..
مشهد ... ياله من مشهد !..
مشهد نبي ... يغضب الله ...
فيزأر زئيراً ... يهز الوجود هزاً هزاً !..
« قلناتينهم بجنود ... لا قبل لهم بها ... ولندخرجهم منها ... أذلة ...
وهم صاغرون » !..
منظر من المناظر الإلهية ...
نشهد فيه ... أن شخصيات الأنبياء ... أقوى شخصيات على الإطلاق ...
وها هو نبي منهم ... اسمه ... سليمان ...
يعلن الحرب والدمار ... على مملكة الشمس ...
غضباً لله ... وفي الله ...
إما ... لا إله إلا الله ...
وإما ... هو السيف ... بيني وبينكم !..

أیکم ... یأتینو ... بحر شها ...!؟

بلقيس ...

تجلس على عرشها ...
ورجالاات الدولة من حولها ...
الجميع يتطلعون إلى جمالها ... ثم يغضبون البصر ... خوفاً من جلالها ...
ثم أمرت بمشول البعثة بين يديها ...
فدخلوا ... ثم سجدوا أمام عرشها ... تحية لها ...
فاومأت اليهم في دلال ... فجلسوا في مجالسهم ... إلا رئيس البعثة فقد
ظل واقفاً بين يديها ...

فقال الملكة : تكلم ... واطرح للجميع ... كل شيء ...
فقال رئيس البعثة : سيدي ... لقد أعلن سليمان الحرب علينا ...
فشارت الملكة وصاحت : لملك ارتكبت حماقة من حماقاتك ...
فأغضبته ؟ !

فقال في خوف : لا ... وحق الشمس ... لقد تذلللت إليه ... وتلطفت في
حديثي غاية التلطف ...

قلت : أحمل اليك تحيات الملكة ... وتحيات شعبها ...
ثم استأذنته أن تقدم إليه هداياتا ...

فشار ثورة لم تشهد مثلها رصاص « أقمدونين بهال » ؟ !
 ورفض قبول الهدايا ... وحرقها تحقيراً شديداً ...
 وقال لنا : أنتم وأمثالكم ... « بهديتكم تفرحون » ...
 إلا أن ذلك كله يهون ... بالنسبة إلى ما فاجأنا به بعد ذلك ...
 ففتفت الملكة : وماذا هناك بعد ذلك ؟ !
 فقال : أعلن طردنا جميعاً ... وثار بنا صائحاً : « ارجع إليهم » ...
 ثم أعلن الحرب علينا : « فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها... ولنخرجهم
 منها أدلة ... وهم صاغرون » ...
 ففتفت الملكة : إذاً هي الحرب ؟ !
 فماذا تقولون ؟ !
 إن سليمان يهددكم بالإبادة ... أيها الرجال ...
 فصاح صائح منهم : نحن لها ... فانظري ماذا تأمرين ؟ !
 ثم قال رئيس البعثة : لقد طردنا طرداً ...
 فقالت الملكة : كيف وجدتم مملكته ؟ !
 فقال : سيدتي ... ملك ليس كملك ... جنود لم تشهد مثلها قط ...
 امكانيات ... قصور ... الذهب الفضة النحاس ... لا قيمة لها عند سليمان ...
 عرشه من ذهب ... آنيته من ذهب ... قصوره لا يتصورها العقل ... مصيبة
 لم نواجه مثلها يا سيدتي ...
 ففتفت الملكة : الآن تأكد عندي ... أنه نبي ... فلو كان ملكاً من ملوك
 الدنيا ... لقبيل هدايانا ... ورضي منا ما قدمناه ...
 - أما الحرب فنحن نخسرنا ضده ...

— فليس أمامنا إلا التسليم . .

— فصاح رجال الكهنوت ... كالثيران الهائجة : لا وربّ بلقيس ...
لا ندع عبادة الشمس ... ولا نسلم لسليمان أبداً ... الموت أهون علينا من ترك
دين آبائنا وأجدادنا ...

فصاح قائد القوات المسلحة : أنتم رجال الكهنوت ... تحسنون الترانيم ...
فإذا جدّ الجدد كنتم أول من يفر !..

فغضب كهنة الشمس وقالوا : وأنتم يا رجال السيف ... كالطواويس ...
تحسنون الزهو ... ولا تحسنون الطعن ...

وارتفع النقاش ... وكادوا يشتبكون بالأيدي ... لولا أن صاحبت بهم
الملكة : كفوا عن هذا الغيبث ... ودعونا نواجه المصيبة العظمى ...

— اني قد اعتزمت المسير إلى سليمان ...

— ولا رجعة في قراري ...

فضجت القاعة بالتصفيق ... وتعالّت الهتافات : عاشت الملكة ... حيثما
الله الملكة ... الأمر أمر بلقيس !..

وانفضّ المجتمعون ... وغادرت الملكة قاعة العرش ...

وعلى الفور استدعت من كبار حاشيتها رجالاً موضع ثقّتها ...
وأمناء سرّها ...

وقالت لهم في لهجة قاطعة : توجهوا فوراً ... إلى سليمان ... في أسرع
وقت ... وعلى صهوات خيولكم ... لتصلوا اليه سراعاً ...

— فإذا جئتموه ... فأعظموا له التحية ... وقولوا له : ان الملكة قد
اعتزمت المسير اليك ... هي ورجال دولتها ...

— هيا . . نفّذوا ما أمركم به ...

ومضت الأيام ... ووصلت بعثة بلقيس إلى سليمان ... وأخبروه
بما أمروا ...

فأحسن سليمان ضيافتهم ... وحجزهم عنده ... ينتظرون مقدم الملكة ...
أما بلقيس فأغلقت الأبواب على قاعة عرشها ... وشدت الحراسة على
قصرها ... وعيذت نائباً عنها من أهل ثقتها ...

ثم خرجت على رأس الموكب الملكي ... وخرج معها القادة ... والزعماء ...
وكبار رجال الكهنوت ... وقد حرصت أن تجمعهم معها في رحلتها ... حتى
لا يلتزموا الفرصة ... ويحدثوا انقلاباً ضدها وهي غائبة عن عاصمة ملكها ...

وبما ورد عند أهل الكتاب ... عن قدوم بلقيس إلى سليمان :

« وسمعت ملكة سبأ يخبر سليمان .

« فأتت لتمتحن سليمان بمسائل إلى اورشليم .

« بموكب عظيم جداً .

« وجمال حاملات أطياباً وذهباً بكثرة ، وحجارة كريمة .

« فأتت إلى سليمان ، وكلمته عن كل ما في قلبها .

« فأخبرها سليمان بكل كلامها .

« ولم يخفَ عن سليمان أمر إلا وأخبرها به .

« فلما رأت ملكة سبأ حكمة سليمان ، والبيت الذي بناه ، ومعلماء مائنته ،

ومجالس عبيده ، وموقف خدامه وملايسهم ، وسفحاته وملايسهم ، ومحرقاته

التي كان يصعد فيها في بيت الرب ، لم تبق فيها روح بعد .

« فقالت للملك : صحيح الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك

وعن حكمتك .

« ولم أصدق كلامهم حتى جئتُ وأبصرت عيني .
« فهو ذا لمُ أخبر بنصف كثرة حكمتك .
« زدت على الخبز الذي سمعته .
« فطوبى لرجالك ، وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً ،
والسامعين حكمتك .
« ليكون مباركاً الرب إلهك الذي تُسرُّ بك ، وجعلك على كرسيه ، ملكاً
للرب إلهك » ...
ومما ورد عندهم :
« وأهدت للملك مئة وعشرين وزنة ذهب .
« وأطياباً كثيرة جداً .
« وحجارة كريمة .
« ولم يكن مثل ذلك الطيب الذي أهدته ملكة سبأ الملك سليمان » ...
ثم ماذا ؟! . ثم قالوا :
« وأعطى الملك سليمان ملكة سبأ ، كل مشتتها الذي طلبت ، فضلاً عما
أتت به إلى الملك .
« فانصرفت ، وذهبت إلى أرضها ، هي وعبيدها .
هذا مما ورد عند أهل الكتاب عن موكب الملكة ...
لقد كان موكباً عظيماً ... يتناسب مع عظمة الملكة ... وعظمة الملك
الذاهبين إليه ...
مشات من الخيول العربية الأصيلة ... يركبها مشات من القادة والزعماء ...
والملكة على رأسهم ... في إخراج ملكي بهيج ...

مئات من الإبل ... محملة بالجواهر ... والطيب ... والهدايا ...
ألوف ... من العبيد ... والغلمان ... والجواري ... يتبعون الموكب ...
وقطع المسافرون المسافة من اليمن إلى الشام ... في أسابيع ... وأصبحوا
على مشارف عاصمة سليمان ...

وكان الملك سليمان ... يجلس على عرشه ... في قصر الحُكْم ...
ومن حوله قادة الجنّ ... وقادة الإنس ... وقادة الطير ...
ونظر سليمان ... وهو على كرسيه ... فرأى سواداً من بعيد ... على مرمى
البصر ... قادماً ... في اتجاه القصر ...

فسأل : ما هذا الذي يبدو من بعيد ؟

فقالوا : هذه بلقيس ... قادمة إليك ... وقومها ...

« قال يا أيها الملك .

« أياكم يأتيني بعرشها .

« قبل أن يأتوني مسلمين » .

« يا أيها الملك ، يا أيها القادة ... من الجنّ ... والإنس ...

« أياكم يأتيني » فوراً ...

« بعرشها » بكرسي عرشها ... هذا الذي يتعدّون عن عظمتهم ...

« قبل أن يأتوني » قبل أن يصلوا إليّ ها هنا ... في مجلسي هذا ...

« مسلمين » طائعين ؟ ..

فنهض واقفاً واحد من الجنّ ... وأجاب على سؤال النبي الملك ... في

اعتزاز بقوته ...

« قال عفريت من الجنّ .

« أنا آتيك به .

« قبل أن تقوم من مقامك .

« وإني عليه لقوي أمين » .

« قال » فوراً ...

« عفريت » رئيس منهم ... وكان أقواهم ... والمفريت ... هو
الخبيث المارد ...

« من العجن » من جلس الجن ... الذين يجلسون في مجلس سليمان ... وقيل
كان اسمه صخر ...

« أنا » ومعنى هذا أنه يمتاز بقوته وقدرته ...

« آتيك به » أحمله اليك ...

« قبل أن تقوم من مقامك » قبل أن تقوم من مجلسك الذي
تجلسه للحكم ...

« و » بالجملة آتيك به قبل إتيانها ...

« إني عليه » أي على حمل العرش وإتيانه ...

« لقوي » أحمله بلا تزلزل أركانه وقوائمه ...

« أمين » لا أتصرف في شيء من زينته وجواهره ...

فلم يرغب سليمان في قوله ... لأنه بنى القول فيه على دعوى قوته ...

وبالتأمل في قول المفريت ... نلمس طبيعة الفخر والخيلاء ...

« أنا ... آتيك به ... وإني ... لقوي أمين » ...

أنا ؟ إني ؟ لقوي ؟ أمين ؟ ..

سلسلة من التعزز بنفسه ... والفخر بصفاته ... ونسبة الفعل إلى نفسه ...
لا إلى الله ...

ولا عجب ... فهو عفريت ... أي شرير ... خبيث ... وهذه
لغة الخبيثين ...

يعبدون ذواتهم ... ويمجدون صفاتهم ... فهم دائماً يقولون ...
أنا ... وإني !..

ان أقصى سرعة عند المذكور ... أن يأتي بالعرش من اليمن إلى سليمان ...
قبل أن يفادر قاعة العرش ... أي خلال ساعات قليلة ...

ولكن سليمان ... يريد أسرع من ذلك ...

لذلك أعرض عن كلام العفريت وقال لمن حوله : أريد أسرع من ذلك ؟ ..

فجلس العفريت ... خاسئاً ... وهو حسير !..

وتطلع الجميع ... ولسان حالهم يقول : من يجيب على سؤال سليمان ؟ !.

أنا ... آتيك به ...
قبل أن يوتد إليك طرفك ... ١٩

الجنّ ...

مهما أوتوا من قوة ... ليسوا شيئاً ذا بَل ... بالنسبة الى قوة الإنس ...
وقد قرر أحد العارفين تلك الحقيقة حين قال : رجل صالح واحد أقوى
من مملكة الجنّ بأسرها !..

وإنما استتار الجنّ عن العيون ... هو الذي يعطيهم هذه الهالة في نظر
الجاهلين من الآدميين ...

فتراهم يقصون الأقاصيص ... ويتناقلون التهاويل ... عزّ الجنّ وما يصدر
عنهم من أفاعيل !..

ولقد رأينا كيف أن أقصى ما يمكن أن يكون من الجنّ ... أت يأتي
بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام ... في بضع ساعات ؟!

وكيف وقف القوي الأمين منهم مفاخرأ بهذا ... ويعتبره حدثاً عجبياً
« أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك ... وإني عليه لقوي أمين » ؟!

ولكن سليمان ... النبي ... الذي كشف الله له حقائق الأجناس ... فهو
يعلم مدى قوة جنس الجنّ ... ومدى قوة جنس الآدمي ... ومدى قوة جنس
الطير والوحش ...

لم يلتفت إلى مقال العفريت من الجنّ ... لمسافيه من الفخر والخيلاء
والاعتزاز بالقوة ...

لأنه يعلم أن الآدمي ... يستطيع أن يأتي بالعرش أسرع من ذلك ...
وجعل سليمان يترقب من جنس الآدميين مقالاً ... لأنهم أقدر من الجن
وأقوى ...

« قال الذي عنده علم من الكتاب .

« أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك .

« فلما رآه مستقراً عنده .

« قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر .

« ومن شكر فأنما يشكر لنفسه .

« ومن كفر فإن ربي غني كريم » .

« قال الذي عنده علم » فأنض عليه ...

« من الكتاب » أي من حضرة العسلم ... المحيط الإلهي ... المعبود عنه
بالقضاء ... واللوح المحفوظ ... وعالم الأسماء ... والأعيان الثابتة ... يقدر
بذلك العلم على إحضار شيء ... وإعدامه دفعة ...

« وهو كان وزيره ... آصف بن برخيا ...

« قد انكشف عليه خواص الأسماء الإلهية ... ففعل بها ما فعل ...

« أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » أي قبل أن تعيد وتطبق
أجفانك ... حين نظرك والتفاتك ...

« وهذا كناية عن كمال السرعة والمهارة .

« فأتى به طرفه عين ...

« فلما رآه » أي سليمان ... العرش ...

« مستقراً عنده » في طرفه عين ... قبل اتيان بلقيس ...

« قال » سليمان عليه السلام ... متوجهاً إلى ربه ... ذاكراً نعمه الفائضة عليه ... مجدداً الشكر لإياها ...

« هذا » أي حضور هذا العرش العظيم ... الثقيل في غاية الثقل ... والعظمة في آن واحد ... مع أنه قد كان في مسافة بعيدة ...

« من فضل ربي » عليّ ... ومن عداد جلائل أنعامه ... وأفضاله إليّ ... انما تفضل سبحانه عليّ بهذا ...

« ليبلوني » ليختبرني ...

« أشكر » وأخذ بمواظبة شكر نعمه المتواترة عليّ ... بحيث أعجز عن أداء شكره ... وأعترف بالعجز والقصور ... عن إحاطة نعمه ... فكيف عن أداء حقوقها ...؟

« أم اكفر » نعمه ... ولا أقيم بمقام الشكر عليها ... وإن كانت الإقامة والتوفيق عليها أيضاً ... من جملة أنعامه وأفضاله وإكرامه ...

« و » لا عائدة من شكرنا إليه سبحانه ... إذ هو منزّه عنها ...

« من شكر » الشاكر ...

« لنفسه » ولازدياد نعمه بمزيد الشكر ...

« و » أيضاً ...

« من كفر » فإنما يكفر لنفسه ... ولانتقاص نعمه ... لانتقاص شكره ...

« فإن ربي غني » في ذاته ... عن عموم الفوائد والعوائد ...

« كريم » جواد ... لا يعمل فعله بالأغراض ... وأنعامه بالأعواض ...

أما الامام القشيري ... فقال في لطائف الإشارات :

« الذي عنده علم من الكتاب » (قيل هو آصف) ... وكان صاحب كرامة.

وكرامات الأولياء، ملتحقة بمعجزات الأنبياء . إذ لم يكن النبي صادقاً في نبوته
لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته .
ومعلوم أنه لا يكون في وسع البشر الإتيان بالعرش بهذه السرعة ، وأن
ذلك لا يحصل إلا بخصائص قدرة الله تعالى .

« وقطع المسافة البعيدة في لحظة لا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين :
« إما أن يُقدم الله المسافة بين (العرش وبين منزل سليمان) .
« وإما بأن يعدم العرش ثم يعيده في الوقت الثاني بحضرة سليمان .
« وأي واحد من القسمين كان - لم يكن إلا من قبل الله .
« فالذي كان عنده علم من الكتاب ، دعا الله - سبحانه - واستجاب له في
ذلك ، وأحضر العرش .

« وأمر سليمان حتى غيّر صورته ، فجعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه ،
وأثبتته على تركيب آخر غير ما كان عليه .

« ولما رأى سليمان ذلك أخذ في الشكر لله - سبحانه - والاعتراف بعظم
نعمه ، والاستحياء ، والتواضع له ، وقال : « هذا من فضل ربي ؛ لا باستحقاق
مني ، ولا باستطاعة من غيري ، بل أحمد النعمة لربي ، حيث جعل في قومي
ومن أمتي آمن له الجاء عنده فاستجاب دعاءه .

« وحقيقة الشكر - على لسان العلماء - الاعتراف بنعمة المنعم على
جهة الخضوع .

« والأحسن أن يقال : الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه .

« فمدخل في هذا شكر الله للعبد لأنه ثناء منه على العبد بذكر إحسان
العبد ، وشكر العبد ثناء على الله بذكر إحسانه ...

« إلا أن إحسان الحق هو إنعامه ، وإحسان العبد طاعته وخدمته لله ، وما هو الحميد من أفعاله .

« فإما على طريق أهل المعاملة وبيان الإشارة : فالشكر صرف النعمة في وجه الخدمة .

« ويقال الشكر ... ألا تستعين بنعمته على معاصيه .

« ويقال الشكر ... شهود المنعم من غير مساكنة إلى النعمة .

« ويقال ... الشكر رؤية المعجز عن الشكر .

« ويقال ... أعظم الشكر ... الشكر على توفيق الشكر ...

« ويقال ... الشكر على قسمين : شكر العوام على شهود المزيد ، قال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، وشكر الخواص يكون مجرداً عن طلب المزيد ، غير متعرض لمال العيوض .

« ويقال ... حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها ؛ لأن بالشكر بقاءها ودوامها » .

أما الامام الطبري ... فقال :

« قبل أن يرتد إليك طرفك » : قبل أن يرجع إليك طرفك ؛ من عند منتهى نظرك .

« فتكلم العالم بكلام .

« قيل : بأن قال : يا إلهنا ، وإله كل شيء ، إلهاً واحداً ، لا إله إلا أنت ، ائمتني بعرشها .

« فصار العرش في المكان الذي كان به .

« ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان .

« فلما رأى سليمان العرش بين يديه » (قال : هذا من فضل ربي ليبلوني) :
ليختبرني » .

ولأننا أفضنا في نقل ما ذهب اليه بعض الأعلام من أهل التفسير ... في
تفسير تلك الآية العريضة ... لنضع أمام القارئ صورة متكاملة للمعجزة
الخطيرة ... معجزة نقل عرش ضخم ... واقتلاعه من مكانه في صدر قاعة
عرش بلقيس ... وإحضاره في لحظة أمام سليمان ...

نريد بذلك تثبيت العقول ... فإن المعجزات تخلخل العقل البشري ...
كيف ؟ ... لماذا ؟ .. كيف تم نقل هذا العرش الثقيل من اليمن إلى الشام ...
في أقل من لحظة ؟ .. هل هذا ممكن ؟ .. وماذا قال آصف هذا حتى تطاوع له
العرش وجاء بين يديه فوراً ؟ !

العقل لوح ملحاح ... يلح في الأسئلة ... ولا يُسلم في بساطة ...
والمعجزات خوارق ... تخرق العقل والقوانين العقلية ... فتتهزه هزاً
عنيفاً ... ويضطرب أمامها اضطراباً شديداً ...

ثم ماذا ؟ !

ثم ما هو سر هذه الخارقة ؟ !

سرهما ... ذكره الإمام الأكبر ... ابن العربي ... وتجد ذلك من هذا
الكتاب ... في باب « سليمان » ... كما يراه ... ابن العربي ... وقد كشف لنا
فيه من عجائب تلك المعجزة ! ..

من أجل ذلك ... لا نتكلم عن سر المعجزة ... فإذا تكلم ابن العربي ...
فليسكت أمثالنا ...

ولأننا نتكلم عن المنظر ... باعتباره من المناظر الإلهية الفريدة ...

سليمان ... وما أدراك ما سليمان !؟
على كرسي عرشه ... يحف به أئمة الجن ... وأئمة الإنس ... وأئمة الطير ...
وكانت الوقت ضحى ...
فرأى سليمان في الأفق من بعيد ... جمًّا غفيراً من الناس والدواب ...
يسيرون في اتجاه قصره المشيد ...
فلما استفسر أخبروه أن ذلك الذي يرى ... موكب ملكة سبأ ...
فنادى في من حوله « أيُّكم يأتيني بعرشها » ؟
فثار عفريت من الجن صائحاً : « أنا آتيك به » ..
فأعرض النبي الملك عن قوله وقال : أريد أسرع من ذلك ؟
فنهض آصف من مجلسه وقال في خشوع الأولياء : « أنا آتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك » ..
وعلى الفور ... نبع العرش بين يدي سليمان !؟
لم يكن بين قول آصف ... وحضور العرش بين يدي سليمان ...
زمان ما ...
بمجرد قوله ... كان العرش ... حاضراً !؟
هذا هو المنظر الفريد العتيد ...
وهذا ما يهتز له العقل اهتزازاً شديداً ...
ولا يستطيع له تفسيراً ...
ولكنه حقيقة قاطعة ... وقعت فعلاً ... ونطق بها الوحي الإلهي ...
حيث قال « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » ..

أي ... قبل أن أتم كلامي معك ...
 وقد كان ... واستقر العرش فوراً ... أمام سليمان ...
 وحق يُفلق باب التأويلات أمام العقول ... فتضطر إلى التسليم التام ...
 قال « فلما رآه مستقراً عنده ...
 « فلما » الفاء للضرورة ... فوراً كان العرش أمامه ...
 « رآه » شاهده سليمان بعينه ... وشاهده جميع الحاضرين من حوله ...
 « مستقراً » ثابتاً ... لا يتحرك ... ولا يهتز من أثر التحريك والنقل
 السريع ... وإنما جامداً أمامه ... كأن لم يحدث شيء ...
 « عنده » في نفس المكان الذي يجلس فيه ... ويجوار عرشه ...
 وبذلك قطع الوحي كل سبيل على العقول ... فلا تأويل ... ولا
 تفكير ... ولا تحويل للحقيقة عن واقعها ...
 وإنما ... فوراً ... ها هو عرش بلقيس ... أمام العيون ... عن
 عين عرش سليمان ...
 هو ... هو ... يجواهره ... ونفائسه ... وزينته ...
 والآن ... أيها العقل المسكين ... ماذا تقول ؟!
 ثم ماذا ؟!
 ثم أقول ... ولكن هذا الـ « آصف » ... العظيم ... هذا الوليّ المستور ...
 لقد كان مستوراً ... وإن من أولياء الله ... من لا يعلمهم إلا الله ...
 كان مستوراً عن العيون ...

قصار مشهوراً ... إلى الأبد ...
وحسبه أن الله قال فيه « الذي عنده علم من الكتاب » ...
عنده ... علم؟!
أي علم هذا ... هل هو علم « كن ... فيكون » ... تقول للشيء
كن فيكون؟!
هل هو علم خواص الأسماء الإلهية؟!
هل هو علم اختصه الله به؟!
وأي كتاب هذا؟!
هل هو التوراة والزبور؟!
هل هو « أم الكتاب » حيث فيه كل ما كان وما سيكون؟!
هل هو علم اللوح المحفوظ؟!
هل هو علم الأسرار والأنوار؟!
علم ... من ... الكتاب؟!
سكن ما شئت ... وقل ما شئت ...
وان ترجع بشيء ...
لأن الولاية ... سر بين الله ... وعبيده ...
لا يُطلع عليه أحداً ...
هو ... يواليه ... بما شاء منه ...
والوليّ ... يواليه ... بما شاء له ...

أسرار ... ولذلك قال « علم » ... لا سبيل لكم اليه ... اختصته به ...
كل وليّ ... له سره الخاص به ... لا يعلمه أحد سواه ...
وله جنته ... الخاصة به ... لا يدخلها أحد سواه ...
وله اكراماته ... الخاصة به ... لا يُكرم بها أحد سواه ... أي
لا يشترك فيها معه أحد ...

والأولياء ... لا يريدون اشهاراً ... ولا شهرة ...
وإنما ... هو ... إذا أراد أشهرهم ... وجعلهم أولى شهرة ...
فإذا شهرهم ... لا يستطيع أحد إطفاء شهرتهم ...
كالشمس ... إذا أشرقها ... لا يستطيع أحد أن يمنعها من الشروق ...
كان « آصف » مستوراً ... فجعله مشهوراً ...
ومن تلك اللحظة ... صار في الكتاب مسطوراً ...
وأخيراً ... نقول ... اذا كان هذا هو شأن وليّ من الأولياء ... في بطانة
سليمان ... جاء بعرش بلقيس ... قبل أن يرتد اليه طرفه ...!

فكيف يكون سليمان نفسه ... الذي كان آصف ... ذرّة من بحره ؟!

لا يستطيع الاحاطة به ...

وكيف نخيط عالمنا ... بمن أثنى عليه ربه ... وألقى على جبينه تاج
الخلود به ...

« نعم العبد » ؟!

ثم ماذا بعد هذا ؟!

ثم انظر ... العظمة السلیمانیة ...

وأعظم ما يكون الانسان ... حين يكون في حال الشكر لربه ...
« فاعبنا » ... فوراً ... بمجرد رؤيته للعرش مستقراً عنده ...
« قال » فوراً ... وماج بقلبه اليها موجاً ...
« هذا » المنظر الفريد المعجيب ...

« من فضل ربي » لا مدخل لي ... ولا لأصف ... ولا لأحمد ... ولا
لشيء قط ... فيما حدث ...

ولمّا هو « فضل » ... ليس إلا ...
ولو لم يتفضل ... ما تحركت ذرة من ذرات هذا العرش ...
والأنبياء أذكى وأزكى ...
هم أنبه الخلق ... وأزكى الخلق ...
يفهمونها بالإشارة ... ولهم في كل حركة في الوجود ... فهم ... ذواق ...
تواقي ... مشتاق ... إلى ربهم ! ...

بمجرد رؤيته للعرش ... تفجر قلبه الشريف ... بشوقه إلى ربه ...
وجعل يوج إليه موجاً ...
ويشعشع في الكون ... شعاعانية قدسية :

« هذا من فضل ربي .

« ليبلوني .

« الشكر أم الكفر .

« ومن شكر فأنما يشكر لنفسه .

« ومن كفر فإن ربي غني كريم ، ! .

كل أغرودة من هؤلاء ... ببحر موج بأعلى وأعلى وأسمى معرفة! ...
ومن كالأنبياء إذا غردوا لربهم؟! ...
كل منهم ... بلبل ... من بلابل الحضرة ...
له أغاريد ... وأناشيده ...
حق إذا أنشدوا جميعاً ... في حضرة ربهم ...
سمعت ما لا أذن سمعت ...
ورأيت ما لا عين رأت ...
ولا خطر على قلب بشر! ...

فَكُونُوا ... لَهَا ... عرشها ... ١٩

سليمان ...

على عرشه ... ينظر إلى عرش بلقيس ... مستقراً عنده ... ويشكر
ربه ... أن تفضل عليه بهذا الفضل العظيم ...

بينما جعل آصف بن برخيا ... يذوب حياة من الله ... أن أكرمه بتلك
الكرامة على الملأ ... فخرٌ ساجداً ... شكراً لله ...

في هذا الموج ... من الحمد والشكر ... أصدر سليمان أمراً :

« قال نكثروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون » .

« نكثروا لها عرشها » غيروا لبلقيس كرسي عرشها ... غيروا صورته
الظاهرة ... بحيث يصعب التعرف عليه ...

« ننظر » نختبرها بذلك ... هل هي من يؤمن بقدره الله ... على أن
يفعل سبحانه ما يريد ؟ ... هل عندها استعداد لتتفتح على الإيمان بالغيوب ؟ ...
أم هي حبيسة عقلها لا تصدق بما وراء المحسوس ؟ !

« أتهتدي » إلى ربها ... أتتوجه إليه بقلبيها ...

« أم تكون من الذين لا يهتدون » أم تظل جامدة على كفرها ... كما هو
حال الذين لا يهتدون ... مهما رأوا من آيات دالة على قدرة الله ؟ ...

ماذا نفهم من هذا ؟؟

نفهم من هذا أن نبي الله ... سليمان ... يريد أن يبرز أعماق المرأة المالكة ...

وأن ينظر ماذا يكون احساسها عندما تبصر كرسي عرشها أمامها ... وهذا
مستحيل أن يكون إلا بفعل خارق ... لا يصدر إلا عن قدرة الله ...

ثم هو أمر بتكبير عرشها ... ليختبر عقلها ... هل هذا معقول؟ ... من
جاء بهذا العرش؟ ... وكيف؟ ...

ان الذي فعل هذا ... انما هو إله عظيم قادر فعّال لما يريد! ...

ثم ماذا؟!

ثم قام سليمان من مجلسه ... ليعود اليه بعد ذلك ... وقد تم تكبير
عرشها ... ويكون في انتظار الملكة واستقبالها ... في ضحى اليوم التالي ...

ليعطيهام الفرصة ليستريحوا من متاعب رحلتهم البعيدة ...

ويصلحوا من زينتهم ... ويأتوه في مراسم الملوك ...

وما نحن في ضحى اليوم التالي ... وها هو سليمان على عرشه ...

وها هو عرش بلقيس ... عن يمين عرشه ... وقد تم تكبيره كما أمر ...

ومن حول سليمان اصطف قادة الجن ... وقادة الإنس ... وقادة الطير ...

وقد دعى إلى هذا الحفل كبار رجالات الدولة ... في الدين والدنيا ...

والقصر الفخم يهتز بمظاهر العظمة والآبهة ...

وزاد من عظمته ... عرش بلقيس العظيم ... بجواهره ونقائسه

ونقوشه ...

وبعد قليل ... أعلن رجال القصر ... مقدم الملكة ...

فدخلت قاعة العرش ... في ثياب الملك ... يتبعها قادة دولتها

وعظماؤها ...

وتوجهت الملكة إلى حيث يجلس سليمان على عرشه ...

فوقف النبي الملك ... وتبسم تبسم الأنبياء ...
واستقبلها أحسن استقبال ... وصافح كبار دولتها ...
ثم دعاها الملك أن تأخذ مجلسها على عرشها ...
فتوجهت لتجلس عليه ...
ثم فوجئت بعرشها أمام عينيها ... فذعرت وارتبكت ... ولم تصدق
ما رأت !!
ثم جعلت تدبّر النظر إلى العرش ... فلاحظت أن الهيأة هيأة عرشها ...
ولكن المنظر العام يختلف عن منظره ... الذي تعلمه علماء يقيناً !!
وتفجرت رأسها أسئلة لا تحصى ...
هل هو عرشي ؟
هل هو تقليد لعرشي ؟!
ومن أين لهم محاكاة بهذه الدقة ؟!
وإذا كان هو نفس العرش ... فمن جاء به إلى هنا ... وكيف ؟!
« فلما جاءت » .
« قيل أمكدا عرشك » .
« قالت كأنه هو » .
« وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين » .
« فلما جاءت » بلقيس إلى سليمان ... ودخلت إليه في موكبها ... وقام
سليمان يستقبلها ...
« قيل » قال لها سليمان ... لأن الملك لا يخاطبه إلا ملك في مثل مستواه ...
« أمكدا عرشك » كرسي عرشك ؟!
فازدادت الملكة حيرة ... والجميع يركزون أنظارهم عليها ...

« قالت » الملكة ... بعد أن تفرست في عرشها ... وتفحصت زينته ...

« كأنه هو » ، كأن هذا العرش هو عين عرشي ...

ثم أخذت مجلسها على عرشها ...

وأخذ قادتها بحالهم ... في الصف الأول أمامها ...

وعم القاعة صمت رهيب ...

ثم قطع سليمان ذلك الصمت بقوله : إن هذا العرش الذي تجلسين عليه ...

هو عرشك ... وقد جيء به من هناك في لحظة ... وهذا من فضل ربي ...

فتبسمت الملكة وقالت :

« وأوتينا العلم » وسمعنا يا نبي الله كثيراً عن عظمة مُلكك ... وعلما

قبل أن نحضر اليك كثيراً من المعجزات التي آتاك ربك إياها ...

« من قبلها » من قبل هذه الخارقة ... من قبل أن نشهد هذه المعجزة ...

فلا حاجة بنا إلى دليل جديد ... على نبوتك ... وصدق رسالتك ...

« وكنا » وجئنا اليك جميعاً ... أنا ... وجميع رجالات مملكتي ...

« مسلمين » منقادين لأمرك ... مصدقين لنبوتك ! ...

ثم استرسلت الملكة في حديثها ... على ملا من قومها :

أيها الملك العظيم ... أيها النبي الكريم ...

... لقد سمعنا عن عظمة ملكك ... وكثرة حكمتك ...

... فلما جئنا وشهدنا ... وجدناك أعظم مما سمعنا ...

... فلما سمعنا حكمتك ... تأكدنا من نبوتك ...

... وما صدقنا إلا أني بربي ... إلا أنني نشأت في قوم يعبدون الشمس ...

وما كنت لأخرج عن مألوف شعبي ... وكثيراً ما يضطر الملوك إلى مجازاة شعوبهم ... حرصاً على بقاء المُلْك في أيديهم ...

– وكما تعلم أيها الملك ... فإن أكثر الناس لا يعقلون !..

– أيها الملك ... أيها النبي ... لقد كنت أعتقد أن مُلْكي أعزُّ مُلك ... فلما رأيت ما آثاك ربك ... صغر مُلْكي في عيني ... وصغرت في عيني نفسي ... ثم أشارت إلى رجالاتها وهم قعود وقالت :

– إني أشهدك ... وأشهد هؤلاء جميعاً ... ما عبدنا الشمس إلا تقليداً لأبائنا ... ما عبدناها اقتناعاً بربوبيتها ... وإنما هكذا وجدنا آبائنا يفعلون !
– كنت أسأل نفسي ... ولكن لا أستطيع الجهر برأيي ... هل صحيح أن الشمس إله ؟ !..

– ألا يمكن أن يكون من ورائها شيء أكبر منها ... خلقها ؟ !

وسليمان يتبسم ويستمع ... ويهمس في آذان من حوله :

« وسدّها ما كانت تعبد من دون الله .

« إنها كانت من قوم كافرين » ...

وكانت حفلاً خالداً ...

الملك النبي ... على عرشه ...

وقد جاءه شعب بأكمله ... ممثلاً في ملكته وقادته ...

يعلنون تسليمهم ! ..

وكانت لحظة ... من لحظات التحول الخطيرة ...

قلب ملكة يتحول إلى الله ...

وقلوب قادتها من ورائها تتحول إلى الله ...

وقلوب شعب بأكمله ... تتحول من ورائهم إلى الله ...
وسليمان ... يتلقى من ربه ... ذلك الفضل العظيم ... شاكراً ذاكراً ...
ثم نهض النبي الملك ... فوقف الجميع ...
أيذاناً بانتهاء مراسم الاستقبال ...
وتوجهت الملكة ... إلى قصر الضيافة ... الذي أعد لاستقبالها ...
وكانت الإشارة ... من هذه الأحداث كلها ...
أن الأرض ... تشهد نبياً ملكاً ... قد أوتي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ
من بعده ...
وفي نفس الوقت ... تشهد امرأة ... ملكة ... جاءت ... إلى ذلك
الملك النبي ...
لتغتسل من أوزار كفرها ... وتلقي عنها ثياب جهلها ...
تجربتان عظيمتان ...
تجربة نبي ملك ...
توازنها تجربة امرأة ملكة ...
ولكن الأعجب من ذلك كله ... أن الذي فتح باب هذا الخير العميم ...
كان كائناً صغيراً ... ضليلاً ... اسمه ... الهدد !..

في ... قصص ... القوارير ... ١٩

كان ...

سليمان ... قد أصدر أمراً ... حين سمع بخروج بلقيس من مملكتها ...
قادمة اليه ...

كان قد أصدر أمراً عجيباً ... إلى قوم شأنهم عجيب !...
أصدر أمراً إلى الجنّ ... أن يعملوا له أعجب قصر ... في الأرض ...
أن يبنوا له قصرأ ... من الزجاج الشفاف ... غير قابل للكسر ...
ليستقبل فيه ... الملكة بلقيس ... ويرىها من آيات الله عجيباً !...
وعلى الفور شرع الجنّ يعملون سريعاً ...
فشيدوا له قصرأ شامخاً ... من عدة طوابق ...
تصميمه عجيب ...

كل شيء فيه من زجاج ...
وليت الأمر وقف عند هذا ولكن من زجاج شفاف ... يرى ظاهره من
باطنه ... وباطنه من ظاهره !...

وأكبر من ذلك ... زجاج غير قابل للكسر أو التهشم ...
يحتمل الضغط ... والمشي عليه .. وفيه صلابة شديدة ...
وأبداع الجنّ في صنعة ذلك القصر ابتداءً عجيباً !...

قاعة العرش فسيحة ... في صدرها عرش سليمان ...
وعن يمين عرشه ... عرش بلقيس ...
وأرض قاعة العرش ... من زجاج شفاف ... تجري من تحتها المياه الملونة ...
وتتسابق في هذه المياه ... الحيوانات البحرية ... من أنواع الأسماك ...
والضفادع ... والزواحف ... وغيرها من عجائب البحار ...
وهكذا أرضيات سائر الحجرات ... والممرات المؤدية إليها ...
وفوق هذه المياه ... مسطحات من الزجاج الشفاف الملون ... تكشف
للناظر ما تحتها ... بحيث يخيل إليه أنها غير مسقوفة ...
براعة جنسية ... وصناعة لا عهد للبشر بها ...
وأقيم القصر عالياً ... شامخاً ... جميلاً ... شفافاً ... يتيه بصنعته
الجانب ...
فلما جاءت الملكة ... وأقيم لها حفل الاستقبال ... في القصر الرسمي ...
ووجهت إليها الدعوة ... من الملك سليمان ... لحضور حفل آخر ...
تكريماً لها ... ولرجالها ...
وكانت الدعوة هذه المرة ... إلى حضور حفل ملكي ... في
قصر القوارير ...
وهو هو الملك سليمان ... يجلس في صدر القاعة الملكية على عرشه ...
وعن يمينه ... أعد عرش بلقيس ... بعد أن تم نقله من القصر الرسمي ...
إلى قصر القوارير ...
ومن حوله جلس كبار الجنّ ... وسادات الإنس ... وكبراء الطير ...
ثم أعلن اقتراب الملكة ... في موكبها ...

فخفف إلى مدخل القصر ... رجال الحاشية لاستقبالها ...
كانت الملكة في زينة ملكية ... في ثوب أنيق ... ذي أذيال طويلة ...
فدخلت إلى هو القصر ... ومن ورائها كبراؤها وحاشيتها ...
فلما دنت من قاعة العرش ...
فوجئت ببحر توج أمواجه ... وتلعب فيه الأسماك ... وعجائب
البحار ...
فغضبت غضباً شديداً ... وظنت أنهم يريدون اغراقها في هذا
البحر المائج ...
فتقدم منها ... كبير أمناء الملك سليمان ...
وقال لها : تفضلي ... وادخلي قاعة العرش ...
فإن الملك ... في انتظار قدومك ...
ونظرت بلقيس طويلاً . إلى البحر المواج ... المطلوب منها أن تخوضه ...
لتصل إلى حيث يجلس سليمان ...
فوجدته نجراً عميقاً ... عمقاً لا بُدَّ لها من كشف ثيابها ... حتى لا تبتل
من مياهه المتدفقة ...

« قيل لها :

« ادخلي الصرح .

« فلما رآته حسبته لُجَّة .

« وكشفت عن ساقبيها .

« قال إنه صرحٌ مُرَوَّدٌ من قوارير .

« قالت ربّ إني ظلمت نفسي .

« وأسستُ مع سليمانَ لله رب العالمين » .
« قيل لها » قال كبير أمناء القصر لبليقيس ...
« ادخلي » تفضلي ... وادخلي ...
« الصرح » القصر ... قصر القوارير ...
صرح : أي قصر ... وكل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح ...
« فلما رآته » بمجرد أن رأت القصر ... أدهشتها المفاجأة ...
« حسبته » ظننت القصر ...
« لجة » بجرأ ... تموج أمواجه ... وتضطرب فيه الأسماك ...
« وكشفت عن ساقبيها » ورفعت ثوبها ... وكشفت عن قدميها وساقبيها ...
لتستطيع المشي في البحر ...
ثم كانت المفاجأة أنها وجدت نفسها تمشي على شيء صلب ...
فأدركت أن البحر ليس بجرأ بمعنى المألوف ... ولكنه مغطى بالزجاج ...
فازدادت دهشة ... واجترأت على المشي ... فأرخت ثيابها ... وهي
تضحك من نفسها ...
وتوجهت إلى حيث يجلس سليمان ...
فتلقاها سليمان في تبسم ... وحيثما ... وطمأنها ... وقال لها :
« قال » سليمان ... وهو يستقبل الملكة ...
« انه » ان هذا البناء العجيب ... الذي آثار دهشتك ...
« صرح » قصر ... لا مثل له في العالم ...
« لمجرد » مجلس ... كل شيء فيه أملس ... شفاف ... في غاية الصفاء ...
« من قوارير » من زجاجات ... كله من الزجاج الشفاف ... كما رأيت ...

قام الجنّ ببنيانه ... وبرعوا في اخراجه كما رأيت ا
« قالت » بلقيس ... معتذرة عن سوء ظنها بسليمان ... حيث ظنت أنه
يريد اغراقها في ذلك للبحر ... والخلاص منها ...

« ربّ إني ظلمتُ نفسي » بهذا الظن الفاسد في نبي الله ...
اني ظلمت نفسي ... بتسويق الايمان بك ... والايمان بنبيك ... وكانت
يجب أن أبادر إلى الإسلام بمجرد أن دعاني إلى ذلك في خطابه الأول « يمم الله
الرحمن الرحيم ... لا تعلّوا عليّ » ... وأتوني مسلمين ، ... فجعلت أسوف
وأتباعد ... وهذا ظلم شديد لنفسي ...

وكانت الملكة ... ما زالت واقفة أمام كرسي عرشها ... وما هي تعلن
أمام الملك سليمان ...

وأمام المجتمعين جميعاً ... من قادة الجنّ ... والإنس ... والطير ...
وأمام رجالات دولتها ... الذين ظنّوا كما ظننت ... أن هذه كانت مؤامرة
من سليمان ... لإغراقهم جميعاً في مياه البحر ... والخلاص منهم ... ليستولوا
بعد هلاكهم على مملكة سبأ بخيراتنا وإمكانياتنا ...

أمام الجميع .. أعلنت الملكة إسلامها ... وشهرت تسليمها ...
وهتفت في يقين :

« وأسلمتُ ، إسلاماً تاماً ...

« مع سليمان » مع سليمان ... نبي الله حقاً وصدقاً ...
« لله » لا شريك له ...

« رب العالمين » رب العوالم كلها ... رب كل شيء ...
وما أن سمعها رجالات دولتها ... تعلن إسلامها ...

حتى بادر كبيرهم يردد في صوت شديد ... وهم يرددون وراءه :
« ربنا ... إنا ... ظلمنا أنفسنا ... وأسلمنا مع سليمان ... لله ...
رب العالمين » ! ...

هنالك تهلل وجه النبي سليمان سروراً ...
وبدا وجهه الشريف كأنه قطعة قمر ...
وشاع السرور في جميع الحاضرين ...
وضجوا جميعاً بالتسبيح ... لرب العالمين ...
هؤلاء هم سادات سبأ ... جاءوا مسلمين ...
وعلى رأسهم بلقيس ... تلك المرأة العظيمة ... الحكيمة ... العليمة ...
المسلمة ... المؤمنة ... التي قادت شعبها ... من عبادة الشمس ... إلى عبادة
الله رب العالمين ...

وكان حفلاً مباركاً ميموناً ...
وشهد قصر القوارير ... مولد عهد جديد ...
خرج فيه ... شعب من الظلمات إلى النور ...
ثم ماذا بعد هذا ؟
قالوا :

« وتزوجها سليمان .
« وأحبها حباً شديداً .
« وردّها إلى مُلكها باليمن .
« فكان يزورها كل شهر مرة .
« يقيم عندها ثلاثة أيام » .

ثم ماذا ؟

كانت هذه هي وقائع قصة سليمان ... وبلقيس ...

كما وردت في كتاب الله العزيز ...

سجلناها مؤسسة على صريح الآيات الكريمة ... مبرأة من أقاصيص
القصاص ... وتهاويل الحكايات ...

بدءاً من نبأ الهدمد « وجئتكم من سبأ بنسباً يقين » ... وانتهاءً بالنهاية
الكريمة ... في كتاب الله الكريم ... « وأسألتُ مع سليمان لله
رب العالمين » ...

والآن ... متى دارت وقائع تلك القصة الخطيرة الخالدة ...

دارت في نحو السنة العشرين من مُلك سليمان ... وقد كانت مدة مُلكه
أربعين عاماً ...

أي في منتصف مدة مُلكه ...

وهو في أوج عظمته ... وفي ذروة المُلْك والسلطان ...

تدمير البيت ...

الذي بناه سليمان ... هرتين ١٩...

قد . . .

يسأل سائل : وما شأن سليمان . . . بشيء حدث بعد مئات السنين . . .
من بنائه لبית المقدس ؟!

ما علاقته بتدمير البيت بسبب فساد من بعده ؟!
وأقول : صحيح أن هذا لا يدخل في « حياة سليمان » . . . وإنما أثبتناه
ها هنا . . . لتكامل الصورة . . . وتتم العبرة . . . وتسفهم التوالميس الإلهية . . .

والناموس الإلهي . . . الذي لا تبديل له . . . ولا تحويل . . . هو :
« ان احسنتم احسنتم لأنفسكم .

« وإن أساتم فلها » . . .

والناموس الأزلي هو :

« وكاين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً
وعذبناها عذاباً نكراً .

« فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً » .

أمة أعطها الله ما أعطها . . .

وهداها ما هداها . . .

وأكرمها بما أكرمها . . .

وسلسل فيهم الأنبياء ...
وقال فيهم : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .
« وأني فصلتكم على العالمين » .
هذا من وجه العطاء ... فماذا من وجه البلاء ؟
القانون ... في كل عطاء بلاء ... ليتحقق التوازن ...
فبنسبة ما أوتوا من عطاء ... يُصب عليهم من البلاء ...
فإن أحسنوا ... وقاموا بحقوق النعمة ... زادهم ...
وإن أساءوا ... ونقضوا العهد ... أخذهم أشد الأخذ ...
كما قيل لهم : « لنن شكرتم لأزيدنكم » .
« ولنن كفرتم إن عذابي لشديد » .
هكذا الناموس ...
ليس هناك له من تبديل ...
وهؤلاء ... بنو إسرائيل ... يسري فيهم الناموس ... كما يسري في
سائر البشر ...
أعطاهم الله عطاءً واسماً ... عبّر عنه سليمان حيث قال : « وأوتينا من
كل شيء » ... وما يعطينه الله للنبي ... فلما هو عطاء لأمته ...
وأمره أن يبني له بيتاً ...
فبناه سليمان ... أعظم بناء ...
وافتحته أعظم افتتاح ...
وعبد الله فيه أحسن عبادة ...
ثم مات سليمان ... وكان ما كان ... وقطاول الزمان ...

وفسد بنو اسرائيل فساداً كبيراً ...
وقتلوا من الأنبياء ... وقتل الأنبياء هو الجريمة العظمى ...
وما تركوا من جريمة إلا ارتكبوها ...
فتحتم العقاب ... وتحتم الحساب ... وتحتم تدمير البيت ...
ولم يشفع للبيت ... أنه بيت الله ... لأن العبرة ليست بالمباني والزخارف ...
ولنما يكون البيت بيتاً لله ... إذا كانت القلوب لله ...
قال تعالى :

« وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفُسدن في الأرض مرتين ولتعلمن
علموا كبيراً » .

« وقضينا » وأوحينا .

« إلى بني اسرائيل في الكتاب » المنزل عليهم ... على وجه الايدان
والاعلام ... تنبيهاً وتذكيراً ... والله ...
« لتفُسدن » أنتم ...

« في الأرض مرتين » مرة بمخالفة أحكام التوراة وقتل شعياً ... ومرة
بقتل يحيى وزكريا ... وقصد قتل عيسى عليهم السلام ... كل ذلك من أعظم
الجرائم عند الله ...

« و » مع ذلك ...

« لتعلمن » ولتستكبرن عتواً وعناداً على الأنبياء ... استهانة واستخفافاً
وسخرية واستهزاء ...

« علموا كبيراً » بحيث لا قبالون لهم ... ولا تعدونهم من العقلاء ... بل
تسفهونهم نارة ... وتكذبونهم أخرى ... فاعلموا أيها المسرفون انا نلتقم منكم
في الدشة الأولى ... لكل جريمة صدرت عنكم ... من الجريمتين العظيمين ...

« فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجازوا
خذل الديار وكان وعداً مفعولاً » .

« فإذا جاء وعد » انتقام ...

« أولاهما » أي أولى الجريعتين ...

« بعثنا » و سلطنا ...

« عليكم » حين أردنا الانتقام منكم ... والأخذ عليها ...

« عباداً لنا » منتقمين منكم ... من قبلنا ...

« أولى بأس شديد » وشوكة عظيمة ... وصوله قرية قاهرة ... وهم إذا
دخلوا عليكم ...

« فجازوا » أي تجسسوا ... وترددوا لطلبكم ...

« خذل الديار » ووسطها ... للقتل والاستئصال ...

« و » قد ...

« كان » ما ذكر من الانتقام ...

« وعداً » من الله ...

« مفعولاً » حقاً عليه سبحانه انجازه وإيقاعه ...

وذلك حين استولى « بنو نصر » عليهم ... فقتل كبشهم ... وسبى
صغارهم ... ونهب أموالهم ... وخرّب بلدانهم ... وحرّق التوراة ...
وخرّب الأقصى ...

« ثم ردّنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم
أكثر نفيراً » .

« ثم » بعد ما ضعفناكم وأخذناكم قد ...

« رددناكم » وأعدنا ...
« لكم الكرة » أي الدولة والصولة والعلبة ...
« عليهم » أي على أعدائكم ...
« وأمددناكم بأموال » عظام ...
« وبشئ » معاونين ناصرين ...
« وجعلناكم » في الكرة الثانية ...
« أكثر نفيراً » من الكرة الأولى ... وأكثر عسكرياً وجنوداً منها ...
« إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة
ليسئووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليسئروا
ما علوا تتبيرا » .
« إن أحسنتم » لبني نوعكم ... خالصاً لوجه الله ... وآمنتم بالله
لتزكية نفوسكم ...
« وإن أسأتم » لهؤلاء وكفرتهم بالله ورسله ...
« فلها أي وبال أساءتكم أيضاً عائداً عليها ... إذ الله في ذاته غني عن إحسان
الحسن وإساءة المسيء مطلقاً ...
« فإذا جاء وعد الآخرة » أي وقت انتقام الجريمة الأخيرة ... بعثنا عليكم
أيضاً عباداً لنا أولى بأس شديد وبسطة قوية ... وبطش بحكم متناه في الصولة
والسطوة ... قيل إنه ملك الفرس اسمه « جودرز » ... وإننا بعثناهم عليكم ...
« ليسئووا وجوهكم » بحيث قد ظهرت آثار أساءتهم وإذلالهم لإياكم
من وجوهكم ...
« وليدخلوا » هؤلاء أيضاً ...

« المسجد » الأقصى ... وخرّبوه ...

« كما دخلوه » وخرّبوه ...

« أول مرة » في استيلاء « بخت نصر » ... وأحرق هؤلاء الكتب أيضاً
كما أحرقوا ...

« وليتبروا » وليهلكوا ...

« ما علوا » وما قدروا عليه وغلبوا ...

« تعبيرا » هلاكاً كلياً ... بحيث لا يتنجو منهم أحد ...

قيل : دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم ... فوجد فيه دماً يغلي ...
فسألهم عنه ... فقالوا : دم قربان لم يُقبل منا ... فقال : ما هو إلا كذب ...
فقتل منهم ألوفاً عليه ... ثم قال : ان لم تصدقوني ولم تبينوني دم من هو هذا
ما تركت منكم أحداً ؟ .. فلما اضطروا قالوا : انه دم يحيى النبي عليه السلام ،
قد قتلناه ظلماً ... فقال : لمثل هذا ينتقم الله المنتقم الغيور منكم ... ثم قال
ملتفتاً إلى الدم : يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاسكن
من الغلي قبل أن لا أبقي أحداً منهم ... فسكن ... ولم يقتل بعد هذا ...

« عسى ربكم أن يرحمكم وإن تعدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيراً » .

« عسى ربكم » يا بني إسرائيل ... وقرب ...

« أن يرحمكم » بعد المرأة الثانية ... ان تبتم عن جرائمكم ومعاصيكم ...

« وإن تعدتم » اليها ثالثاً ...

« عدنا » إلى الانتقام والعذاب ثالثاً ... وهكذا رابعاً وخامساً ... هذا
في اللشاة الأولى ...

« و » في اللشاة الأخرى ...

« جعلنا جهنم للكافرين حصيراً ، عبساً ومضيقاً ... أي سجناً ...
هذه هي الآيات ... التي سجلت تدمير بيت المقدس ... الذي بناه سليمان
أعظم بناء ... وأقام حق الله فيه أعظم إقامة ...
وهذا هو مختصر تفسيرها ...
فإذا عن وقائع التاريخ ؟
قال ابن الأثير :
« قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه « بنجت نصر » على
بني إسرائيل ...
« ف قيل : كان في عهد « إرميا » النبي ...
« ... وإنما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من
بني إسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره .
« وكانت سنة الله تعالى في بني إسرائيل أنه إذا ملك عليهم ملكاً أرسل
معه نبياً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة .
« فلما كان قبل مسير « بنجت نصر » اليهم كثرت فيهم الأحداث المعاصي .
« وكان الملك فيهم يقونيا بن يواقيم .
« فدعت الله إليه إرميا ...
« فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي ، ويذكر لهم نعمة الله
عليهم بإهلاك سنجاريب .
« فأمره الله أن يحذرهم عقوبته ، وأنه إن لم يرجعوا الطاعة ، سلط عليهم
من يقتلهم ويسبي ذرارهم ، ويخرب مدينتهم ، ويستعبدهم ، ويأتيهم بجذود
ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة .
« فلم يرجعوها .

« فأرسل الله اليه : لأقيضنّ لهم فتنة تذر الحليم حيران ، ويضل فيهم رأي
ذي الرأي وحكمة الحكيم .
« ولأساطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من
صدره الرحمة .

« يتبعه عدد مثل سواد الليل ، وعساكر مثل قطع السحاب .
« يهلك بني إسرائيل ، ويقتلهم منهم ، ويخرب بيت المقدس .
« فلما سمع إرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه .
« وجعل الرماد على رأسه ..

« وتضرع إلى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه ...
« ... فلم يزدادوا إلا سوء سيرة ...

« ونزل بخت نصر على بيت المقدس بأكثر من الجراد .
« ففزع منهم بنو إسرائيل ...
« ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس .
« فوطئ الشام .

« وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم .
« وخرّب بيت المقدس .

« وأمر جنوده ، فحملوا القراب .
« وألقوه فيه حتى ماثوه .

ثم انصرف راجعاً إلى بابل ، وأخذ معه سبائاً بني إسرائيل .
« وأمرهم ، فجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم .
« فاجتمعوا ، واختار منهم مائة ألف صبي .

« فقسّمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه ... »

« وقسّم بني إسرائيل ثلاث فرق . »

« فقتل ثلثاً ، وأقر بالشام ثلثاً ، وسبى ثلثاً ... »

« ثم إن بخت نصر عاد إلى بابل ، وأقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم . »

هذا ما قال ابن الأثير ... عن المرة الأولى ... التي دمر فيها بيت المقدس ...

ثم توالى السنون ... وأراد الله تعالى أن يرد بني إسرائيل إلى بيت المقدس
وكان بخت نصر قد مات ... فإنه عاش بعد تخریب بيت المقدس
أربعين سنة ...

ثم توالى من بعده السنون ... وبدأ بنو إسرائيل يعودون إلى بيت
المقدس ... ورجعوا إليه ... وعمره ... وعاد إليه ازدهاره ... وأمدّم الله
بأموال وبنين ...

وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خروجه بخت نصر مائة سنة ... ثم
عاد إليه عمرانه ...

« ولما عمر بيت المقدس ، ورجع إليه أهله ، كان فيهم عزير ... »

ثم ماذا عن الكسرة الثانية ؟ !

قال ابن الأثير :

« أهل السير والتاريخ ... يجمعون على أن بخت نصر غزا بني إسرائيل عند
قتلهم نبيهم شعيا ، في عهد إرميا ... »

« وبين عهد إرميا وقتل يحيى أربع مائة سنة وإحدى وستون سنة عند
اليهود والنصارى ... »

« وأما ابن اسحاق فإنه قال :

« الحق أنت بني إسرائيل عرروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل ،
وكنثروا .

« ثم عادوا يحسدون الأحداث ويعود الله سبحانه عليهم ، ويبعث
فيهم الرسل .

« ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون .

« حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكرياء وابنه يحيى وعيسى بن مريم ،
عليهم السلام .

« فقتلوا يحيى وزكرياء .

« فابعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له « جودرس » .

« فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام .

« فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه
« نبوزاذان » ، وهو صاحب الفيل : اني كنت حلفت ان انا ظفرت ببني
إسرائيل ، لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، إني أنت لا أجد
من أقتله .

« وأمره أن يدخل المدينة ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم .

« فدخل نبوزاذان المدينة ، فأقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم .

« فوجد فيها دماً يغلي .

« فقال : يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي ؟

« فقالوا : هذا دم قربان لنا لم يُقبل فلذلك هو يغلي .

« فقال : ما صدقتموني الخبر !

« فقالوا : انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يُقبل منا .

« قد ذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤوسهم .

« فلم يهدأ !

« فأمر بسبعمائة من علمائهم فذُبحوا على الدم .

« فلم يهدأ !

« فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم : يا بني إسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون ما شئتم ، قبل أن لا أدعَ منكم نافع نار ، أنثى ولا ذكراً إلا قتلته .

« فلما رأوا الجهد وشدة القتل ، صدقوه الخبر .

« وقالوا : هذا دم نبيٍّ ، كاذب ينهانا عن كثير مما يسخط الله ، ويخبرنا بخبركم ، فلم نصدقه ، وقتلناه ، فهذا دمه .

« فقال : ما كان اسمه ؟

« قالوا : يحيى بن زكريا .

« قال : الآن صدقتموني . لئلا هذا انتقم ربكم منكم .

« وخرَّ ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من ها هنا من جيش جودرس .

« ففعلوا .

« وخلا في بني إسرائيل ، ثم قال للدم : يا يحيى ، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قُتل منهم .

« فامداً بإذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد .

« فسكن الدم ! .

« ورفع نبواذان القتل .

« وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقت به ، وأيقنت أنه لا رب غيره .

« ثم قال لبني إسرائيل : إن جودرس أمرني أن أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم في عسكره ، ولست أستطيع أن أعصيه .

« قالوا : افعل .

« فأمرهم أن يحفروا حفيرة ، وأمر بالخيول والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها حتى كثر الدم ، وأجرى عليه ماء ، فسال الدم في العسكر ، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم ، فألقوا فوق المواشي .

« فلما نظر جودرس إلى الدم قد بلغ عسكره أرسل إلى نبوزاذان : أنت ارفع القتل عنهم ، فقد انتقم منهم بما فعلوا .

« وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل .

« وكانت الوقعة الأولى بخت نصير وجنوده .

« ثم رد الله سبحانه لهم الكرة .

« ثم كانت الوقعة الأخيرة جودرس وجنوده .

« وكانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم ، وقتل رجالهم ، وسبي ذرائعهم ونسائهم .

« يقول الله تعالى (وليتبروا ما علّوا تتبيرا) » .

وفي رواية أخرى :

« فخرّب سور المدينة ، فدخلوها ، فأمرتهم المعجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن .

« فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم ، فأمرته بالكف »
وكف .

« وخرّب بيت المقدس ، وأمر أن تلقى فيه الجيف » .

هكذا شيء مما ذكر المؤرخون ... عن هاتين الوقتين ... وأهوالهما ...
وقدمير البيت الذي بناه سليمان ... أعظم بناء ... مرتين ... مرة على يدي
« بخت نصر » ... ومرة على يدي « جودرس » ...

« وايدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » !..

لنفهم جميعاً ... ان الله إذا أعطى عطاء ... إنما يعطيه ليطاع فيه ...
ويستعمل في ما يرضيه ...

فإذا اتخذ العباد عطاءه ليفسدوا في الأرض ...

أنذرهم ... وحذرهم ... ثم « فحقّ عقاب » ...

وكان ما كان من انتقام ...

رأينا منه ... صورتين رهيبتين ...

يشيب من هولها الولدان !..

سليمان ... كما يراه ...
ابن العربي ١٩...

نشبت ...

هنا ... كما أثبتنا في « حياة داود » ... ما قاله شيخ العارفين ...
ابن العربي ... في سليمان ...

ولتميز كلام ابن العربي ... عن كلام القاشاني ... شارح الكتاب ...
جعلنا كلمات ابن العربي بالبنط العريض ... وكلمات القاشاني بالبنط الطبيعي ...
والكتاب الذي ننقل منه هنا هو ... « فصوص الحكم » ... للإمام
الأكبر ... محيي الدين بن العربي ...

وأرجو مرة أخرى ... أن يوضع في الاعتبار ... أن ما ننقله عن الإمام
أو عن الشارح ... هو من باب الاستئناس ... لنضيف إلى « حياة سليمان »
أفقاً جديداً ... ونظرة عالية ... بغیر تلك النظرات التقليدية التي اعتادها
الناس حين ينظرون إلى حياة الأنبياء ...

هذا هو الهدف من هذا الفصل من الكتاب ... أما يذهب اليه الإمام ...
أو الشارح ... من مذاهب أو آراء ... فلا تعقيب لنا عليها ... فلكل وجهة
هو موليتها ...

﴿ فص حكمة رحمانية ﴾ في كلمة سليمانية ﴿﴾

قال القاشاني ... شرحاً للعنوان :

« انما اختصت الكلمة السليمانية بالحكمة الرحمانية ، لاختصاصه عليه السلام من عند الله ، جميع أنواع الرحمة العامة والخاصة .

« وقد خصه الله تعالى بالوجود التام على أكمل الوجوه .

« والاستعداد الكامل للولاية والنبوة من الرحمة الذاتية الخاصة والعامة ، وبالمواهب الظاهرة والباطنة .

« وأسبغ عليه نعمه الصورية والمعنوية .

« وسخر له العالم السفلي ، بما فيه من العناصر والمعادن والنبات والحيوان .

« والعالم العلوي ، بالامدادات النورية والقهرية واللطيفية ، من الرحمة الصفائية ، الخاصة والعامة .

« مما يطول تفصيلها ، كالسلطنة الكاملة .

« والملك العام ، بالتصرفات الشاملة في الأرض ، والتبوء منها ما شاء .

« والمساء ، بالغوص .

« والريج ، بالجري . بأمره حيث شاء .

« والنار ، بتسخير الشياطين النارية .

« كما ذكر الله تعالى في مواضع من القرآن .

« وحكي عنه قوله - يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس - الآية .
« ولو لم يسخر الله العالم العلوي حتى يؤيده ، لما أطاعه الكون والشيطان ، ولا دان له الإنسان والجان » .

قال الشيخ الأكبر :

« انه - يعني الكتاب - من سليمان وإنه - أي مضمونه - بهم الله الرحمن الرحيم -

« فأخذ بعض الناس في تقديم اسم سليمان على اسم الله .

« ولم يكن كذلك . .

« وتكلموا في ذلك بما لا ينبغي ، بما لا يليق بمعرفة سليمان عليه السلام بربه .

« وكيف يليق ما قالوه ، وبلقيس تقول فيه - إني ألقى إلى كتاب كريم -

أي يكرم عليها » !!؟

قال القاشاني :

« ذهب الشيخ رضي الله عنه إلى قوله تعالى - إنه من سليمان - حكاية قول

بلقيس ، لا حكاية المكتوب في الكتاب .

« وذلك أن بلقيس لما ألقى اليها الكتاب قالت لقومها وأرثهم الكتاب

- إنه من سليمان -

« فذلك قولها ، لا ما في طي الكتاب من المكتوب .

« وكذلك قوله - وإنه من - قولها .

« أي وإن مضمونه - بسم الله الرحمن الرحيم أنت لا تعملوا عليّ وأتوني مسلمين .

« فما في الكتاب إلا - بسم الله الرحمن الرحيم - إلى قوله - مسلمين -
« وقد تأدب مع الحق الذي في أعيان الطاعنين في سليمان ، حيث لم يسمهم ولم يصرح بتخطئهم .

« بل قال بعض الناس وتكلموا ما لا يليق .

« ومعنى قوله - ولم يكن كذلك - لم يقدم سليمان اسمه على اسم الله كما زعموا .
« ثم أنكر ما قالوا بقوله ، وكيف يليق ما قالوه وبلقيس تقول - إني ألقي إليّ كتاب كريم ؟

« فهي التي تقول - إنه من سليمان - الضمير في إنه يرجع إلى الكتاب ، وهذا واضح التفسير .

« وعلى ما قالوه ليس الضمير المذكور يعود إليه ، وفيه تعريض بهم ، كأنه يقول ، كيف يليق ما قالوه في حق سليمان من الطعن في كتابه وهم مسلمون ، وبلقيس وصفت كتابه بالكرم ، وأنه يكرم عليها وهي كافرة ؟

« فقولها - إنه من سليمان - بعد ذكر الكتاب بيان للمرسل .

« وقولها - إنه - بيان لمضمون الكتاب وهو - بسم الله - إلى آخره .

ثم يقول ابن العربي :

« وإنما حملهم على ذلك تمزيق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« وما مزقه حتى قرأ كله وعرف مضمونه .

« فلذلك كانت تفعل بلقيس ، لو لم توفق لما وفقت .

« فلم تكن تحمي الكتاب عن الإخراق بحرمة صاحبه تقديم اسمه عليه
المسلم على اسم الله تعالى ، ولا تأخيره عنه » .

قال الشارح :

« هذا إقامة لعذرهم : أي ربما حملهم على ما قالوه تمزيق كسرى كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« وقوله : وما مزقه » بيان لضعف عذرهم ، فإن كسرى إنما مزق كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرأه ، وعرف أن مضمونه دعوته إلى
خلاف دينه ومعتقده ، وقد قدم فيه اسم الله ، وإسم رسول الله على اسمه ،
فغاضه ذلك فمزقه .

« وأما بلقيس فوفقها الله تعالى لما قرأت الكتاب ، فأمنت باطناً ، وقالت
لقومها : إنه كتاب كريم من سلطان عظيم .

« فلو لم توفق لما وفقت له لمزقته سواء تقدم فيه اسم سليمان على اسم الله أو
آخر عنه .

« فلم يكن تقديم اسمه حامياً للكتاب عن الإخراق بسبب حرمة صاحبه ،
ولا تأخيره فلم يكن كما قالوه » .

ثم يقول الامام الأكبر :

« فأتى سليمان بالرحمتين .

« رحمة الامتنان ورحمة الوجوب .

« اللتين هما الرحمن الرحيم » .

قال القاشاني :

« أي فصل ما في اسم الله من أحدية جمع الأسماء بالرحمن البدال على
رحمة الامتنان .

« لعموم الرحمة الرحمانية الكمل ، من حيث أن الرحمن هو الحق ، باعتبار كونه عين الوجود العام للعالمين .

» فعم بهذه الرحمة الذاتية جميع الأسماء والحقائق .

« فهي رحمة الامتنان التي لا يخلو عنها شيء ، كما قال - ورحمتي وسعت كل شيء - .

« حق وسعت أسماء ، فإنها عين ذاته كعلمه ، كما قال على لسان الملائكة - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً - .

« ولهذا قال الامام المحقق جعفر بن محمد الصادق : الرحمن اسم خاص : أي بالله تعالى ، بصفة عامة ، أي صفة له شاملة للكل ، لأنه لا يمكن غيره أن يسع الكل .

« وبالرحيم الدال على رحمة الوجوب ، لخصوص الرحمة الرحيمية ، بما يقتضي الاستعداد بعد الوجود .

فالأعيان مرحومة بالرحمة الرحمانية : أي التجلي الذاتي من الفيض الأقدس دون الرحيمية ، فإنها بعد الاستعداد .

« ولهذا قال الإمام عليه السلام : الرحيم اسم عام ، أي مشترك لفظاً بين الحق والخلق بصفة خاصة بمن يستعد .

« فإن الكمال الذي هو مقتضى الاستعداد بعد الوجود لا بد من وقوعه ، إما بواسطة الهادي والمرشد والعالم من الأسماء أو الملك أو الإنسان ، اللذان هما صورتان للأسماء أيضاً » .

ثم يقول ابن العربي :

« فامتّن بالرحمن ، وأوجب بالرحيم .

« وهذا الوجوب من الامتنان ، فدخل الرحيم في الرحمن دخول تضمن .

« فإنه كتب على نفسه الرحمة سبحانه .

« ليكون ذلك للعبيد بما ذكره الحق من الأعمال التي يأتي بها هذا العبد ، حقاً
على الله أوجبه له على نفسه يستحق بها هذه الرحمة ، أعني رحمة الوجوب » .

قال القاشاني :

« فامتن على الكل بالرحمن أي بتعميم الرحمة في قوله - رحمتي وسعت
كل شيء - .

« وأوجبها في قوله - فسأكتبها للذين يتقون - .

« وقوله « سبقت رحمتي غضبي » امتنان أيضاً على الكل ، بإيجاب الرحمة
لهم على نفسه .

« وهو معنى قوله : فدخل الرحيم في الرحمن دخول تضمن ، يعني دخول
الخاص تحت العام .

« لأنه إنما أوجب الرحمة السابقة على الغضب في قوله - كتب ربكم على نفسه
الرحمة - ليكون للعبيد ما ذكره من الأعمال التي أوجدها الله على يده وأجراها
عليه تلك الرحمة ، وذلك بالشواب الذي وعده على تلك الأعمال ، حقاً له على
الله أوجبه على نفسه له بسبب الكتابة عليها ، امتناناً يستحق ذلك العبد بها
هذه الرحمة .

« فذلك وجوب في تضمن الامتنان ، إذ الكتابة على نفسه امتنان » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ومن كان من العبيد بهذه المشابة ، فإنه يعلم من هو العامل منه » .

قال الشارح :

« وفي نسخة - العامل به - أي ومن كان من العبيد مستحقاً لرحمة الوجوب بالتقوى والعمل الصالح ، يعلم أن الله هو العامل بهذا العبد ، أو من هذا العبد هذه الأعمال التي تستدعي هذه الرحمة على سبيل المجازاة بما يناسبها ، فإن هذا العلم من أعلى مراتب التقوى » .

ثم يقول :

« والعمل منقسم على ثمانية أعضاء من الانسان .

« وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها .

« فلم يكن العامل غير الحق ، والصورة للعبد ، والهوية مندرجة فيه أي في اسمه لا غير » .

« أي هوية العبد هو حقيقة الله ، أدرجت في اسمه ، فالعبد اسم الله ، وهويته المسماة هو الله .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« لأنه تعالى عين ما ظهر وسمى خلقاً ، وبه كان الاسم الظاهر والآخر للعبد ، وبكونه لم يكن ثم كان » .

« أي وبسبب أن هذا العبد لم يكن ثم كان ، تحقق بالآخرية من هذه الحيثية فهو الآخر ، وفي مادته فسمى الله بالآخر » .

ثم يقول :

« وبوقف ظهوره عليه ، وصدر العمل منه ، كان الاسم الباطن والأول » .

« أي بتوقف وجود العبد على الله الموجد له .

« ومن حيث أن الأعمال الصادرة من العبد ظاهرة ، صادرة عن الحق باطناً ، وفي الحقيقة تحقق للحق الاسم الأول والباطن من غيب هوية العبد ، فإن الحق هو العامل به وفيه » .

ثم يقول :

« فإذا رأيت الخلق رأيت الأول والآخر والظاهر والباطن .

« وهذه معرفة لا يغيب عنها سليمان عليه السلام .

« بل هي من الملوك الذي لا ينبغي لأحد من بعده .

« يعني الظهور به في عالم الشهادة » .

« يعني أن سليمان كان عارفاً بأن الله هو العامل بسليمان وغيره ما يصدر عنه من الأعمال والتصرفات والتسخيرات .

« ولو لم يشهد أن الله عينه وجميع قواه وجوارحه ، لما تأتى له هذا السلطان والحنك الكلي » .

ثم يقول :

« فقد أوتي محمد عليه الصلاة والسلام ما أوتي سليمان وما ظهر .

« فمكنه الله تمكين قهر من العفريت الذي جاءه بالليل ليقتلك به » .

وفي نسخة : ليضل به .

« فهمّ بأخذه وربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح فيلعب ولدان المدينة به .

« فذكر دعوة سليمان عليه السلام ، فردّه خاسئاً ، فلم يظهر عليه الصلابة والسادم بها أقدر عليه ، وظهر بذلك سليمان .

« ثم قوله — ملكاً — فلم يهمّ ، فعلمنا أنه يريد ملكاً ما ، ورأيناه قد شورك في كل جزء وجزء من الملك الذي أعطاه الله .

« فعلمنا أنه ما اختص إلا بالمجموع من ذلك .

« وبحديث العفريت أنه ما اختص إلا بالظهور .

« وقد يختص سليمان بالمجموع والظهور .

« ولو لم يقل صلى الله عليه وسلم في حديث العفريت « فأمكنني الله منه » .

« قلنا أنه لما همّ بأخذه ذكره الله دعوة سليمان ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدره الله على أخذه ، فردّه الله خاسئاً .

« فلما قال « فأمكنني الله منه » علمنا أن الله تعالى قد وهبه التصرف فيه .

« ثم أن الله ذكره فتذكر دعوة سليمان ، فتأدب معه .

« فعلمنا من هذا أن الذي لا ينبغي لأحد من الخلق بعد سليمان ، الظهور بذلك في العموم » .

« وهذا كله ظاهر » .

« وليس غرضنا من هذه المسألة إلا الكادام والتنبيه على الرحمتين اللتين

ذكرهما سليمان في الاسمين اللذين تفسيرهما بلسان العرب الرحمن الرحيم فقيّد
رحمة الوجوب ، .

قال الشارح :

« في قوله - فسأكتبها للذين يتقون - .

« وأطلق رحمة الامتنان في قوله - ورحمتي وسعت كل شيء - حتى
الاسماء الالهية أعني حقائق النسب ، .

« أي التي يمتاز بها كل اسم بخصوصية من الآخر .

« فإن للأسماء مدلولين : أحدهما الخصوصية ، والثاني الذات من حيث هي ،
فإن كل اسم هو الذات عينها والذات عينه ، فلا يطلق بهذا الاعتبار أنه
مرحوم ، ويطلق على خصوصيته .

« أي الحقيقة المميزة أنها مرحومة ، فالمرحومة هي حقائق النسب الداخلة
تحت عموم كل شيء .

« وهي على وجهين : أحدهما المعناني التي هي أمور اعتبارية وتعيينات
لا تحقق لها في الأعيان إلا بالعلم والرحمة الذاتية .

« فإنها نسب للذات كالحياة والعلم والقدرة وسائر معاني الصفات
المنسوبة اليه .

« والثاني : هذه النسب إلى الحق الواحد الأحد كالحبيبة والعالمية والقادرية
وأمثالها ، فهي التي وسعتها رحمة الامتنان مع العالمين .

ثم يقول ابن العربي :

« فإمتن عليها بنا ، فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الالهية والنسب الربانية » .

« أي فإمتن على الأسماء بوجودنا ، يعني الكل من نوع الانسان .

« فإن الله أكرم آدم بتعليم الأسماء ، وجعله وبنيه مظاهرها ومظاهر النسب ، أي حقائق الأسماء من الصفات .

« فنحن أي الكل من هذا النوع نتيجة الرحمة الذاتية الرحمانية التي هي رحمة الامتنان ، وبنا رحم الأسماء فأوجدنا » .

« ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا » .

« أي لمعرفة أنفسنا ، فإنها رحمة رحيمية وجوبية » .

« وأعلمنا أنه هو يتنا ، لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا لنفسه ، فلما خرجت الرحمة عنه » .

« فهو الراحم والمرحوم » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« فعلى من امتن وما تمّ إلا هو ؟

« إلا أنه لا بد من حكم لبيان التفصيل ، لما ظهر من تفاضل الخلق في العلوم ، حتى يقال : ان هذا أعلم من هذا ، مع أحدية العين » .

« فالتفاضل بالظهور والخفاء ، بحسب تفاضل الاستعدادات في المظاهر .

لأن العين الواحدة في كل مظهر هي أصفى وأتم استعداداً وجلاء ، كانت أظھر كالأوجال .

- « ومعناه معنى نقص تعلق الارادة عن تعلق العلم » .
- « فإن العلم والتعلق بالشيء متحكم على الإرادة .
- « والإرادة متحكم على القدرة دون العكس .
- « ألا ترى أن العلم ما لم يعين الإرادة لم تتعلق بالشيء ؟
- « والإرادة ما لم تخصص القدرة وتحكم عليها بالتعيين لم تتعلق ؟
- « ولا حكم للقدرة والإرادة على العلم .
- « ويستتبع العلم للإرادة ، والإرادة للقدرة دون العكس » .
- « فهذه مفاضلة في الصفات الالهية » .
- « فإن العلم أكمل من الإرادة .
- « فمن تجلى الله له بصفة العلم حق انكشف له العلم اللدني كان أكمل ممن تحقق بإرادة الله لغناء إرادته في إرادة الحق ، فحصل له مقام الرضا » .
- « وكما تعلق الارادة وفضلها وزيادتها على تعلق القدرة .
- « وكذلك السمع الالهي ، والبصر ، وجميع الأسماء الالهية ، على درجات في تفاضل بعضها على بعض .
- « وكذلك تفاضل ما ظهر في الخلق من أن يقال هذا أعلم من هذا مع أحدية المين .
- « وكما أن كل امم إلهي اذا قدمته سميته بجميع الأسماء ونعته بها » .

« لأنك ما قدمته إلا لعمومه وشرفه فيتسلوه تابعه كالرحمن بالنسبة إلى الرحيم » .

« كذلك فيما ظهر من الخلق فيه أهلية كل ما فوضل به » .

« أي قوة قبوله » .

« فكل جزء من العالم مجموع » .

« أي هو قابل للمعانق منفردات » .

« وفي نسخة متفرقات » .

« العالم كله ، فلا يقدح قولنا : إن زيدا دون عمرو في العلم ، انت تكون هوية الحق عين زيد وعمرو ، وتكون في عمرو أكمل منه في زيد وأعلم .

« كما تفاضلت الأسماء الالهية وليست غير الحق » .

« فهو تعالى من حيث هو عالم ، أعلم في التعلق من حيث هو مريد قادر .

« وهو هو ليس غيره » .

« فلا تعلمه يا وليّ هنا وتجهله هنا ، وتنفيه هنا وتثبتته هنا ، إلا أن أثبتته بالوجه الذي أثبت نفسه » .

« كالاية الجامعة للنفي والاثبات في حقه حين قال - ليس كمثله شيء - فنفي - وهو السميع البصير - فاثبت بصفة تهم كل سامع بصير ، من حيوان .

« وما ثم إلا حيوان » .

« إلا أنه بطن في الدنيا عن ادراك بعض الناس .

« وظهر في الآخرة لكل الناس .

« فأنها الدار الحيوان » .

قال الشارح :

« لما تحقق أن الحق تعالى هو عين الوجود المطلق .

« وأن حياته وعلمه وسائر صفاته ، هي عين ذاته .

« فمحيث كان الوجود كانت الحياة وسائر الصفات .

« إلا أن المظاهر كما ذكر متفاوتة في الصفاء والكدورة والجلاء وعدمه :
أي الاعتدال وعدمه .

« فما كان أصفى وأجلى وأعدل ظهر فيها الحياة والإدراك فسمي حيواناً .

« وما كان أكدر وأصداً وأبعد عن الاعتدال ظهر فيه الوجود الذي هو
أعم أنواع الرحمة الذاتية .

« وبطن الحياة والعلم لعدم قبول المحل لظهور ذلك فلم يسم حيواناً عرفاً ،
بل جماداً أو نباتاً .

« وذلك لاحتجاب أهل الحجاب عن الحقائق ، وعدم نفوذ بصائرهم
في البواطن .

« أما المحققون من أهل الكشف فهم الذين أطلعهم الله على الحقائق فلم
يحتجبوا عن البواطن للطف بصائرهم ، فهم يعرفون أن الكل حيوان .

« وكذلك في الآخرة عند كشف الغطاء عن أعين المحجوبين ، ورفع الستار عن أبصارهم عمت المعرفة .

« وعرف الكل أن الكل حيوان ، لأنها دار الحيوان » .

« وكذلك الدنيا .

« إلا أن حياتها مستورة عن بعض العباد ، ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما يدركونه من حقائق العالم .

« فمن عم إدراكه كان الحق فيه أظهر في الحكم ممن ليس له ذلك العموم .

« فلا تحتجب بالتفاضل وتقول : لا يصح كلام من يقول أن الخلق هوية الحق .

« بعدما أريتك التفاضل في الأسماء الالهية ، التي لا تشك أنت أنها هي الحق ، ومدلولها المسمى بها وليس إلا الله » .

« فلا تحتجب : نهى ، وتقول : حال على أنها جملة اسمية ، أي وأنت تقول » .

« ثم انه كيف يقدم سليمان اسمه على اسم الله كما زعموا ، وهو من جملة من أوجدته الرحمة الرحمانية ؟

« فلا بد أن يتقدم الرحمن الرحيم ليصح استناد المرحوم ، هذا عكس الحقائق ، تقديم من يستحق التأخير ، وتأخير من يستحق التقديم ، في الموضع الذي يستحقه » .

« أي لما تحقق التفاضل بين الأسماء امتنع عادة أن يقدم سليمان اسمه على اسم الله .

« مع أن سليمان اسم إلهي أوجدته الرحمة الرحمانية مقيدة بالمادة السليمانية ،
من جملة مظاهر اسم الرحمن المطلق عارف بذلك .

« فلا يقدم المقيد على المطلق ، كما لا يتقدم الرحيم على الرحمن .

« لأن الرحمن الذي أوجد سليمان ، وأظهر عموم حكم سلطته على العالم ،
يستحق التقدم بالذات على من أوجدهم من سليمان من جملتهم .

« فلا يليق بكمال علم سليمان ومعرفته تأخير ، سيما في موضع الاستحقاق
الذي هو أول الكلام وصدر الكتاب ومفتتح الدعوة إلى الحق » .

ثم يقول الشيخ الأكبر ،

« ومن حكمة بلقيس وعلو علمها كونها لم تذكر من ألقى إليها الكتاب .
« وما عملت ذلك إلا لتعلم أصحابها أن لها اتصالا إلى أمور لا يعلمون
طريقها ، وهذا من التدبير الإلهي في الملك .

« لأنه إذا جهل طريق الأخبار الواصل للملك ، خاف أهل الدولة على
أنفسهم في تصرفاتهم .

« فإذ يتصرفون إلا في أمر إذا وصل إلى سلطانهم عنهم يأمنون غائلة
ذلك التصرف .

« فلو تعين لهم على يدي من تصل الأخبار إلى ملكهم لصانعوه وأعظموا
له الرشا حتى يفعلوا ما يريدون ، ولا يصل ذلك إلى ملكهم ، فكانت قولها
— 'ألقى إليّ كتاب كريم — ولم تتم من ألقاه سياسة منها أورثت العذر منها
في أهل مملكتها وخوفا من مدبرها .

« وبهذا استحققت التقدم عليها » .

« هذا غني عن الشرح » .

« وأما فضل العالم من الصنف الانساني على العالم من الجنّ بأمرار التصريف وخواص الأشياء ، فمعلوم بالقدر الزماني .

« فان رجوع الطرف الى الناظر به أسرع من قيام القائم من مجلسه .

« لأن حركة البصر في الادراك الى ما يدركه أسرع من حركة الجسم فيما يتحرك منه .

« فان الزمان الذي يتحرك فيه البصر عين الزمان الذي يتعلق بمبصره ، مع بعد المسافة بين الناظر والمنظور .

« فان زمان فتح البصر ، زمان تعلقه بفلك الكواكب الثابتة .

« وزمان رجوع طرفه اليه عين زمان عدم ادراكه .

« والقيام من مقام الانسان ليس كذلك ، أي ليس له هذه السرعة .

« فكان « آصف بن برخيا » أتم في العمل من الجنّ .

« وكان عين قول « آصف بن برخيا » عين الفعل في الزمان الواحد .

« فرأى في ذلك الزمان بعينه سليمان عليه السلام عرش بلقيس مستقراً عنده .

« لئلا يتخيل أنه أدركه وهو في مكانه من غير انتقال » .

قال القاشاني :

« عالم الإنس ، هو آصف بن برخيا .

« وهو مع فنون علمه كان مؤيداً من عند الله ، معاناً من عالم القدرة بإذن الله وتأييده .

« أعطاه الله التصرف في عالم الكون والفساد ، والهمة ، والقوة الملكوتية .

« فتصرف في عرش بلقيس بخلق صورته عن مادته في سبأ ، وإيجاده عند سليمان .

« فإن النقل بالحركة أسرع من ارتداد طرف الناظر اليه محال .

« إذ النقل زماني ، وحركة البصر نحو المبصر آنية لوقوع الإبصار في فتح البصر في وقت واحد .

« فإذن ليس حصول عرش بلقيس عند سليمان بالنقل من مكان إلى مكان .

« ولانكشاف صورته على سليمان في مكانه ، لقوله - فلما رآه مستقراً عنده - .

« فلم يبق إلا أنه كان بالتصرف الإلهي ، من عالم الأيدي والقدرة .

« فكان وقت قسول آصف - أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - عين وقت انعدام العرش في سبأ ، وإيجاده عند سليمان .

« وهذا التصرف أعلى مراتب التصرف .

« الذي خصّ به من شاء من عباده ، وأقدره عليه .

« وما كان ذلك إلا كرامة لسليمان .

« حيث وهب الله تعالى لبعض أصحابه ، وأحد خاصته ، هذا التصرف العظيم .

« وهو من كمال العلم بالخلق الجديد .

« فإن الفيض الوجودي ، والنفس الرحاني ، دائم السريان والجريان في الأكون كالماء الجاري في النهر .

« فإنه على الاتصال ، يتجدد على الدوام .

« فكذلك تعينات الوجود الحق ، في صورة الأعيان الثابتة في العلم القديم ، لا يزال يتجدد على الاتصال .

« فقد يخلق التعيين الأول الوجودي عن بعض الأعيان في بعض المواضع ، ويتصل به الذي يعقبه في موضع آخر .

« وما ذلك إلا ظهور العين العلمي في هذا الموضع ، واختفاؤه في الموضع الأول ، مع كون العين بحاله في العلم وعالم الغيب .

« ولما كان آصف عارفاً بهذا المعنى معتنى به من عند الله ، مخصوصاً منه بالتصرف في الوجود الكوني .

« وقد آثر الله تعالى سليمان بصحته ، وآزره وقواه بمعونته إكراماً له ، وإتماماً لنعمته عليه في تسخير الجن والإنس والطير والوحوش .

« وإعلاءاً للقدرة ، وإعظاماً للملكة ، سلط الغيرة على آصف ، فغار على سليمان ومملكته ، الذي آثاه ، من أن يتوهم الجن أن تصرفهم الذي أعطاهم الله أعلى وأتم من تصرف سليمان وذويه .

« فأعلمهم أن الملك والتصرف الذي أعطى على بعض أصحاب سليمان ، من خوارق العادات ، أعلى وأتم من الذي خص الجن به ، من الأعمال الشاقة الخارجة عن قوة البشر ، والخارق للعادة بحسب الفكر والنظر .

« واعلم أن الجن أرواح قوية ، متجسدة في أجرام لطفية .

« يغلب عليها الجوهر الناري والهوائي .

« كما غلب علينا الجوهر الأرضي والمائي .

« وللطافة جواهر أجسامهم ، وقوة أرواحهم ، أقدرهم الله على التشكل بالأشكال المختلفة .

« والتمكن من حركات سريعة ، وأعمال عن وسع البشر متجاوزة .

« كالملائكة ، إلا أنها سفلية ، والملائكة علوية ، والله أعلم .

« والزمان في قول الشيخ قدس سره فإن الزمان الذي يتحرك فيه البصر عين الزمان الذي يتعلق ببصره .

« وفي قوله : فإن زمان فتح البصر زمان تعلقه بفلك الكواكب الثابتة ، وكل زمان استعمله في النص المتقدم بمعنى الآن الذي أوردناه في الشرح ، وهو الزمان الذي لا يقبل الانقسام في الخارج لصغره ويقبله في الوهم المسمى بالزمان الحاضر ، لا الذي هو نهاية المساضي وبداية المستقبل ، فإن ذلك عديم وهذا وجودي ، ولغظ الآن يطلق عليها بالاشتراك اللفظي » .

« ولم يكن عندنا باتحاد الزمان انتقال » .

« أي لم يكن أن يكون مع اتحاد زمان قول آصف ورؤية سليمان عرش بلقيس مستقراً عنده وعدمه في سبأ انتقال ، إذ لا بد للانتقال من زمان يتخلل وجوده في سبأ وكونه عند سليمان » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« وإنما كان اعدام وإيجاد من حيث لا يشعر بذلك أحداً إلا من عرفه ،
وهو قوله تعالى — بل هم في كبس من خلق جديد — . »

« وهو أي عدم الشعور بإعدامه وإيجاده معنو. قوله تعالى — بل هم في
لبس من خلق جديد — . »

« ولا يمضي عليهم وقت لا يرون فيه ما هم راؤون له . »

« بيان « لبس » أي يتخلل زمان بين عدمه ووجوده حتى يروا فيه عدمه ،
بل كان وجوده متصلاً لم يحسوا بعدمه وقتاً ما . »

« وكذلك في كل شيء من العالم ، لا يحسون وقتاً بعدم ، بين الخلقين
المتعاقبين ، بل يرون وجوداً واحداً كما ترى . »

ثم يقول الامام الأكبر :

« وإذا كان هذا كما ذكرناه ، فكان زمان عدمه أعني عدم العرش من مكانه
عين وجوده عند سليمان . »

« أي عين زمان وجوده . »

« من تجديد الخلق مع الأنفاس ، ولا علم لأحد بهذا القدر . »

« بل الانسان لا يشعر به من نفسه أنه في كل نفس لا يكون ثم يكون . »

قال القاشاني :

« لاقتضاء إمكانه ، مع قطع النظر عن موجوده عدمه كل وقت على الدوام . »

« واقتضاء التجلي الدائم الذاتي وجوده ، بل اقتضاء التجليات الفعلية

الأسماوية على الاتصال دائماً تكوينه بعد العدم في زمان واحد ، من غير قبلية ولا بعدية زمانية يحس بها ، بل عقلية معنوية .

« لأن هناك عدماً دائماً مستمراً باقتضاء العين الممكنة .

» ووجوداً دائماً مستمراً بتجلي الذات الأحدية .

» وشؤونات وتعيينات متعاقبة مع الأنفاس ، باقتضاء التجلي الأسماوي .

» فإن الشخصيات المعينة لهذا الوجود المعين تتجدد مع الآفات .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ولا تقل ثم تقتضي المهلة » .

» أي ولا تقل ان لفظة ثم تقتضي الزمان المتراخي .

» فليس ذلك بصحيح .

» وإنما هي تقتضي تقدم الرتبة العلية عند العرب في مواضع مخصوصة .

» كقول الشاعر (كهز الرديني ثم اضطرب) .

» وزمان الهزّ عين زمان اضطراب المهزوز بلا شك .

» وقد جاء بـثم ولا مهلة .

» كذلك تجديد الخلق مع الأنفاس .

» زمان العدم عين زمان وجود المثل .

» كتجديد الأعراض في دليل الأشاعرة .

« فان مسألة حصول عرش بلقيس من اشكل المسائل إلا عند من عرف ما ذكرناه آنفاً في قصته .

« فلم يكن لأصف من الفضل في ذلك إلا حصول التجديد في مجلس سليمان عليه السلام » .

قال الشارح :

« يعني أن حصول التعينات المتعاقبة ، وظهور الوجود في صورة عرش بلقيس ، أو ظهور صورة العرش في وجود الحق ، أو تعاقب الوجدات بتعاقب التجليات كلها للحق .

« وليس لأصف إلا حصول التجديد في مجلس سليمان .

« وذلك أيضاً إن كان يقصد منه ، فهو للحق في مادة آصف .

« ولكن لسان الارشاد والتعليم يقتضي بما رسمه الشيخ قدس سره » .

« ثم يكشف الشيخ الأكبر ... سر المعجزة فيقول :

« فما قطع العرش مسافة .

« ولا زويت له أرض .

« ولا خرقها ، لمن فهم ما ذكرناه .

« وكان ذلك على يدي بعض اصحاب سليمان ، ليكون اعظم لسليمان عليه

السلام ، في نفوس الحاضرين ، من بلقيس واصحابها .

« وسبب ذلك كون سليمان هبة الله لداود .

« من قوله تعالى - ووهبنا لداود سليمان - .

« والهبّة : عطاء الواهب ، بطريق الانعام ، لا بطريق الجزاء
الوافق والاستحقاق .

« فهو النعمة السابغة ، والحجة البالغة ، والضربة الدامغة » .

وفي ذلك يقول القاشاني :

« فهو أي سليمان لداود هو النعمة .

« فإن الخلافة الظاهرة الإلهية قد كملت لداود ، وظهرت أكمليتها
في سليمان .

« وأما علمه فقولہ - ففهمناها سليمان - مع نقيض الحكم ، أي
حكم داود » .

« وكلا آتاه الله حكماً وعلماً .

« فكان علم داود علماً مؤتمناً آتاه الله .

« وعلم سليمان علم الله في المسألة .

« إذ كان هو الحاكم باد واسطة .

« فكان سليمان ترجحان حق في مقعد صدق .

« كما أن المجتهد المصيب لحكم الله الذي يحكم به الله في المسألة لو تولاهما

بنفسه ، أو بما يوحى به لرسوله له أجران .

« والمخطيء لهذا الحكم المعين له أجر واحد .

« مع كونه علما وحكما .

« فأعطيت هذه الأمة المحمدية رتبة سليمان عليه السلام في الحكم .

« أي بالقرآن والحديث .

« ورتبة داود في الحكمة .

« بالاجتهاد .

« فإيا أفضلها من أمة .

« ولما رأت بالقيس عرشها مع علمها ببعد المسافة ، واستعالة انتقاله في تلك المدة عندها ، قالت — كأنه هو — وصدقت بما ذكرناه من تجديد الخلق بالأمثال ، وهو هو .

« أي بالحقيقة السريرية ، والعين المعينة العلمية ، لا بحسب الوجود المشخص .

« وصدق الأمر .

« كما أنك في زمان التجديد ، عين ما أنت في الزمن الماضي .

« ثم أنه من كمال علم سليمان التنبيه الذي ذكره في الصرح - فقول لها ادخلي الصرح - .

« وكان صرحا أملس ، لا أمت فيه ، من زجاج - فلما رآته حسبتها لُجَّة - أي ماء - فكشفت عن ساقها - حتى لا يصيب الماء ثوبها .

فنبهها بذلك على أن عرشها الذي رآته من هذا القبيل .

« وهذا غاية الانصاف » .

« يعني ان تقييد الوجود في الصورة العرشية عند سليمان ، لم يكن
اعادة العين .

« ولا نقل الوجود المشهود في سبأ إلى مجلس سليمان .

« فإنت ذلك محال .

« بل اعدام لذلك الشكل في سبأ .

« وإيجاد مثله عند سليمان .

« من علم الخلق الجديد .

« فهو إيجاداً لمثل لا إيجاداً لعين .

« وذلك إيهام وتنبيه لها بإظهار المثل .

« فإن الصرح موم للراي أنه ماء صاف .

« كما أن المثل من الصورة العرشية موم أنه عين العرش الذي كان في سبأ .

« فتنبيهها سليمان بقوله — انه صرح موم من قوارير — على أن قولها — كأنه
هو — صادق .

« إذ ليس هو هو ، بل كأنه هو .

« وكذا سؤال سليمان عنها — أمكذا عرشك — ولم يقل : أهذا عرشك ،
لعله بالأمر في نفس الأمر » .

« فانه أعلمها بذلك اصابتها في قولها — كأنه هو — .

« فقامت عند ذلك - رب اني ظلمت نفسي » .

« أي اعترفت بظلم نفسي بتأخير الإيمان الى الآن » .

« واسلمت مع سليمان » .

« أي إسلام سليمان » .

« لله رب العالمين - فما انقادت لسليمان وإنما انقادت لرب العالمين .

« وسليمان من العالمين .

« فما تقيدت في انقيادها .

« كما لا تتقيد الرسل في اعتقادها في الله .

« بخلاف فرعون ، فإنه قال - رب موسى وهارون - وإن كان يلحق بهذا الانقياد البلقيسي من وجه ، ولكن لا يقوى قوته » .

« يعني قيد فرعون إيمانه بقوله - آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل - .

« وإنما نسب اليه الشيخ الايمان برب موسى وهارون ، لأن إيمان بني اسرائيل انما كان برب موسى وهارون ، فأسند اليه مجازاً .

« وإلا لم يقل فرعون - رب موسى وهارون - وقيد إيمانه بإيمان بني اسرائيل .

« وأطلقت بلقيس بقولها - رب العالمين - .

« وإن كان يلحق تقييده اطلاقها من وجه ، لأن رب موسى وهارون رب العالمين .

- « لأن كلا منهما اتبع اسلامه اسلام نبيته .
- « ولكن لا يقوى اسلامه قوة اسلامها ، لدلالة اسلامها على كمال اليقين ، حين قرنت اسلامها بإسلام سليمان دون اسلامه .
- « فإن اسلامه كان في حال الخوف ورجاء النجاة من الفرق بإسلامه » .
- ثم يشني الشيخ الأكبر ، على اسام بلقيس فيقول :
- « وكانت أفقه من فرعون في الانقياد لله .
- « وكان فرعون تحت حكم الوقت حيث قال - آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل - .
- « فخصص ، وإنما خصص لما رأى السحرة قالوا في إيمانهم - رب موسى وهارون - .
- « فكان اسام بلقيس اسام سليمان .
- « إذ قالت - مع سليمان - فتبعته .
- « فما يمر بشيء من العقائد ، إلا موت به معتقدة ذلك .
- « كما كنا نحن على الصراط المستقيم الذي الرب تعالى عليه ، نكون نواصينا في يده .
- « ويستحيل مفارقتنا إياه .
- « فنحن معه بالتضمنين .
- « وهو معنا بالتصريح » .

قال القاشاني .

« إنما كان فرعون تحت حكم الوقت حيث كان الوقت وقت غلبة بني اسرائيل ونجاتهم وغرقه .

» فخصص ايمانه بإيمانه تقليداً ورجاء للخلاص كخلاصهم لا يقيناً .

« فكأنه لما رأى الدولة معهم مال اليهم ، وقايس التخصيص على تخصيص السحرة وأخطأ في القياس كإبليس .

« فإن ايمان السحرة يتقيد بإيمان النبيين ، والتابع يجب أن يتقيد ايمانه بإيمان نبيته ، وإنه قيد ايمانه بإيمان بني اسرائيل فكيف بين الايمانين ؟

« وأيضاً كان تخصيص السحرة بعد التعميم في قولهم — آمنا برب العالمين — واستشعارهم أن القبط لغاية تعمقهم في الضلال يحسبون رب العالمين فرعون .

« وبين اسلامه وإسلام بلقيس بن بعيده لأن المعية في قولها دالة على أنها معتقدة اعتقاد سليمان مطلقاً في جميع الأشياء .

« كما نحن بالتبعية مع الرب تعالى على الصراط المستقيم لكون نواصينا بيده فهو على الصراط المستقيم ، فامتنع انفسا كنا عنه فنحن على صراط ربنا بالتبعية .

« وهو معنى قوله بالتضمين : أي على الصراط المستقيم في ضمن كونه عليه لأنه الكل ونحن كالجزم من الكل ، وهو آخذ نواصينا معنا بالتصريح .

« فانه قال تعالى — وهو معكم أينما كنتم — .

« ونحن معه بكونه أخذاً بنواصينا فهو تعالى مع نفسه حيث ما مشي بنا من صراطه .

« فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ، وهو صراط الرب
تبارك وتعالى .

« وكذا علمت بلقيس من سليمان فقالت - لله رب العالمين - وما خصصت
عالمًا من عَالَمٍ » .

« لأنها علمت أن سليمان مع الرب ، والرب مع الكل بأسمائه .

« فيكون سليمان مع الكل لكونه مع الله بجميع أسمائه .

« ولهذا سخر الكل بأسماء الله » .

ثم يقول الامام الأكبر :

« وأما التسخير الذي اختص به سليمان عليه السلام ، وفضل به غيره ،
وجعله الله له من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، فهو كونه عن أمره .

« فقال - فسخرنا له الريح تجري بأمره - .

« فما هو من كونه تسخيراً فإن الله يقول في حقنا كلنا من غير تخصيص
- وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً - وقد ذكر تسخير الرياح
والنجوم وغير ذلك ، ولكن لا عن أمرنا بل عن أمر الله .

« فما اختص سليمان أن عقلت إلا بالأمر ، من غير جمعية ولا همة .

« بل بمجرد الأمر .

« وإنما قلنا ذلك لأننا نعرف أن أجرام العالم تنفعل لهم النفوس ، إذا
أقيمت في مقام الجمعية .

- « وقد عاينا ذلك في هذا الطريق .
- « فكان من سليمان مجرد التلفظ بالأمر لمن أراد تسخير .
- « من غير همة ولا جمعية .
- « يعني أن التسخير المختص بسليمان هو التسخير بمجرد أمره .
- « لا بالهمة والجمعية وتسليط الوهم .
- « ولا بالأقسام العظام ، وأسماء الله الكرام .
- « والظاهر أنه كان له أولاً بأسماء الله ، والكلمات التامات ، والأقسام .
- « ثم تمرن حتى بلغ الغاية ، وانقادت له الخلائق .
- « وأطاعه الجنّ والإنس والطير والوحش وغيرها .
- « بمجرد الأمر والتلفظ بما يريد بها ، من غير جمعية ولا تسليط وهم وهمة ، عطاء من الله تعالى وهبة .
- « وكان أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .
- « ويحتمل أن يكون ذلك اختصاصاً له من الله بذلك ابتلاء .
- ثم ينقلنا الشيخ الأكبر ... الى أفق أعلى ... فيقول :
- « واعلم أيها الله وإياك بروح منه .
- « أن مثل هذا العطاء إذا حصل للعبد ، أي عبد كان ، فإنه لا ينقصه ذلك من مملك آخرته ، ولا يُحسب عليه .

« مع كون سليمان عليه السلام طلبه من ربه تعالى ، فيقتضي ذوق الطريق » .

« وفي نسخة : ذوق التحقيق » .

« ان يكون قد عجل له ما ادخر لغيره ويحاسب به إذا اراده في الآخرة .

« فقال الله له — هذا عطائونا — ولم يقل لك ولا لغيرك — فامتن — أي أعط — أو أمسك بغير حساب — .

« فعلمنا من ذوق الطريق ان سؤاله عليه السلام ذلك كان عن أمر ربه .

« والطلب إذا كان عن الأمر الإلهي ، كان الطالب له الأجر التام على طلبه » .

« لكونه مطيعاً لربه في ذلك ممثلاً لأمره » .

« والباري تعالى ان شاء قضى حاجته فيما طلب منه .

« وإن شاء أمسك .

« فان العبد قد وفى ما أوجب الله عليه من امتثال أمره ، فيما سأل ربه فيه .

« فلو سأل ذلك من نفسه عن غير أمر ربه له بذلك لحاسبه به .

« وهذا سار في جميع ما يسأل فيه الله تعالى .

« كما قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم — وقل رب زدني علماً — .

« فامتثل أمر ربه ، فكان يطلب الزيادة من العلم ، حتى كان إذا سيق له لبن يتناوله علماً .

« كما تناول رؤياه لما رأى في النوم أنه أتى بقدرح لبن فشربه وأعطى فضلَه
عمر بن الخطاب ، قالوا : فما أولته ؟ قال : العلم .

« وكذلك لما أسرى به أتاَه الملك بانهاء فيه لبن وإناء فيه خمر ، فشرب اللبن ،
فقال له الملك : أصبت الفطرة ، أصاب الله بك أمتك .

« قالبن متى ظهر فهو سورة العلم ، فهو العلم تمثل في سورة اللبن .
« كجبريل تمثل في سورة بشر سوي لمريم » .

« انما أورد هذه المسألة التمثيلية ها هنا لأن الحكمة التي كانت في بيانها عن
تجديد المثل ، مع الإلباس في الخلق الجديد ، هي تمثل المعاني والحقائق ، في
صورة ما كان من الوجود الظاهر بها .

« أو بالعكس على الذوقين من مشربي قرب الفرائض والنوافل ، فكانت
من تنمة ذلك البحث ونهايته » .

« ولما قال عليه الصلوة والسلام « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » نبه
على أن كل ما يراه الانسان في حياته الدنيا انما هو بمنزلة الرؤيا للنائم فلا به
من تأويله » .

« مضمون الحديث أن الحياة نوم .

« وفجواه أن كل ما يرى من المحسوسات المشهورة كالرؤيا للنائم خيال .

« فكما أن الرؤيا معاني متمثلة في الخيال ، وحقائق متجسدة تحتاج
إلى تأويل .

« فكذلك كل ما يتجسد ويتمثل لنا في هذا العالم ، معان وحقائق تمثلت في
عالم المثال ، ثم في عالم الحس .

« فعلى أهل الذوق والشهود تأويله ، إما بالعبور على تلك الحقائق التي تنزات حتى تمثلت في الصورة المحسوسة التي وصلت اليها .

» وإما الى لوازم هذه الصورة ولوازم لوازمها .

« فإن الوجود الساري في الأكوان ، سرى من كل صورة إلى ما يناسبها ويلازمها ، ثم الى عوارضها ولواحقها وتوابعها وتوابع توابعها .

« واعلم أن هذه الصور والأشكال والهيئات والأحوال التي نشاهدها بما في العالم ، آيات نصبها الله لنا ، وأعلام أظهرها ، أمثلة لحقائق وصور ومعان معقولة أزلية ، هي شؤونه تعالى ، وتعييناتها الذاتية — وما يعقلها إلا العالمون — بالله ، الذين يعرفون تأويلها ، ويعبرون عن صورها إلى حقائقها ، وهو الموفق » .

ثم يكشف الامام الأكبر ... سرّاً جميلاً ... فيقول :

« انما الكون خيال .

« وهو حق في الحقيقة .

« والذي يفهم هذا ، حاز أسرار الطريقة » .

« أي الكون من حيث الصور والهيئات والأشكال ، فظاهر في وجود الحق .

« فمن لم يحتاج عن الحق بهذه الصور ، ورأى الحق المتعجلي فيها ، المتحول في الصور ، فهو الحق الواقف على أسرار الطريقة » .

« فكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم له ابن قال « اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » .

« لأنه كان يراه صورة العلم .

« وإذا قدم اليه غير اللجن قال « اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيراً منه
« فمن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن أمر إلهي ، فإن الله لا يحاسبه به
الدار الآخرة .

« ومن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهي ، فالأمر فيه إلى ال
إن شاء حاسبه ، وإن شاء لم يحاسبه .

« وأرجو من الله في العلم خاصة أن لا يحاسب به .

« فإن أمره أنبيئه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة من العلم ، =
أمره لأئمة .

« فإن الله يقول - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - .

« وأي أسوة أعظم من هذا القاسمي ، لمن عقل عن الله ؟

« ولو نبهنا على المقام السليماني على تمامه .

« لرايت أمراً يهلك الأملادع عليه .

« فإن أكثر علماء هذه الطريقة جهلوا بحالة سليمان ومكانته .

« وليس الأمر كما زعموا » .

قال القاشاني :

« أي حسبوا أنه عليه السلام اختار ملك الدنيا ، وأنه ينقصه ذلك
ملك الآخرة .

« وهو أعظم مما اعتقدوا في حقه ، وما قدروا حق قدره .

» فإنه عليه السلام كان في أكملية رتبة الخلافة .

« وإن الوجود الحق المتمين به ، وفيه ظهر ، في أكمل مسوره الإلهية والرحمانية .

» فهو أكمل مجلى لله .

» مع قيامه بحق العبدانية .

» وكال إيقانه بذلك .

» فإنه عليه السلام في عين شهود ربه على هذا الكمال .

» وظهوره بأسمائه العظمى ، كان يعمل بيديه .

» ويأكل بكسبه .

« ويجالس الفقراء والمساكين ، ويفتخر بذلك ويقول : مسكين
جالس مسكيناً .

« والله الموفق » .

* * *

كان هذا ... ما قاله الإمام الأكبر ... عن سليمان ... عليه السلام ...

« وما قاله الامام الرباني القاشاني ... شرحاً عليه ...

« فماذا أنا قائل ... بعد ما قالوا !؟ .

ليس من الأدب ... ان يتكلم مثلي في حضرتهم !..

ولقد آتينا ... داوود وسليمان ...
علما ۱۴ ...

كي تستطيع ...

أن تدرك ... علم سليمان ... انظر في هذه المرأة ...
يتلأ فيها ... أمام عينيك ... قوله عزّ ثناؤه :
« ففهمناها سليمان » .

« وكنا آتينا 'حكما وعِلمًا » ...

وفيهما يتعالى ... قوله تعالى :

« ولقد آتينا داوود وسليمان عِلْمًا » .

« وقالوا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين » .

« وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس 'علّمنا منطلق الطير » .

« وأوتينا من كل شيء ان هذا هو الفضل المبين » .

فلماذا نظرت ثمّ نظرت ... في المرأة ... رأيت قوله :

« ووهبنا لداوود سليمان » .

« نعم العبد انه أوّاب » .

ورأيت قوله :

« قال رب اغفر لي » .

« وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب » .

وتلآلات في المرأة ... أمام ناظريك ... تلك الجميلة جمالاً ليس كمثلها جمال :

« هذا عطاؤنا .

« فامنن أو أمسك بغير حساب » ..!

فإذا نظرت الى المرأة ملياً ... تشعشعت أمام عينيك ... تلكم الآيات ...
بجراً بلجيتاً ..!

هو بحر ... علم سليمان ... وفهم سليمان ... وفضل الله على سليمان ..!

ولست أدري ... أنسى لمثلي ... أن يتحدث عن علم نبي كريم عظيم ...
اسمه سليمان بن داوود ؟ ..!

كيف أستطيع الحديث عن نبي ورث نبياً ... في كل علومه ... ثم زاده
الله علوماً فوق علوم أبيه ؟! ..!

وما أدراك ما علوم أبيه ؟! ..!

ثم ما أدراك ما علوم سليمان ... وكيف تكون ... وقد حيزت له علوم
داوود بالوراثة ... وآتاه الله بعدها علوماً جديدة ؟! ..!

الحق ... أني لا أدري ... كيف أستطيع الحديث ... عن علم من
هذا شأنه ؟! ..!

اللهم أمددني ... وزدني ... علماً ...

وفهمي ... وزدني ... فهماً ...

فإن من اقترّب ... من مقامات الأنبياء ... احترق ..!

شأنهم ... بعيد ... بعيد ... عن ادراكنا ...

فكيف بأمثالنا ١٩.

ما جشتم ... إلا وأحسست أني أصغر ... من أن أتكلم عنهم !...
لأنهم ... أعلى ... من عقولنا علواً وكبراً ...
وليس يعينني أن أعلن عجزني عن إدراك علوم سليمان ...
فإن العجز عن درك الإدراك ادراك ... كما يقولون ...
لقد وقفت مشلولاً تماماً أمام هذا الباب ... باب علوم سليمان ...
رأيتني أمام ... بحر الجشي ... يغشاه موج ... من فوقه موج ... من
فوقه سحب ...

وتذكرت ما قاله القاشاني ... عن سليمان :
« فإنه عليه السلام كان في أكملية رتبة الخلافة .
« وإن الوجود الحق المتعين به ، وفيه ظهر ، في أكمل صوره الإلهية
الرحمانية .

« فهو أكمل مجلى لله » ..
فقلت : ويحي ... أنسى لي السبح ... في بحر سليمان ١٩ .
ولمّا اليك اشارات ... الى عظمة المقام السلياني ...
داود . . بكل عظمته ... وبكل علومه ... ورثه سليمان ...
ثم زاده الله علماً ... على علم ...
زاده صيباً ... « ففهمنا سليمان ... وكلا آتيناهما حكماً وعلماً » ..
وزاده نبياً ... « وورث سليمان داود ... وقال يا أيها الناس علمنا
منطلق الطير » ... زيادة على ما ورثه عن داود ... نموذج مما زاده الله ...

ليس منطق الطير وحده ... وإنما زاده ما لا سبيل إلى ادراكه ... فه
عنه سليمان بقوله « وأوتينا من كل شيء » ... أي اعلموا يا أيها الناس ...
الله آتاني ما لا سبيل لكم إلى ادراكه ...

وإنما ذلك كان كذلك ... لأنه من الملوك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ،
وأعظم ملوك الأنبياء ... ملك العلم ...

الأنبياء ... ملوك العلماء ! ..

علمهم كلّي ...

الكلمة ... من النبي ... تصدر على مستوى ما كان وما سيكون ...

« وأتينا الحكمة وفصل الخطاب » .

لو استوى علماء البشر صفاً واحداً ... يحاولون فهم جملة واحدة من ك
النبي ... ما فهموا منها إلا قليلاً ! ..

« وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

ذلك أن علم الأنبياء ... كلّي ...

وعلم العلماء ... جزئي ... نسبي ...

ومن هنا كان اختلاف العلماء ... في فهم ما صدر عن الأنبياء ...

ومن هنا ... يجب علينا التسليم التام ... للأنبياء ...

لأننا جميعاً أطفال صغار ... بالنسبة اليهم ...

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحموك فيما شجر بينهم .

« ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت .

« ويسلموا تسليماً » ١٠٠

ويسلموا تسليماً ١٠١

أيها الناس جميعاً ... أيها العلماء ... سلموا للأنبياء تسليماً تاماً ١٠٢

كما ينبغي للقطرة ... أن تندمج في البحر ...

كذلك ينبغي للناس ... أن يندمجوا في بحر الأنبياء ... ويسلموا تسليماً؟

فإذا قال النبي ... وجب الاستماع ...

وإذا أمر ... وجبت الطاعة ...

وإذا نهى ... وجب الانتهاء ...

لأن في اتباعه ... الحياة ...

وفي عصيانه ... الموت ...

تماماً ... إذا فصلت قطرة ماء ... وعزلتها وحدها ... بعيداً عن
البحر ... جفت ... وانتهت وماتت ...

وإذا رددتها ... إلى بحرها ... اندمجت في البحر ... واتسع وجودها ...
اتساع البحر كله ١٠٣

فالذين ضادوا الأنبياء ... انما ضادوا أنفسهم ... وكانوا أتعس التعساء ...

« والذين كفروا فتعسوا هم وأضل أعمالهم » ١٠٤

ثم ماذا ١٠٥

فلما عجز الناس ... عن ادراك علم الأنبياء ... ضرب الله لهم في كتابه
أمثالاً ... ليفهموا منها شيئاً من علومهم ...

فمن الأمثال ... أو من نماذج علم سليمان ...

ممثل ... « قالت نملة » ... لنعلم أن من علوم سليمان ... علم
منطق النمل ...

ومثّل ... « مالي لا أرى الهدد » ... لنعلم أن من علوم سليمان ...
منطق الهدد ...

ومثّل ... أيّكم يأتيني بعرشها ... « قال عقرويت من الجن » ...
لنعلم أن من علم سليمان ... منطق الجن^(١) ...
ومثّل ... أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » ... لنعلم أن من علم
أسرار التسخير !..

ومثّل ... « ادخلي الصرح » ... لنعلم أن من علم سليمان ... أن يأمر
الجنّ ... فيتطاعوا فوراً لأمره ... ويعملوا له ما يشاء !..

ومثّل ... « ففهمناها سليمان » ... لنعلم إذا عجزنا عن فهم علم
سليمان ... أنه رأساً من الله ... وليس عن تحصيل دراسة وسهر الليالي ..
وهكذا ... أمثال ... على سبيل المثال ...

لا على سبيل الحصر ...
تقريباً إلى أفهامنا ... وتنزلاً إلى عقولنا ...
أما الإحاطة بعلم سليمان كله ... فلا سبيل لنا إليها ...

لأن الإحاطة تقتضي الموازنة ... وعلمنا لا يوازي علم سليمان ... ومن هنا
عجزنا عن ادراك علم سليمان ... لأن الأدنى لا يدرك الأعلى ...

ولعل الإبهام في قوله « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » فيه إشارة
إلى ذلك ...

علماً ؟! يكفيكم أن تعلموا أننا آتيناهما علماً ... أما مدى هذا العلم ...
فلا سبيل لكم إليه !..

هذا شيء قليل ... عما ورد في كتاب الله العزيز ... عن علم سليمان ...
لماذا عما ورد عند أهل الكتاب عن علم سليمان ؟!

(١) راجع تفصيل هذه الأمثال ... في الفصول السابقة من الكتاب .

سليمان ... الحكيم ...!

رؤيا ...

رآها ... النبي الملك سليمان ... وهو في مطلع توليه الملك ...
ورددت عند أهل الكتاب ...

قالوا :

« ... تراعى الرب لسليمان في حلم ليلاً ... »

« وقال الله : اسأل ، ماذا أعطيك ؟ »

« فقال سليمان : انك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة ، حسبما
سار أمامك بأمانة وبرّ واستقامة قلب معك ، فحفظت له هذه الرحمة العظيمة ،
وأعطيته ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم .

« والآن أيها الرب إلهي ، أنت ملكيت عبدك مكان داود أبي ، وأنا فتى
صغير ، لا أعلم الخروج والدخول .

« ... فأعط عبدك قلباً فهيماً ، لأحكم على شعبك ، وأميز بين الخير
والشر ، لأنه من يقدر ان يحكم على شعبك العظيم هذا .

« فحسن الكلام في عيني الرب ، لأن سليمان سأل هذا الأمر .

« فقال له الله : من أجل انك قد سألت هذا الأمر .

« ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة .
« ولا سألت لنفسك غنى .
« ولا سألت أنفس أعدائك .
« بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم .
« هو ذا قد فعلتُ حسب كلامك .
« حتى أنه لم يكن مثلك قلبك .
« ولا يقوم بعدك نظيرك .
« وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله ، غنى وكرامة .
« حتى أنه لا يكون رجل مثلك في الملوك ، كل أيامك .
« فإن سلكت في طريقي ، وحفظت فرائضي ووصاياي ، كما سلك داود
ابوك ، فإني أطيل في أيامك .
« فاستيقظ سليمان ، وإذا هو نحلم ، ...
وكما هو معلوم ... فإن رؤيا الأنبياء حق ...
والذي نلتقطه هنا قوله « أعطيتك قلباً حكيماً » ...
وهو يؤيد ما ذهبنا إليه في الفصل السابق ... حيث قيل : « أعظمُ ملك
الأنبياء ... ملك العلم » ...
فإذا أعطاه الله ... قلباً حكيماً ... فقد أعطاه قلباً عليماً ... لأن الحكمة
قمة العلم ... وهما متلازمان ... « وكلا آتيناهُ حكماً وعلماً » ...

ثم ماذا عند أهل الكتاب عن حكمة سليمان ١٢

قالوا :

« وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيراً جداً .

« ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر .

« وفاقته حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ، وكل حكمة مصر .

« وكان أحكم من جميع الناس ...

« وكان سيته في جميع الأمم حواليه .

« وتكلم بثلاثة آلاف مثل .

« وكانت نشائده ألفاً وخمسة .

« وتكلم عن الأشجار ، من الأرز الذي في لبنان ، الى الزوفا النسابت
في الحائط .

« وتكلم عن البهائم .

« وعن الطير^(١) .

« وعن الدبيب .

« وعن السمك .

« وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان .

(١) يتطابق مع ما جاء بالقرآن العظيم : « علّمنا منطق الطير » ا. .

« من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته » .

وماذا نفهم من هذا ؟ ١٢ .

نفهم أن سليمان تكلم مع البهاثم ، ومع الطير ، ومع الدواب ، ومع الأسماك في البحار ...

وهذا ثابت له ... في نصوص القرآن الكريم ! ..

ثم ماذا عندهم ؟ !

قالوا :

« وسمعت ملكة سبا يخبر سليمان بحمد الرب .

« فأتت لثمتحنه بمسائل .

« فأتت إلى اورشليم بموكب عظيم جداً ...

« وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها .

« فأخبرها سليمان بكل كلامها .

« لم يكن أمر خفياً عن الملك لم يخبرها به .

« فلما رأت ملكة سبا كل حكمة سليمان ...

« لم يبق فيها روح بعد .

« فقالت لذلك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك .

« ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيني .

« فهو ذا النصف لم أخبر به .

« زدت حكمة وصلاً على الخبر الذي سمعته . . .

فماذا نفهم من هذا ؟! .

نفهم منه ... أن بلقيس لما عاينت بنفسها وتكلمت وجهها لوجه مع سليمان ... تأكدت أن ما سمعته عن حكمته أقل كثيراً مما لمسته من تلك الحكمة . . .

ما من شيء من أخبارها ... إلا أخبرها به . . .

ما من شيء يدور برأسها ... أو بقلبها ... إلا كاشفها به . . .

إنها أمام رجل خارق ... لم تشهد مثله قط في الملوك . . .

إنها أمام نبيّ ... يُوحى إليه . . .

والأنبياء إذا تحدثوا ... صمت السامعون ... ولو كانوا ملوكاً . . .

ثم ماذا عند أهل الكتاب ... من أمثال سليمان ... وحكمة سليمان ؟!

عندهم في سفر « أمثال » الشيء الكثير من حكمة سليمان ...

وكما اخترنا في « حياة داود » شيئاً من المزامير ...

فإني أختار لك في « حياة سليمان » نماذج من الـ « أمثال » ... لتكتمل لك الصورة ... عن شخصية سليمان ...

وإليك ... المختار ... من هذه الأنوار ...

❦ من الاصحاح الثالث ❦

- « طوبى للانسان الذي يجد الحكمة ، والرجل الذي ينال الفهم ،
« لأن تجارتها خير من تجارة الفضة ، وربحها خير من الذهب الخالص .
« هي أثمن من الفضة ، وكل جواهرك لا تساويها .
« في يمينها طول أيام ، وفي يسارها الفنى والمجد .
« طرقها طرق نعيم ، وكل مسالكها سلام .
« هي شجرة حياة لمسكيتها ، والمتمسك بها مغبوط .
« الرب بالحكمة أسس الأرض .
« اثبت السماوات بالفهم .
« بعلمه انشقت البحج ، وتقطر السحاب ندى » .
« لا تحسد الظالم ، ولا تختار شيئاً من طرقه .
« لأن الملتوى رجس عند الرب .
« أما سره فعند المستقيمين .
« لعنة الرب في بيت الشرير ، لكنه يبارك مسكن الصديقين .
« كما أنه يستهزئ بالمستهزئين ، هكذا يعطي نعمه للمتواضعين .
« الحكماء يرثون مجداً ، والحقى يحملون هواناً » .

* * *

❦ من الاصحاح الرابع ❦

- « اسمعوا أيها البشرون تآديب الأب ، واسفوا لأجل معرفة الفهم .
- « لأنني أعطيتكم تعليما صالحا ، فلا تتركوا شريعتي .
- « فاني كنتُ ابنا لأبي ، غضا ، ووحيدا عند أمي .
- « وكان يُريني ويقول لي : ليضبط قلبك كلامي .
- « احفظ وساياي فتحميا .
- « اقن الحكمة .
- « اقن الفهم .
- « لا تنس ولا تعرض عن كلمات فمي .
- « لا تتركها فتحمظاك ، أحبيبها فتصونك .
- « الحكمة هي الرأس .
- « فاقن الحكمة ، وبكل مقتناتك اقن الفهم .
- « ارفعها فتعمليك .
- « تمجدك اذا اعتنتتها .
- « تعطي رأسك اكليل نعمة .
- « تاج جمال تمنحك » .

* * *

❦ من الاصحاح السادس ❦

- « ... هذه الستة يهبطها الرب ، وسبعة هي مكرهة نفسه .
- « عيون متعالية .
- « لسان كاذب .
- « أيد سافكة دماء بريئة .
- « قلباً ينشئ أفكاراً رديئة .
- « أرجل سريعة الجري الى سوء .
- « شاهد زور يفوء بالأكاذيب وزارع خصومات بين اخوة » .

* * *

❦ من الاصحاح العاشر ❦

- « حكيم القلب يقبل الوصايا ، وغبي الشفتين يصرع .
- « من يسلك بالاستقامة يسلك بالأمان ، ومن يُعوج طُرُقهُ يُعرَف » .

* * *

❦ من الاصحاح الحادي عشر ❦

- « موازين غش مكرهة الرب ، والوزن الصحيح رضا .
- « تأتي الكبرياء فيأتي الهوان .
- « ومع المتواضعين حكمة .
- « المحتقر صاحبه هو ناقص الفهم .

« أما ذو الفهم فيسكت .
« الساعي بالوشاية يُغشي السر ، والأمين الروح يكتم الأمر .
« حيث لا تدبير يسقط الشعب .
« أما الخادص فبكثرة المشيرين » .

* * *

❦ من الاصحاح الثاني عشر ❦

« المرأة الفاضلة تاج لبعليها .
« من يشتغل بحقله يشبع خبزاً .
« أما تابع البطالين فهو عديم الفهم .
« الرجل الذكي يستتر المعرفة .
« وقلب الجاهل ينادي بالحق .
« يد المجتهدين تسود .
« أما الرخوة فتكون تحت الجزية .
« الفم في قلب الرجل يُخفيه ، والكلمة الطيبة تفرحه .
« الصديق يهدي صاحبه .
« أما طريق الأثمار فتضلهم .
« الرخاوة لا تمسك صيداً .
« أما ثروة الانسان الكريمة فهي الاجتهاد » .

* * *

❦ من الاصحاح الثالث عشر ❦

« المسائر الحكماء يصير حكيماً ، ورفيق الجهال يُضِر » .

* * *

❦ من الاصحاح الرابع عشر ❦

« حكمة المواة تبني بيتها ، والحقاقة تهدمه بيدها .

« تاج الحكماء غناهم .

« تقدم الجهال حماقة .

« في كثرة الشعب زينة الملك .

« وفي عدم القوم هلك الأمير .

« البر يرفع شأن الأمة ، وعار الشعوب الخطية .

* * *

❦ من الاصحاح السادس عشر ❦

« لادنسان تدابير القلب ، ومن الرب جواب اللسان .

« كل طرق الانسان نقية في عيني نفسه .

« والرب وازن الأرواح .

« الرب صنع الكل لغرضه ، والشرير أيضاً ليوم الشر .

« إذا أرضت الرب طرُقُ انسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه .

« القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق .

« قلب الانسان يفكر في طريقه ، والرب يهدي خطوته .

« قَبَّانُ الحق وموازينه للرب .

« ومن يتوكل على الرب فطوبى له » .

* * *

❦ من الاصحاح السابع عشر ❦

« لقمة يابسة ومعها سلامة ، خير من بيت مآذن ذبائح مع خصام .

« تاج الشيوخ بنوا البنين ، وفخر البنين آباؤهم .

« الابن العاجل غم لأبيه ، ومرارة للتي ولدته » .

* * *

❦ من الاصحاح الثامن عشر ❦

« كلمات فم الانسان مياه عميقة .

« نبع الحكمة نهر متدفق .

« من يجد زوجة يجد خيراً ، وينال رضاي من الرب .

« بتضرعات يتكلم الفقير .

« والفني يجاوب بخشونة » .

* * *

❦ من الاصحاح التاسع عشر ❦

- « الغني 'يكثر' الاصحاب ، والفقر منفصل عن قريبه .
- « كثيرون يستعملون وجه الشريف ، وكل 'صاحب' لذي العطايا .
- « كل اخوة الفقر يبغضونه .
- « فكم بالحري 'اصدقاؤه' ، يبتعدون عنه .
- « البيت والثروة ميراث من الابهاء .
- « اما الزوجة المتعملة فمن عند الرب .
- « من يرحم الفقير يقرض الرب ، وعن معروفه يجازيه .
- « اسمع المشورة ، واقبل التأديب ، لكي تكون حكيمًا في آخرتك .
- « في قلب الانسان أفكار كثيرة ، لكن مشورة الرب هي تثبيت .
- « زينة الانسان معروفه ، والفقر خير من الكذب ، .

* * *

❦ من الاصحاح العشرين ❦

- « خبز الكذب للذي للانسان ، ومن بعد يمتلئ 'فمه' حصي .
- « 'رب' ملك 'معجل' في اوله .
- « اما آخرته فلا تبارك .
- « الرحمة والحق يحفظان الملك ، وكرسيه 'يسند' بالرحمة .
- « فخر الشبان قوتهم ، وبهاء الشيوخ الشيب ، .

* * *

❦ من الاصحاح الحادي والعشرين ❦

- « قلب المَلَك في يد الرب ، كجداول مياه ، حيثما شاء يُعيله .
- « كل طرق الانسان مستقيمة في عينيه ، والرب وازن القلوب .
- « فعل العدل والحق ، أفضل عند الرب من الذبيحة .
- « من يمسد اذنيه عن صراخ المسكين ، فهو ايضا يصرخ ولا يُستجاب .
- « القَرَسُ مُعدّ ليوم الحرب ، اما النصرة فمن الرب .

* * *

❦ من الاصحاح الثاني والعشرين ❦

- « الغني والفقير يتلذذيان .
- « صانعهما كليهما الرب .
- « ربّ الولد في طريقه ، فمتى شاخ ايضا لا يجيد عنه .
- « لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ، ولا تسحق المسكين في الباب .
- « لأن الرب يُقيم دعواهم ، ويسلب سالبِي أنفسهم .
- « ارايت رجلاً مجتهداً في عمله .
- « امام الملوك يقف ، لا يقف امام الرعاع .

* * *

﴿من الاصحاح الثالث والعشرين﴾

« لا يحسدن قلبك الخاطئين ، بل كن في مخافة الرب اليوم كله .
« لأنه لا بد من ثواب ، ورجاؤك لا يخيب .
« اسمع لأبيك الذي ولدك ، ولا تحتقر أمك إذا شاخت » .

* * *

﴿من الاصحاح الخامس والعشرين﴾

« مجد الله إخفاء الأمر ، ومجد الملوك فحص الأمر .
« السماء للعلو ، والأرض للعمق ، وقلوب الملوك لا تُفحص .
« اجعل رجلك عزيزة في بيت قريبك ، لذا يمل منك فيبغضك .
« عين مكدرة وينبوع فاسد الصديق المنحني امام الشرير .
« اكل كثير من العسل ليس بحسن ، وطلب الناس مجد انفسهم ثقيل .
مدينة منهمة بلا سور ، الرجل الذي ليس سلطان على روحه » .

* * *

﴿ من الاصحاح التاسع والعشرين ﴾

« كبرياء الانسان تضعه ، والوضيع الروح ينال مجددا .
« خشية الانسان تضع شركا ، والمتكل على الرب يُرفع » .

* * *

كان هذا ... شيئا مما سجل أهل الكتاب ... من حكمة سليمان ...
والذي ينبغي أن يتقرر في العقول ... أن حكمة سليمان وعلمه ... شيء
وراء ذلك ... لا تدركه العقول ... ولا سبيل إلى تسجيله ...
لأن سليمان كُتب ... لحكمته وعلمه ... وجهان ...
وجه بينه وبين ربه ... وهذا لا سبيل لنا إلى ادراكه أو تسجيله ...
وجه بينه وبين الناس ... وهو ما يتنزل فيه الى مستوى الناس ...
فيحدثهم ويوجههم ويعلمهم ... وهذا الوجه هو ما يمكن تسجيل بعضه
لا كله ...

وهذه الأمثال ... التي اخترنا بعضها ... هي من هذا الوجه ...
أما سليمان الذي قال الله في شأنه « ولقد آتينا داوود وسليمان علما » ...
فشيء فوق الإدراك ...

سليمان ... الذي هو « أكمل مجلى لله » ... فإن حكمته وعلمه أعلى من
عقولنا ... ويستحيل أن يستطاع تسجيل ... مثل ذلك العلم !..

معجزة ... موت ... سليمان ؟ ...

قال . . .

عزّ ثناؤه :

« فلما قضينسا عليه الموتَ ما دأبهم على موته إلا دابةُ الارض
تأكل منسأته .

« فلما خسرَ تبيننت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين » .

قيل في تفسير الآية الكريمة :

« يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عصى الله موته
على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة .

« فإنه مكث متوكئاً على عصاه - وهي منسأته - مدة طويلة نحواً
من سنة .

« فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ، ضعفت وسقط إلى الأرض .

« وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة .

« وتبيننت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب ، كما كانوا يتوهمون
ويوهمون الناس ذلك » .

وقيل في تفاصيل التفسير :

« كان نبي الله سليمان إذا صلى رأى شجرة بين يديه .
« فيقول لها : ما اسمك ؟
« فتقول : كذا .
« فيقول : لأي شيء أنت ؟
« فإن كان لغرس عُرس ، وإن كانت لدواء كُتبت .
« فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه .
« فقال لها : ما اسمك ؟
« قالت : الخروب .
« قال : لأي شيء أنت ؟
« قالت : لحراب هذا البيت .
« فقال سليمان عليه السلام : اللهم عمّ على الجن موتي ، حتى يعلم الإنس أن
الجن لا يعلمون الغيب .
« فنجحتها عصا ، فتوكل عليها ، حولاً ميتاً ، والجن تعمل .
« فأكلتها الأرضة .
« فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في
العذاب المهين » .

ومما قيل في التفسير كذلك :

« كان سليمان عليه السلام يتحرر في بيت المقدس .
« السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر .

« فیدخل فیہ ، ومعه طعامه وشرابه .
« فأدخله فی المرة التي توفي فیها .
« فمکان بدء ذاك أنه لم یكن یصبح فیہ ، إلا ینبت الله ببیت المقدس شجرة .

« فیاتیها ، فیسألها ، فیقول : ما اسمك ؟
« فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا .
« فإن كانت لغرس غرسها .
« وإن كانت تنبت دواء كذا وكذا فیجعلها كذلك .
« حتی نبتت شجرة یقال لها الخروب .
« فیسألها : ما اسمك ؟
« قالت : الخروب .
« قال : لأي شيء نبت ؟
« قالت : نبت لخراب هذا المسجد !
« قال سلیمان علیه السلام : ما كان الله لیخربه وأنا حیّ !... أنت التي هلی وجهك هلاکی ، وخراب بیت المقدس !
« فنزعها ، وغرسها فی حائط له .
« ثم دخل المخراب .
« فقام یصلي ، متکئاً علی عصاه .
« فمات .

« ولم تعلم به الشياطين
« وهم في ذلك يعملون له ، يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم .
« وكانت الشياطين تجتمع حول المهراب ، وكان المهراب له كوى بين
يديه وخلفه .
« فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : أأست جلدأ ، انت دخلت
فخرجت من ذلك الجانب ؟
« فدخل حتى يخرج من الجانب الآخر .
« فدخل شيطان من أولئك ، فمر .
« ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في المهراب إلا احترق .
« فمر ، ولم يسمع صوت سليمان .
« وكان عليه السلام ، قد سقط ميتا .
« فخرج ، فأخبر الناس أن سليمان قد مات .
« ففتحوا عليه فأخرجوه .
« ووجدوا منسأته — وهي العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرضة ،
ولم يعلموا منذ كم مات ؟ !
« فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة .
« ثم حسبوا على ذلك التحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة !..
« فمكثوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً .
« فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم .
« ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلوا بموت سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب
سنة يعملون له .

« وذلك قول الله عز وجل (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خسر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) .

« تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم » .

ثم ماذا ؟!

ومن ألطف ما قيل في التفسير :

« في قوله تبارك وتعالى (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) .

« قال سليمان عليه السلام لملك الموت : إذا أمرت بي فأعلمني .

« فأنا فقال : يا سليمان ، قد أمرت بك ؛ قد بقيت لك سبعة .

« فدعا الشياطين ، فبنوا عليه صرحاً من قوارير .

« وليس له باب .

« فقام يصلي .

« فاتكأ على عصاه .

« ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت .

« والجن تعمل بين يديه ، وينظرون اليه ، يحسبون أنه حيّ !..

« فبعث الله عز وجلّ دابة الأرض ...

« فدخلت فيها وأكلتها .

« حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها .

« فخسر ... ميتاً .

« فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا .
« فذلك قوله تعالى (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) .
« قيل ... أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر .
« وذكر غير واحد من السلف نحوه من هذا والله أعلم » .
ثم ماذا ؟ !
ثم ماذا قال صاحب الفواتح الإلهية في تفسير الآية الكريمة ١٢
« فلما قضينا عليه » على سليمان عليه السلام .
« الموت » فأخبرناه بموته ... فدعا نحونا بأن نعمتي على الجن أمر موته ،
حتى يتموا عمارة البيت ... فأعيناهم موته إلى أن قد تمت ثم ...

« ما دلّهم » وما هدام وأشعرهم .
« على موته » وما أخبرهم عنه .
« إلا دابة الأرض » أي الأرضة .
« وتأكل منسأته » أي عصاه ... التي هو متكئ عليها .
« فلما » أكلتها ... وانكسرت عصاه .
« خرواً » وسقط عليه السلام على الأرض فحينئذ قد ...
« تبينت الجن » وظهر دونهم ... وانكشف أمر موته عليهم ... وعلموا
بعد ما التبس الأمر عليهم في موته ... بخروره وسقوطه ... فظهر حينئذ
للإنس أن الجن لم يكونوا من المظلمين على عموم الغيوب ، على ما زعموا في
حقهم ... لأنهم لو كانوا مظلمين الغيب لعلموا موته أول مرة ... ولم
يعلموا مع ...

« ان » أي أن الجن .

« لو كانوا يعلمون الغيب ، مطلقاً ... لعلوا أمر موته حين وقوعه ولو علموا ... »

« ما لبثوا » وما استقروا .

« في العذاب المهين » الذي هو العمل المتضمن لأنواع المتاعب والمشاق ... مع انهم لم يرضوا به ... لكنهم لبثوا وعملوا سنة بعد موته ... فظهر انهم ما كانوا عالمين بالغيوب كلها » ...

ثم ماذا ؟!

ثم ماذا قال صاحب لطائف الإشارات في اشارات الآيه ؟!
« كان سليمان - عليه السلام - يتكئ على عصاه وقتما يقبض .
« وبقي على ذلك الوصف مدة .

« والشياطين كانوا مسخرين يعملون ما أمرهم به ، ويتصرفون على الوجه الذي رسم لهم ، وينتهون عما زجرهم .

« فقد كانوا يتوهمون أنه حي .

« ثم إن الأرضة أكلت عصاه ، فخرّ سليمان .

« فعلم الشياطين عندئذ أنه مات .

« فرجعوا إلى أعمالهم الخبيثة .

« وانفك عنهم ما كانوا عليه من التسخير .

« وهكذا المستلك الذي يقوم ملكه بغيره ، ويكون استمساكه ببعضه ...

« فإنه إذا سقط سقط بسقوطه .

« ومن قام بغيره زال بزواله » .

ثم ماذا بعد هذا ؟:

انما أسهبنا عمداً في ايراد جوانب متعددة ... مما قيل في تفسير الآية ...
لتكتمل الخطوط العريضة ... لذلك الحوادث العجيب ... والمنظر
الإلهي الفريد ... مشهد معجزة موت ... النبي الملك ... سليمان عليه السلام !..

والآن في تصوير وإخراج حسيديث عصري ... يناسب ذوق الإنسان
المعاصر ... كيف كان موت سليمان . وكيف كانت المشاهد ساعة بساعة ؟!

نقول والله أعلم بما حدث

كان من عادة سليمان عليه السلام ... الاعتكاف في بيت المقدس ... للتعبد
وشكر الله على نعمه ... كلما سنحت له الفرصة ... أن يتفرغ للاعتكاف ...

وفي ذات يوم نوى سليمان أن يعتكف ببيت المقدس ...

فأتاب عنه من يقوم بتصريف شئون الدولة ...

وأمرَ فأعدوا له ما يلزمه أثناء اعتكافه عاماً كاملاً ... يطرح فيه الملك
وراء ظهره ... ويتوجه الى ربه ... يناجيه ... ويسأله ... وهو يعطيه ...
ويعطيه ...

والأنبياء مع ربهم ... أوقات لا تسمعهم فيها أرض ولا سماء ...

لحظات يتجلى الله فيها عليهم ... بما شاء من العطايا والهدايا ...

وهي عندهم أحلى وأغلى وأعلى ... من 'ملك الدنيا ... مهما أوتوا منها ...
ولو كان 'ملكهم كملك سليمان ... الموصوف 'ملكاً لا ينبغي لأحد
من بعدي ...

وماذا يساوي 'ملك الدنيا ... بالنسبة إلى لحظة واحدة ... مع الله ؟!

انه لا شيء في الوجود ... يعدل لحظة أنس بالله ... ومن ذاق عرف ...

أعدوا سليمان في بيت المقدس ما يلزمه أثناء فترة اعتكافه ...
وما يلزم الأنبياء ... من ذلك لقيات يقمن صليبهم ... وجرعات ماء
تذهب ظمأهم ...

ثم هم بعد ذلك ... يُطعمون من عند الله ...
« إني لستُ كهيتهم » إني « أطمعُ وأُسقى » ...
ودخل النبي المسلك إلى معتكفه في بيت المقدس ...
وفي ذات يوم جاءه مملك الموت فقال له : يا سليمان ... قد أمرت بك ...
قد بقيت لك سويعة ...

ونادى سليمان ربه ... ونداء الأنبياء ليس مثله نداء : اللهم أعِمَّ على الجن
أمر موتي ... حق يتبين للناس أنهم لا يعلمون الغيب ! ...
ثم انتقل سليمان إلى محراب من محاريب بيت المقدس ... إلى محراب
من قوارير ...

إلى محراب من زجاج شفاف ... يُرى ظاهره من باطنه ... وباطنه
من ظاهره ...

وكانت فكرة النبي العظيم من ذلك ... أن يكون مرئياً للجميع ...
للإنس والجن ...

الإنس لينتظموا في أعمالهم ...
والجن ليستمروا في ما هم فيه من شاق الأعمال ...

وفي لحظة القضاء ... « فلما قضينا عليه الموت » ... قام سليمان يصلي ...
ويذكرنا بهذا المشهد قوله « فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب » ...
إلا أن المتنادي هنا ... كان ملك الموت ...

وكان سليمان متكئاً على عصاه ... وهو قائم يصلي في المحراب ...
وعصا سليمان ... عصا معلومة للجميع ... لها تقاليدها ... وشكلها ...
ورهبته ورعبها في النفوس ...

وما زال هذا التقليد قائماً في آداب الملوك ورؤساء الدول في العالم ...
فللملوك عصيهم المصنوعة من نفيس المعادن ... وللقائِد الأعلى للقوات المسلحة
عصاه ... وهكذا ... لها تقاليدها ولها بروتوكولاتها ...

فكيف بعصا سليمان ... النبي ... الملك ... الذي مُلكه لا ينبغي لأحد
من بعده ١٩.

قام سليمان في المحراب يصلي ... متوكئاً على عصاه ...
وبينما هو كذلك « قضينا عليه الموت » ...
سليمان الآن قد مات ...
فالمفروض والأمر الطبيعي ... ما دام قد مات ... أن يسقط
على الأرض ...

إلا أنه لم يسقط ... ولم يختل توازنه ...
وها هنا المعجزة ١٩.

مكث سليمان ... قائماً يصلي في المحراب ... متوكئاً على عصاه ...
عاماً كاملاً ...

تقول النوايس الطبيعية ... يتحتم أن يخرّ سليمان فوراً ... بمجرد موته ...
وأن تسقط عصاه فوراً ...

ولكن سليمان ظل واقفاً ... يصلي ... متوكئاً على عصاه .. عاماً
كاملاً ... وهو ميت ...

فكيف هذا ... في منطق العقول ١٢.

منطق العقول ... مشاغل ...

إذا هي معجزة ... والمعجزة وراء العقول ... تصدر رأساً من القدرة ...
والقدرة لا تدركها العقول ...

عاماً كاملاً ... هكذا سليمان ...

مشهد إلهي ... جميل جليل ...

والناس موقنون ... أن النبي الملك ... ما زال في اعتكافه ... ويمكن أن
كان في شك ... أن ينظر إليه قائماً يصلي في المهراب !..

فالمهراب من زجاج شفاف ... يكشف للعيون ما يجري فيه ...

والجن ... ملايين الشياطين المسخرة ... في البناء والتشييد ...
والزخارف ... والفصوص في البحار ... كلهم دائبون على أعمالهم ... يخافون
بطشة سليمان ... إذا كفّوا عن أعمالهم ...

ومن كان في شك من الجن ... يمكنه أن ينظر إلى مهراب القوارير ... يجد
سليمان قائماً يصلي في المهراب !..

وكان هؤلاء الشياطين ... قد أشاعوا وأذاعوا في الناس ... أن سليمان
لا ينفرد بعلم الغيب وحده ... وإنما هم كذلك يعلمون الغيب ... وأن ما يذكره

سليمان للناس من الغيوب... إنما هو مما يُلقيه اليه الجن... فيلقيه إلى الناس...
فيتوهم الناس أنه وحي أوحى اليه... وما هو بوحى... إن هو إلا من
حديث الجن...

واتبع كثير من ضعاف العقول ما يذيعه الجن في الناس... واتبعوا
ما تتلو الشياطين على ملك سليمان...

فلما أيقن سليمان أنه ميت... سأل الله أن يُعَمِّي على الجن موته... حتى
يعلم الجميع أن الجن لا يعلمون الغيب... كما يوهمون الناس... وحتى يُفصل
في تلك القضية... فصلاً عملياً أمام الجميع... فيظهر كذب الجن... ويتأكد عند
الناس... أن ما يخبر به الأنبياء من الغيوب... إنما هو عن وحي يوحى إليهم
من الله... وليس مما يُلقيه الجن إليهم...

فإذا ظهر للناس أن الجن مكثوا عاماً كاملاً... لا يعلمون بموت سليمان...
فمن باب أولى هم لا يعلمون من الغيب شيئاً...

نعود إلى المشهد الإلهي الجميل...
سليمان قائماً يصلي في المحراب... متوكئاً على عصاه...
والأيام تمر... حتى مضى عليه عام كامل وهو هكذا...
ومنذ اللحظة التي مات فيها سليمان...

بعث الله إلى عصاه... حشرة قارضة... آذنت من عصاه استقراراً...
أغراها أن تقرضها وتأكل منها...

فدأبت كل يوم على قرض شيء منها...

حتى إذا مرَّ عام عليه... كانت الأرضة قد نخرت عصاه... وأكلت
جوفها... فضجفت العصا... عن حمل الجسد المستند إليها...

فخزّ سليمان ... وسقط الجسد فوراً على الأرض ...
« فلما خرّ » فلما سقط ...
وفوراً ... وبمجرد سقوط الجسد ... وسقوط العصا ...
تدافع المسئولون في الدولة ... الى المهراب ... ينظرون ماذا حدث
للملك ؟ !
وعيون الناس دائماً على ملوكهم ... يحصون عليهم حركاتهم وسكناتهم ...
وانتشر الخبر ... في المملكة من أقصاها إلى أدناها ...
ثم انتقل إلى العالم كله ... وصار سليمان حديثاً ..
وجعل المسئولون يفحصون أسباب الوفاة ... فتأنسوا أن الجسد ليس
بالطري الندي ... كما هو حال الأجساد التي ماتت منذ لحظات ...
ولمّا حال الجسد يؤكد أن الوفاة حدثت من زمن بعيد ...
فرجعوا الى العصا ... فوجدوا الأرض بداخلها ... تقرض فيها ...
فتركوها في شأنها ... وراقبوا قرضها يوماً كاملاً ... فوجدوها قرضت
شيئاً يسيراً ...
فحسبوا حسابهم ... بنسبة ما قرضت في يوم واحد ... فتبين لهم أن
النخر الذي نخرته في العصا ... لا يتم إلا في عام كامل !..
فتأكد لهم أن سليمان فارق الحياة منذ عام ..
وأنه مكث قائماً هكذا ... ميتاً ... عاماً كاملاً ..
فصدر بيان رسمي من الدولة ... أن المسك ... مات منذ عام ... وأن

قدرة الله ... أمسكته هكذا طيلة العام ... فلما نخرت الأرضة عصاه ...
خسر ... وسقطت العصا ...

فكبر المؤمنون ربهم تكبيراً ...

وكان يوماً ينتظره الجن جميعاً ...

ها قد مات سليمان ... المسلط عليهم ... الذي لا يستطيعون
لأمره عصياناً ...

لقد استعادوا حریتهم ... وتوقف سلطان سليمان عليهم ...

فانفضوا جميعاً ... يعيشون في الأرض كما شاءوا ...

فلا سليمان بعد اليوم !..

وكان يوماً أخزى الله فيه الجن خزيًا عظيمًا ...

وتحدث الناس بالحدث ... وصار الحديث أقاصيص ...

وقالوا : لو كان الجن كازعموا لنا ... يعلمون الغيب ... لعلموا بموت
سليمان ... منذ سنة ...

ولكنهم عجزوا عن علم ما هو أمام أعينهم ... فهم عن علم الغيب
أشد عجزاً !..

ولو كانوا يعلمون الغيب ... ما جهلوا موت سليمان وهو قائم أمام
أعينهم ... وما استمعوا يكذبون وهم كارهون ...

« فلما خسر تبينت الجن » .

« أن لو كانوا يعلمون الغيب .

« ما لبثوا في العذاب المهين » ..!

إلا أن الجن لم يكن يعنيه أن يظهر كذبتهم للناس ... فهم يعلمون أنهم
كثيراً ما يكذبون ... ولا جديد في هذا بالنسبة اليهم ...

وإنما الذي يعنيههم الآن ... أنهم تفككوا من سلطان سليمان عليهم ...
واستردوا حريتهم ...

فانطلقوا وهم يهتفون ... لا سليمان بعد اليوم ؟ ..

قالوا :

« وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان ... أربعين سنة .

« ثم اضطلع مع آبائه .

« ودُفن في مدينة داود أبيه » ..!

فهرس

٧	مقدمة
٩	ووهينا لداوود سليمان
١٥	فهمناها سليمان
٢١	وورث سليمان داوود
٢٧	عبقرية سليمان
٣٣	الملك يأمر بقتل أدونيا
٣٩	ولقد فتنا سليمان
٤٥	رب اغفر لي وهب لي
٥٣	فسخرنا له الريح
٦٥	تسخير الجن لسليمان
٧٩	وأسلنا له عين القطر
٨٩	فذكرت دعوة أخي سليمان
٩٥	الملك سليمان يستعرض سلاح الفرمان
١٠٣	وما كفر سليمان
١١٣	سليمان يبني البيت
١٢١	عظمة قصور سليمان
١٢٧	قالت ثمة ...
١٣٩	فتبسم شاحكا من قولها

١٥١	ما لي لا أرى الهدم
١٥٩	أحطت بما لم تحط به
١٦٥	إني وجدت امرأة تملكهم
١٧٥	يسجدون للشمس
١٨٧	الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم
١٩٣	إنه من سليمان
٢٠٣	أفتوني في أمري
٢١٣	إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
٢١٩	أتمدون ببال
٢٣١	فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها
٢٣٩	أيكم يأتيني بعرشها
٢٤٩	أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك
٢٦٣	نكثروا لها عرشها
٢٧١	في قصر القوارير
٢٨١	تدمير البيت الذي بناه سليمان مرتين
٢٩٧	سليمان كما يراه ابن العربي
٣٣٧	ولقد آتينا داوود وسليمان علماً
٣٤٥	سليمان الحكيم
٣٦٣	معجزة موت سليمان
٣٨١	فهرس

ماذا في هذا الكتاب !!

فيسته ... حياة سليمان ... عليه السلام ... النبي ...
الملك ...

فر الملك ... الذي لا يتبقي لاحد من بعده !!!

النبي ... الذي سخر الله له ... الريح ... والجن ...
والطير ... !!!

النبي ... الذي اعطاه الله من كل شيء ... « وأوتينا من كل
شيء » !!!

وأثنى الله عليه ... « ووهبنا لداود سليمان ... نعم
العبد انه أواب » !

To: www.al-mostafa.com